مختارات من الأدب اليابانى

الشعر - الدراما - الحكاية - القصة القصيرة

تأليف

مجموعة من الكتاب اليابانيين القدماء والمحدثين

ترجمة

صبرى الفضل

مراجعة

مختار السويفى

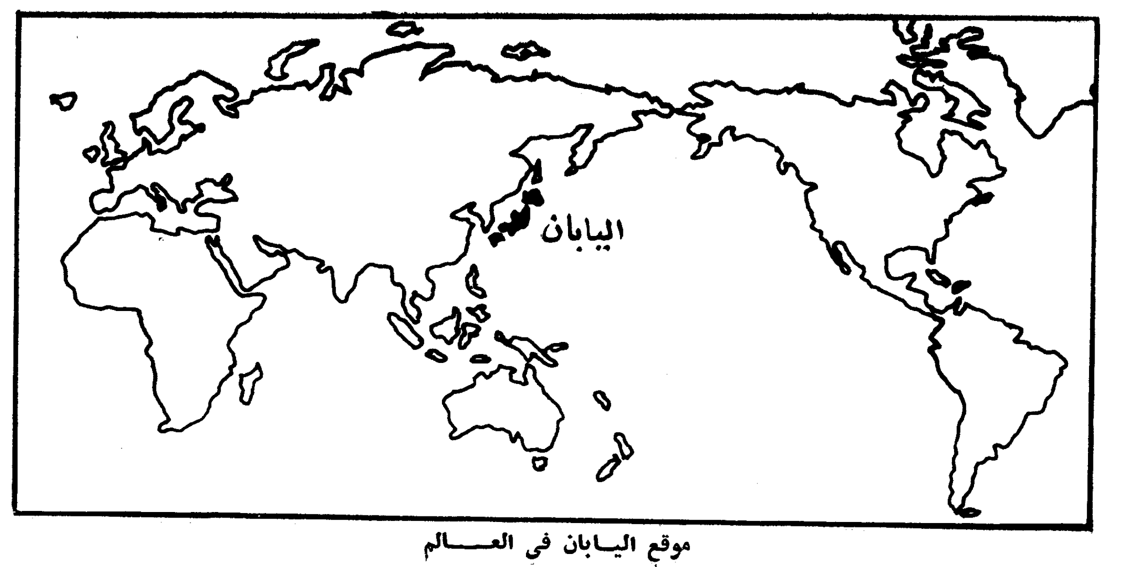


الهيئة المصرية العامة للكتاب

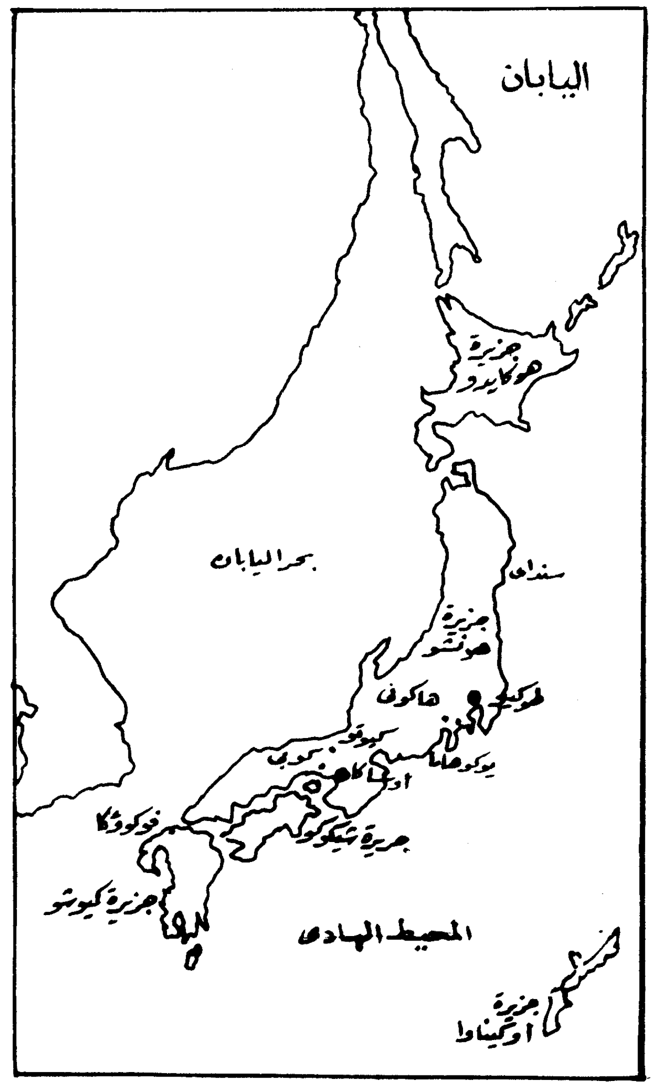
١٩٨٨

الألف كتاب (الثانى)
٥٧

مختارات من الأدب الياباني



موقع اليابان في العالم



الجزر اليابانية

مقـــدمة

ما أحلى السفر · والتعرف على الشعوب ، وعلى أرض الله الواسعة ·
لقد سافرت الى اليابان ثلاث مرات · مرة فى أواخر السبعينات ومرتين عام ١٩٨٣ · وفى أحـد الشوارع بطوكيو صادفت من يبيع لوحات من الخط اليابانى الجميل باللون الأسود على ورق أبيض مستطيل وكأنه لوحات فنية ، بل هو كذلك بالفعل · وشدتنى احداها وكانت عبارة عن جملة من ثمانية حروف أو أشكال ، فسألت رفيقى الذى ترجمها لى : « الجبال والأنهار والنباتات والأشجار كلها مقدسة » وتعنى هذه الجملة أن الحياة موجودة فى الجمادات وجودها فى الكائنات الحية ، وأن جميع صور الحياة متساوية ·

هذه الفكرة بوذية الأصل ومعروفة فى الفكر اليابانى القديم ··· والمقصود بها أن فلسفة وضع الانسان فى مركز الكون مسئولة عن دمار الطبيعة ، وعلى الانسان التعامل مع الطبيعة بمزيد من التواضع ·

ومن ضمن ما حاولت أن أعرفه فى هذه السفريات ، هى الشخصية اليابانية ··· ما هى شخصية اليابانى المعاصر ؟ ·· اليابانى كان منغمسا فى الوطنية المفرطة قبل الحرب ، ثم تحول استدارة كاملة بعد الحرب وكرس نفسه تماما للتطور الاقتصادى على حساب تاريخه وتقاليده ·

واليابان اليوم تقدم ١٠٪ من اجمالى الناتج القومى العام للعالم ، وتحتل المرتبة الثانية فى تقديم الدعم المالى لهيئة الأمم المتحدة ··· فما هى

الأسس الثقافية لهذا النجاح الاقتصادى ؟ .. وما الذى يمكن لليابان أن تسهم به من أجل العالم ؟ .. وقبل عامين تم اتخاذ قرار بتأسيس المركز الدولى لدراسة الثقافة اليابانية ، وهو معهد فكرى للدراسات اليابانية فى منظور دولى وقاعدة عريضة ٠

ولاحظت أن اليابان من أسرع بلدان العالم تغيرا وتطورا ، ولكنها فى الوقت نفســه تقوم على دعائم من التقاليــد العريقة التى تضرب فى التاريخ الى أقدم الأزمان ٠

لقد أبدى الشعب اليابانى خلال تاريخه الطويل استعدادا فريدا لاستيعاب الأفكار الجديدة ، وتطويعها بما يتلاءم مع بيئته الثقافية الخاصة٠ ويعود هذا الاستعداد الى تاريخ اليابان القديم ، وأوضاعها الجغرافية التى خلقت من الشعب اليابانى أمة متجانسة بصورة غير عادية ٠ واضــطر اليابانيون على مر القرون أن يجابهوا الأحداث ويستفيدوا منها فى تطوير مؤسساتهم وعاداتهم وخصائصهم ، مما أسبغ عليهم احساسا قويا بالوحدة القومية ، والهدف المشترك ٠

وساعد ذلك اليابان على أن تمر بتحولات هامة خلال تاريخها ... من أهمها ما حدث لها فى العصر الحديث عندما نبذت النظام الاقطاعى المتجمد فى أواخر القرن التاسع عشر لتنطلق فى الطريق الى الأساليب الحديثة ، وعندما مرت بتجربة الحرب العالمية الثانية المريرة ٠ وبالرغم من أن هاتين التجربتين قد أحدثتا تغييرات شبه ثورية فى البناء اليابانى بصفة عامة الا أنها اجتازتهما دون أن تتخلى عن جذورها التقليدية أو تعوق تطورها الاجتماعى ٠

واستطاعت اليابان أن تجعل من نفسها واحدة من أوائل الدول الصناعية والتجارية ، وتطور اقتصادها الصناعى وتقدمهــا التكنولوجى بشكل لم يسبق له مثيل من قبل ٠ فقد تحولت من مجتمع زراعى يقنع بالحد الأدنى لمستويات المعيشة قبل مائة عام فقط ، الى مجتمع صناعى متقدم ذى أسلوب للحياة القومية يقوم على مستويات أعلى من الانجازات المادية والثقافية والفكرية ٠

ويمكن ملاحظة هذا التحول أيضــا فى التدويل التدريجى لغالبية نواحى الحياة ذات الشخصية القومية ٠ والمعروف أن علاقات اليابان بالعالم الخارجى بقيت محدودة لفترة طويلة ، أولا نظرا لوضعها الجغرافى كمجموعة جزر ، ثم نتيجة للعزلة التى فرضتها على نفسها طوال قرنين ونصف قرن ، وأخيرا بسبب الحرب والاحتلال خلال القرن الحالى ٠

كانت اليابان قبل الحرب الثانية مركزا لامبراطورية واسعة ، كانت في بعض الأوقات تشتمل على تايوان وكوريا ومانشوريا ، وأغلب الصين الشرقية ، وجنوب جزيرة سخالين ، وجزر المارشال وماريانا بجنوب غرب المحيط الهادى . واليوم ومن بعد الحرب ، انكمشت اليابان فى الحجم وتشتمل على أربع جزر رئيسية هى : هوكايدو ، هونشو ، شيكوكو ، وكيوشو ، بالاضافة الى مئات من الجزر الصغيرة التى تمتد فى سلسلة كالقوس فى شكل أرخبيل طوله ٣٨٠٠ كيلو متر فى مواجهة الساحل الشرقى لقارة آسيا .

وأقرب جار لليابان هو الاتحاد السوفيتى ، فجزيرة سخالين على بعد ٥٠ كيلو مترا من هوكايدو عبر مضيق سويا (لابيروس) ، يلى ذلك كوريا الجنوبية التى تبعد ٢٠٠ كيلو متر غرب اليابان عبر مضيق كوريا .

واليابان هو الاسم الرسمى أما الاسم الأصلى فهو نيهون أونيبون ، ومعناه مصدر الشمس . والعلم الوطنى اليابانى عبارة عن دائرة حمراء بارزة فى وسط أرضية بيضاء ناصعة . ويسمى هذا العلم « هى ــ نو ــ مارو » ومعناها « استدارة الشمس » ومن هنا جاء تعبير « أرض الشمس المشرقة » .

وقد استخدم العلم « هى ــ نو ــ مارو » لأول مرة فى احتفال قومى عام ١٨٧٢ عندما افتتح الامبراطور ميجى أول خط حديدى فى اليابان .

عرفت الجزر اليابانية عالميا عن طريق التجارة مع دول أوربا خلال القرن الخامس عشر ، وكان طريق الحرير يربط بين اليابان والبلدان العربية .

الأرض والمصادر :

تشكل الجزر الأربع الكبرى ٩٨٪ من المساحة الكلية لليابان ، التى تقل عن نصف مساحة مصر ٣٧٧٫٦١٩ كيلو مترا مربعا ، وهى على التوالى هوكايدو فى الشمال ، هونشو أكبرها وأكثفها سكانا فى المنتصف ، وفى الجنوب جزيرتى كيوشو وشيكوكو ، وتفصل بينهما وبين الجزيرة

الكبرى هونشو المياه المحمية للبحر الداخلى الذى كان قلب اليابان لما يزيد عن ٢٠٠٠ سنة ، والجزر الأخرى المكملة لمساحة اليابان تزيد عن ٣٠٠٠ جزيرة صغيرة ٠

وتكون جزر اليابان جزءا من حلقة فى منطقة الباسيفيك التكتونية غير المستقرة ، ذات النشاط البركانى ، وتعد استمرارا للبناء الجبلى الذى يحد حواف المحيط الباسفيكى ٠ والجزر التى تتشكل منها اليابان ما هى فى الواقع الا قمم سلسلة من الجبال الناتئة ، ويوجد فى اليابان حوالى ٥٠ بركانا نشـــطا ، كما يحدث كل سنة حوالى ١٥٠٠ زلزال صغير ، وينابيع مياه ساخنة ، وذلك لعدم استقرار القشرة الأرضية ٠ ومن أشهر المناطق البركانية منطقة فوجى ـ هاكونى ـ ايزو ٠٠ وأذكر أننـا ذهبنا اليها من طوكيو بالأتوبيس ، ثم بالمصعد المعلق « التليفريك » وشاهدنا منظرا فريدا للمياه الساخنة المتدفقة من العيون الكبريتية وسط الثلوج البيضاء ٠

ويوجد فى اليابان قرابة ٧٠٠ ينبوع مياه معدنية تتراوح درجة حرارتها بين ٢٧ درجة مئوية و ١٠٥ درجة مئوية ، وفى محافظة « جوما » يوجد ما يسمى بحمام اللحظة الخاطفة ، فيدخل حوالى الخمسين شخصا الى حوض مملوء بماء ينبوع معدنى متوســـط حرارته ٥٥ درجة مئوية ويمكثون فى الحمام المعدنى هذا بين ثلاث وأربع دقائق ٠

وجبل فوجى نفسه هو بركان ساكن ، وهو أعلى جبل فى اليابان ويصل ارتفاعه ٣٧٧٦ مترا ٠ غير أنه فى الصورة الاجمالية ، فان الطبيعة الطبوغرافية لليابان تضفى عليها المناظر الخلابة ، والمثيرة أحيانا ٠ فهناك البحيرات الجبلية التى يغذيها الجليد ، والتضاريس الصخرية ، والأنهار الهادرة ، والقمم الوعرة ، ومساقط المياه الجميلة ، وهى تعتبر مصدرا دائما للوحى والالهام ٠

وحوالى ٧٥٪ من أراضى اليابان جبلية وعرة ، تجعل الزراعة والاقامة بصفة عامة عملية ليست سهلة ، وتشكل الأراضى المنخفضة حوالى ١٦٪ من الجزر ، وهى صغيرة متقطعة ، وتوجد أغلبها فى المناطق الساحلية ٠ وأكبرها سهل كانتو ، حيث تقع طوكيو ، والمدن المحيطة بها ٠ وهناك مدن أخرى رئيسية مزدهرة فى الأراضى المنخفضة السهلة مثل ناجويا فى سهل نوبى ، وأوساكا وكيوتو فى الأراضى المنخفضة لكانساى ٠

وتغطى الغابات حوالى ٧٠٪ من المساحة الكلية وبها أشجار صنوبرية كالأرز وموســمية كالبلوط والسنديان والبتولا والدردار ، كما تنتشر

النباتات الطبيعية بأنواع غريبة متعددة تشمل الخيزران (البامبو) وأشجار السرو العملاقة والكافور • وأنهار اليابان قصيرة وسريعة الجريان ، أطولها نهر « شينانو » حوالى ٣٥٠ كيلو مترا ويصب قرب مدينة « نييجاتا » •

السكان والتاريخ :

يبلغ مجموع عدد السكان فى اليابان ١٢١ مليون نسمة حسب احصاء عام ١٩٨٥ ، وهذا يجعل اليابان الدولة السابعة بتعداد سكانها فى العالم • وتبلغ نسبة كثافة السكان ٣٢٥ شخصا لكل كيلو متر مربع وهى تعتبر من أعلى نسب كثافة السكان فى العالم •

ويختلف الخبراء حول أصل العنصر اليابانى ، أغلب الظن أنه من أصل المغول القادمين من أجزاء مختلفة من شرق آسيا وجزر جنوب المحيط الباسيفيكى • ويقال أن أسلافهم ينتمون الى سلالة تعرف حاليا باسم جنس ياماتو ، ويعتبر زعماء ياماتو أجدادا للعائلة الامبراطورية الحالية •

وفى أواخر القرن الرابع بعد الميلاد قامت الاتصالات بين اليابان والممالك الآسيوية الأخرى فى شبه الجزيرة الكورية ، وعن طريقها دخلت الفنون الصناعية مثل النسيج ، وصناعة المعادن ، والدباغة ، وبناء السفن التى كانت متقدمة جدا فى الصين ابان حكم أسرة هان • فكانت كوريا ، والصين هما المصدرين اللذين أخذت عنهما اليابان الحرف ، والفنون ، والمعرفة التى شكلت الأسس التى قامت عليها ثقافتها الخاصة بها تدريجيا •

كما تعلم اليابانيون عنهما أصول الطب وأسرار التقويم وعلم الفلك والكونفوشية ، ثم وجدت البوذية طريقها الى اليابان فى عام ٥٣٨م ، قادمة من الهند عن طريق الصين ، وكوريا •

وقد أقيمت أول عاصمة دائمة للبلاد فى نارا فى أوائل القرن الثامن الميلادى • وأقامت فيها الأسرة الامبراطورية لفترة تزيد عن سبعين عاما من ٧١٠ الى ٧٨٤م •

وفى عام ٧٩٤م بنيت عاصمة جديدة فى كيوتو على طراز العاصمة الصينية فى ذلك الحين ، وبقيت مقرا للعرش لمدة ألف عام تقريبا •

وكان نقل العاصمة الى كيوتو علامة بدء عصر هيآن الذى استمر حتى عام ١١٩٢ ، وكان واحدا من أعظم العصور فى التطور الفنى · وانقطعت الاتصالات مع الصين فى أواخر القرن التاسع ، وبدأت الحضارة اليابانية تتخذ خصائصها المميزة وأشكالها الخاصة ·

وتميزت الحياة فى العاصمة كيوتو بقسط وافر من الفخامة والأبهة · وبينما انصرف البلاط الامبراطورى الى الاهتمام بالفنون ومباهج الحياة الاجتماعية ، أخـذت سيطرته على القبائـل المتحاربة فى الأقاليم تزداد ضعفا · وأفلتت السيطرة الفعلية على البلاد من قبضته تدريجيا ، وأصبحت فريسة تتنازعها أسرتان متحاربتان متنافستان هما : الميناموتو والتايرا ، وكلتاهما تنحدران من سلالة أباطرة سابقين · وقد خاضت الأسرتان معركة من أقسى المعارك وأكثرها شهرة فى تاريخ القرون الوسطى فى اليابان ، وانتصرت فيها أخيرا أسرة ميناموتو بعد أن أبادت أسرة تايرا المنافسة فى معركة دانورا الشهيرة فى منطقة البحر الداخـلى فى عام ١١٨٥م ·

عصر الاقطـاع :

كان انتصـــــار أسرة ميناموتو ايذانا بنهاية العرش الامبراطورى كمصدر للسلطة السياسية الفعلية ، وبـداية لسبعة قرون من الحـكم الاقطاعى بقيادة سلسلة من الحكام العسكريين أو « الشوجون » ·

وفى عام ١١٩٢ أقام يوريتومو ، زعيم أسرة ميناموتو المنتصرة ، « الشوجونيت » أو الحـكومة العسكرية فى كاماكورا القريبة من طوكيـو الحالية ، واستأثر بكافة السلطات الادارية التى كان الأباطرة فى كيوتو يحتفظون بها لأنفسهم · وكرد فعل لعصر كيوتو الذى اعتبرته الحكومة العسكرية فترة انحلال بسبب انصرافه الى الفنون السلمية ، اتجه الحكم العسكرى الجديد فى كاماكورا الى تشجيع التقشف والفنون العسكرية والنظام من أجـل اعادة السيطرة الفعلية على البـلاد · وهكـذا تغـيرت الأوضاع ، فبينما كان العهد الهيآنى السابق يتميز بازدهار الفنون فقد كان عهد كاماكورا ـ كما سمى عهد حكومة شوجونيت يوريتومو ـ عهدا سادت فيه روح الفروسية اليابانية « بوشيدو » بأسلوب الساموراى ·

وانتقلت السلطة فى عام ١٢١٣ من عائلة ميناموتو الى أسرة زوجة يوريتومو المعروفة باسم عائلة هوجو التى أبقت على الحكم العسكرى فى كاماكورا حتى عام ١٣٣٣ . وفى خلال هذه الفترة هاجم المغول منطقة شمال كيوشو مرتين : الأولى فى عام ١٢٧٤ ، والثانية فى عام ١٢٨١ . وقد تمكن المحاربون اليابانيون - بالرغم من ضعف تسليحهم - من الصمود ومنع الغزاة من التغلغل الى الداخل . ونتيجة للأعاصير التى حطمت الجانب الأكبر من أسطول المعتدين فى كل من الحملتين اضطر المغول الى الانسحاب من اليابان .

وجاءت حكومة عسكرية جديدة أقامتها أسرة أشيكاجا فى موروماتشى بكيوتو ، وقد استمرت هذه الحكومة أكثر من قرنين من ١٣٣٨ الى ١٥٧٣ وهكذا عادت عقارب الساعة الى الوراء مرة أخرى ، من فروسية بوشيدو الصارمة الى أسلوب جديد فى الحياة يقوم على تذوق الجمال والأنشطة الدينية . وقد ترك ذلك أثره على الفنون اليابانية على مدى العصور . وبقيت الى يومنا هذا محتفظة بخاصيتها الأساسية وهى روح ضبط النفس والبساطة الكلاسيكية .

وبعد قرنين من الحكم ، واجهت الشوجونيت فى موروماتشى تحديا متزايدا لسلطتها من جانب العشائر المنافسة فى أنحاء أخرى فى البلاد . وشهدت اليابان فى أواخر القرن السادس عشر سلسلة من الحروب الأهلية ، وذلك عندما أخذ نبلاء الأقاليم يتنافسون على السيطرة . وأخيرا ، تمكن الجنرال الكبير هيديوشى تويوتومى فى عام ١٥٩٠ من اعادة النظام الى البلاد ، وقد دعم عمله فى اعادة السلام وتوحيد البلاد « أياسو توكوجاوا » مؤسس حكومة توكوجاوا شوجونيت . وقد تم خلال هذه الفترة الانتقالية من الحروب الأهلية (١٥٧٣ - ١٦٠٣) بناء أغلب القلاع الشهيرة فى اليابان .

الوحدة فى العزلة :

وبعد أن نصب اياسو نفسه حاكما فعليا على اليابان كلها ، أنشأ حكومته العسكرية الشوجونيت فى ايدو - طوكيو حاليا - فى عام ١٦٠٣ ، وكان ذلك بمثابة نقطة تحول رئيسية فى تاريخ اليابان . فقد أرسى « اياسو » دعائم النظام فى مختلف مجالات الحياة فى اليابان وخاصة فى المؤسسات السياسية والاجتماعية التى استمرت لمدة ٢٦٥ عاما .

وكانت احدى الوسائل الحاسمة التى استخدمتها حكومة توكوجاوا العسكرية للحفاظ على وحدة البنـاء الاجتماعى والسياسى الذى أرسى « اياسو » دعائمه ، الاقدام على غلق أبواب اليابان فى وجه العالم الخارجى ، وذلك فى عام ١٦٣٩ ٠ وكان أول من وصل الى شواطىء اليابان من الغربيين فى القرن السابق ابان عهد موروماتشى هم التجار البرتغاليون فى جزيرة صغيرة فى جنوب غربى اليابان فى عام ١٥٤٣ ، وكانوا أول من أدخل الأسلحة النارية الى البلاد ٠ ثم تبعهم – بعد سنوات قليلة – رجال الارساليات اليسوعية وعلى رأسهم القديس فرانسيس اكسافييه ومجموعات من الأسبان ، ثم من الهولنديين ، والبريطانيين ٠

ونجحت الارساليات فى التأثير على عدد كبير من اليابانيين ، خاصة فى الجنوب ، وحثتهم على اعتناق المسيحية ٠ وأدركت الحكومة العسكرية أن المسيحية قد تكون لها آثار متفجرة لا تقل خطورتها عن الأسـلحة النارية التى صحبتها ٠ وأقدمت حكومة الشوجونيت على تحريم المسيحية ومنعت دخول الأجانب جميعا ، فيمـا عدا حفنـة من التجار الهولنديين والصينيين ، الذين تحـددت اقامتهم فى جزيرة ديجيما الصـغيرة فى ناجاساكى ٠ وبقيت هذه المستوطنة الصغيرة نقطة الاتصال الوحيدة بين اليابان والعالم الخارجى طوال قرنين ونصف قرن ٠ وقد استطاع طلاب العلم اليابانيون من خلال هذا المنفذ الصغير أن يتلقنوا المعرفة مثل الطب وغيره من العلوم الغربية ، وذلك خلال الفترة الطويلة من عزلة البلاد ٠

عودة الحكم الامبراطورى :

تعرضت اليابان لضغوط متزايدة ، فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، لكى تفتح أبوابها للعالم الخارجى ٠ وفى الوقت نفسه ، كان البناء الاجتماعى والسياسى الداخلى الجامد ، الذى وضعه « اياسو » ، قد بدأ يتأثر بضغوط التطور العصرى ٠

وفى عام ١٨٥٣ وصل الى خليج طوكيو الكومودور الأمريكى ماثيو بيرى ، مع اسطول من أربع سفن ٠ ثم عاد الى اليابان فى العام التالى حيث نجح فى اقناع اليابانيين بتوقيع معاهدة صداقة مع بلاده ٠ وتبع ذلك عقد معاهدات مماثلة مع روسيا ، وبريطانيا العظمى ، وهولندا فى نفس السنة ، وهكذا انفتحت اليابان مرة أخرى على العالم الخارجى ٠

وقد أدت هذه الأحداث الى تزايد ضغوط التيارات الاجتماعية والسياسية التى كانت تقوض دعائم النظام الاقطاعى • وشهدت البلاد فترة من اضطراب الحكم استغرقت نحو عشر سنوات الى أن انهار النظام الاقطاعى لحكم توكوجا شوجونيت فى عام ١٨٦٧ ، وعادت السيادة الكاملة للامبراطور مع بداية عهد الاصلاح فى عام ١٨٦٨ •

العصر الحديث :

يمثل عهد ميجى (١٨٦٨ — ١٩١٢) عصرا من أروع العصور فى تاريخ العالم • فقد أخذت اليابان على عاتقها ، تحت حكم الامبراطور ميجى ، أن تحقق فى بضع عشرات من السنين ما اقتضى تحقيقه مئات السنين فى الغرب ، ألا وهو خلق أمة عصرية ذات صناعات ومؤسسات حديثه وتهدف الى تأسيس مجتمع عصرى •

وانتقلت العاصمة فى كيوتو الى ايدو مقر الحكومة الاقطاعية السابقة• وأطلق عليها اسم طوكيو أى « العاصمة الشرقية » •

وكان عهد الاصلاح الميجى كانفجار سد كانت تتجمع وراءه طاقات القرون السابقة • وقبل نهاية القرن التاسع عشر ، خاضت اليابان الحرب الصينية اليابانية (١٨٩٤ — ١٨٩٥) ، ثم الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ — ١٩٠٥) • وخرجت منتصرة فى الحربين ، وكان من آثارهما الرئيسية أن استعادت اليابان منطقة جنوب سخالين التى كانت قد تنازلت عنها لروسيا فى عام ١٨٧٥ مقابل جزر كوريل ، وحصلت على فورموزا وكوريا ، وكسبت بعض المصالح الخاصة فى منشوريا •

وخرجت اليابان من الحرب العالمية الأولى معترفا بها كواحدة من القوى العالمية الكبرى •

وخلف الامبراطور ميجى الامبراطور تايشو ، وفى عام ١٩٢٦ خلفه الامبراطور الحالى هيروهيتو وبدأ بذلك العهد الراهن المعروف باسم شووا •

يابان جديدة :

وفى سبتمبر ١٩٥١ ، أى بعد ست سنوات من الحرب التى مزقتها واستنفدت قواها وقبولها شروط الاستسلام ، وقعت اليابان فى سان فرانسيسكو معاهدة الصلح مع ٤٨ دولة ، واستعادت سيادتها واستقلالها فى ابريل ١٩٥٢ ·

واتسمت السنوات التالية بقدر من النمو والتطور ، وتجاوز معدل نمو الناتج القومى معدل النمو فى دول الغرب الصناعية الأكثر تقدما · وانهارت كثير من الأنماط القديمة الاجتماعية فى المدن والقرى · وأصبح السكان أكثر وعيا بالتنوع الذى تعرضه أساليب الحياة العصرية ·

وتعتبر اليابان اليوم متحفا لمختلف الفنون ومصنعا لشتى السلع ومركزا للاشعاع الفكرى والثقافى والابداع الحضارى ·· تجمع بين الماضى العريق والجديد الممتع ، تصوغه الأنامل الرقيقة المبدعة ·· الكل فى عمل دؤوب وتفانى فى الاتقان وكأنه عبادة · وكنا نسير فى الشوارع أثناء النهار فنجدها خاوية ، فكل فى عمله ، وعند الساعة السادسة نلتقى بهم عائدين فى وسائل المواصلات يغالب معظمهم النعاس ·

عادات وتقاليد :

لا يزال المجتمع اليابانى مجتمع عادات وتقاليد لا يسمح المجال هنا ، الا بذكر القليل منها على سبيل المثال :

★ فى اليومين الثالث والرابع من شهر فبراير يشترى الناس حبوب الفاصوليا الجافة ، ويشتركون معا فى القائها داخل الحجرات وهم يصيحون (أخرج أيها الشيطان وادخل أيها الحظ السعيد) ، وابقاء على الحظ السعيد لا يكنسون الحجرات فى هذين اليومين ·

★ فى الخامس من مايو يعلق أفراد الأسرة التى لها أولاد ثلاث قطع طويلة من القماش الملون تمثل سمك السلمون الكبير مرفوعا على سارية فوق البيت · والاعتقاد السائد هو أن ذكر السلمون يسبح فوق الشلال متحديا العقبات ، وعلى غرار السلمون يتمنى الأهل أن ينمو الفتى ويرتفع الى العلا قاهرا كل الصعاب ·

★ فى منتصف أغسطس يحتفلون على مدى ثلاثة أيام متوالية بمهرجان المصابيح ، حيث يشعلون المصابيح ليلا لأن البوذى يعتقد أن أرواح موتاه تعود الى الأرض فى هذه الفترة ، ويقوم الناس بزيارة أضرحة ذويهم ترحيبا بأرواح الموتى وفى اليوم الأخير يشيعون الأرواح وهى عائدة ٠

★ جبل فوجى الذى ينظر اليه بشىء من القداسة ، يحاول كل يابانى أن يصل الى قمته مرة فى العمر على الأقل ٠

★ تروى الأسطورة أن جميع القديسين يجتمعون مرة واحدة خلال شهر أكتوبر من كل عام فى معبد « ايزومو » فى محافظة « شيمانى » من أجل الترتيب لزواج الصبية والبنات ٠ لذا يحرص الطامحون فى الزواج على زيارة المعبد المذكور فى تلك المناسبة ٠

★ يصطاد اليابانيون ويأكلون مائة وخمسين نوعا مختلفا من الأسماك ٠

★ الحدائق التقليدية اليابانية هى على عشرين نمطا ، وتتخلل الحديقة عادة جسور وقنوات مياه جارية وأحجار ذات أشكال غريبـــة بما أشبه بصورة أو رسم فنى رفيع ٠ فهناك حدائق التلال وبها البرك الصغيرة وعناصر أخرى مثل الحصى ، وهنـــاك الحدائق المنبسطة ، وحدائق الشاى ٠

★ ومما هو متبع أن يرث الابن الأكبر ويعد نفسه للاضـــطلاع بنفس مهنة والده أو حرفته ٠ ولهذا تلقى كل عائلة أهمية كبيرة على تربية النشء لمواصلة المسيرة سواء فى الشركة أو المصنع أو المزرعة ٠

المـرأة :

واليابانية مثقفة ومهذبة تحب العلم والتعليم ، وهى زوجة مثالية تدرك أن نجاح زوجها رهن بتقدم شركته أو المؤسسة التى يعمل فيها ٠ فتخلق له جوا ملائما للراحة الفكرية والشعور بالسعادة البيتية ٠ وهى انسانة متفانية فى طاعة والدها وخدمة زوجها ورعاية ابنها ، وعليه يجد آدم اليابان تربة خصبة مفروشة بزهور المحبة والايناس ، والطمأنينة ، التى تدفعه الى العمل والسعى الحثيث بجد وتضحية واتقان ٠

الـدين :

كان للبوذية تأثير قوى على العقلية اليابانية فى النواحى التاريخية والسياسية والثقافية . وقد نشأ نظام ال « دانكا » الذى يقوم فيه المريدون من أى مذهب بصيانة وتمويل المعبد الذى يقع فى منطقتهم .

وتنتمى البوذية اليابانية الى بوذية ماهايانا (المسيرة العظمى) فى آسيا الشرقية ، وهى تبشر عموما بالخلاص فى الفردوس لكل فرد عوضا عن الهدف الى الكمال لذات كل واحد بمفرده ، وتمتد جذور جميع طوائف البوذية التى تزيد عن المائة الى فروع البوذية الرئيسية السبعة الأولى .

أما الشنتو فهى عقيدة يابانية محلية تأصلت فى الاعتقاد بالطبيعة وبأن الروح هى المبدأ المنظم للكون بين اليابانيين البدائيين الذين وجدوا الألوهية فى جميع ظواهر الطبيعة ، وكذلك فى أرواح الموتى . وأصبحت الشنتو تقدس الأبطال والقادة البارزين وتؤله الأسرة الامبراطورية . ويوجد فى اليابان حوالى ٨١٫٠٠٠ ضريح شينتوى . ويميل اليابانيون الى اعتناق أكثر من عقيدة دينية فى وقت واحد . وتمارس الطقوس الشينتوية عادة فى الاحتفال بالميلاد والزواج ، بينما تقام المراسم البوذية فى الجنازات ، وفى احياء الذكرى السنوية للموتى .

ومن بين أتباع الديانات الأخرى يبلغ عدد المسيحيين ما لا يزيد على ٢ مليون والمسلمين حوالى ٥٠٫٠٠٠ ويوجد مسجد واحد فى طوكيو ، وآخر فى كوبى جنوب اليابان . وقد دخل الاسلام الى هناك عن طريق الصين ، وطبعت معانى القرآن الكريم باللغة اليابانية .

المسرح :

هناك ثلاثة أشكال رئيسية للدراما الكلاسيكية اليابانية وهى « نو » و « بونراكو » و « كابوكى » . وتعتبر « نو » أقدمها عندما أخذت الطقوس والرقصات الدينية القديمة تتكامل وتتطور فى أواخر القرن الرابع عشر على يد « كانامى » و « زيامى » . وفيها يقوم الممثل الرئيسى الذى يرتدى قناعا ، بالرقص بمصاحبة الغناء والموسيقى .

أما « بونراكو » فهو شكل راق متطور من أشكال مسرح العرائس ، وفيه عرائس كبيرة تقوم بأدوار المسرحية ، وكل عروسة يقوم بتحريكها

ثلاثة من الرجال ويشترك فى أداء هذه المسرحيات أيضا الرواة « تايو » وعازفو آلة ال « شاميسين » ٠

أما « كابوكى » فتأخذ الكثير من « نو » و « بونراكو » ومن الفنون المسرحية القديمة الأخرى ٠ وقد تطورت الى شكلها الحالى فى أواخر القرن السابع عشر ٠ وكان تقديمها فى أول الأمر يقتصر على الممثلات وحدهن ، ثم انضم اليهن الشبان فيما بعد الى أن تبلورت الكابوكى فى شكلها الحالى حيث يقوم الرجال بأدائها ، مما أدى الى ظهور رجال تخصصوا فى القيام بأدوار النساء ٠ ومعظم مسرحيات الكابوكى كانت قد كتبت أصــلا لمسرح العرائس ٠

ويقدم المسرح اليابانى بالاضــافة الى التراث الدرامى الكلاسيكى الغنى ، أنواع الدراما الحديثة بالأسلوب الغربى ٠ وقد نشأ فى أواخر القرن التاسع عشر لون درامى جديد عرف باسم « شيمبا » يعتبر بمثابة جسر بين التراث القديم والدراما الحديثة ٠

ومنذ حــوالى ٨٠ عاما بدأت تظهر فرق تمثيلية لتقديم الدرامـا بالأسلوب الغربى ، لمشاهير الكتاب مثل شكسبير ، الى الروايات الحديثة لكتاب المسرح المعاصرين من يابانيين وأجانب ٠

اللغة اليابانية :

لا تعرف على وجه التأكيد أصول اللغة اليابانية ٠ ودلت الأبحاث على وجود بعض التشابه بين اللغة اليابانية ولغات الجزر البولينيزية ، ولكن ليست هناك شواهد كافية لتقرر أنها من أصل بولينيزى ٠

وخلال القرن الثالث الميلادى دخلت الفلسفة والآداب الصينية الى اليابان (تداولت الأجيال ، قبل ذلك ، شفويا الأساطير الوطنية والحكايات والقصائد) ٠ وبعد أن تعلم اليابانيون القراءة والكتابة باللغة الصينية ، بدأوا يقومون بتجارب على الحروف الصينية التى استخدموها لقيمتها ٠ وأمكن بالتدريج تطوير نظام كتــابة يابانى مبنى على الحروف الصينية أصلا ٠ ولما كانت الصين ذات تاريخ ثقافى حضارى أقدم بكثير من تاريخ اليابان ، فقد أخذت الأخيرة الكثير من الكلمات الصينية وضمتهــا الى مفرداتها ٠

وترتب حروف اللغة اليابانية ، مثل الصينية ، اما فى أعمدة ، وتكتب من أعلى الى أسفل ، أو من اليمين الى اليسار أو من اليسار الى اليمين ٠ونجحت أخيرا حركة تبسيط نظام الكتابة فى ١٩٤٧ عندما أصدر وزير التربية اليابانى تغيرات هامة ٠ وبسطت كثير من الحروف ، وقل عددها من أكثر من أربعة آلاف الى أقل من ألفين للاستخدام فى الصحف ، والمجلات ٠

واستجابة لانتعاش اللغة اليابانية المتزايدة فى الخارج والاقبال على تعلمها ، تقوم اليابان حاليا بانشاء مركز لدراسة اللغة اليابانية فى مدينة أوراوا بمقاطعة سايتاما ، على أن يبدأ عمله فى ١٩٩٠ ، حيث سيقدم المساعدات لتدريس وتعلم اللغة اليابانية ٠

الادب :

بلـغ عدد الكتب الأدبيـــة التى نشرت فى اليابان عام ١٩٨٥ : ٨٫٤٢٩ كتابا محققة نسبة ٢٨٪ من اجمالى الكتب التى نشرت طـوال السنة ، وهذه النسبة هى أكبر نسـبة يحققها نوع واحد من أنـواع الكتب ٠ وتختص ثمانى مجلات رئيسية شهرية بالأدب ٠ ويبلغ عدد الجوائز الأدبية الكبرى التى تمنح بانتظام فى مجالات الشعر والرواية والمسرح والتعليق والمقـال ٢٧ جائزة ٠ وأشـهر هـذه الجوائز جائزة « آكوتاجاوا » وجائزة « ناؤكى » اللتين تواصل احدى دور النشر الكبرى منحهما منذ عام ١٩٣٥ ٠

وتعود بدايات الأدب اليابانى الى عصر ما قبل ظهور الكتابة فى اليابان ، وبدأ تسجيله كتابة نقلا عن حافظيه فى أوائـل القرن الثامن الميلادى ٠ وقد جمع فى كتابين ، الأول هو « كوجيكى » (سجل الأحداث القديمة) ويرجع تاريخه الى عام ٧١٢ ٠ والثانى هو « مانيوشو » وهو مجموعة من الأشعار نظمها شعراء عديدون فى كل مناحى الحياة ، وتم جمعه حوالى سنة ٧٧٠ ٠ وظهر فى تلك الفترة أيضا شكل من أشكال الشعر يحتوى على ٣١ مقطعا (٥ ـ ٧ ـ ٥ ـ ٧ ـ ٧) ويعرف باسم « تانكا » ٠ وفى عام ٩٠٥ نشر كتاب « كوكينشو » وهو مجموعة من الشعر القديم والحديث ، وكان أول كتاب يأمر بوضعه أحد أباطرة اليابان ٠

وقد لعبت نساء البلاط الدور الرئيسى فى تطـور الأدب فى عهد الثقافة الارستقراطية والبذخ الذى ازدهر فى أوائل القرن الحادى عشر ٠ ومن بين سيدات البلاط اللاتى اشتهرت « شيكيبو موراساكى » التى كتبت « جينجى مونـوجاتارى » (قصـــة الجينجى) من ٥٤ جـزءا ٠ و « شوناجون سيى » التى كتبت « ماكورا نوسوشى » (كتاب الوسادة) وهو مجموعة من المقالات ٠ وفى حوالى عام ١١٠٠ أضاف ظهور كتاب « كونجاكو مونوجاتارى » (قصص من المـاضى والحاضر) بعدا جديدا للأدب ٠ وهذه المجموعة التى تضم أكثر من ألف قصة بوذية من الصين والهند واليابان تتميز بروعة وصفها لحياة النبلاء وعامة الشعب ٠

وفى النصف الثانى من القرن الثانى عشر تمكنت عشيرة « تايرا » من الاستيلاء على السلطة فى القصر الامبراطورى ، واستطاعت أن تكون طبقة ارستقراطية جديدة ٠ وفى النصف الثانى من القرن الثالث عشر اكتمل كتاب « هيكى مونوجاتارى » (قصة هيكى) وهو يصف قصـة صعود عشيرة « تايرا » الى المجد ثم انكسارها بعد ذلك ، مركزا على حروب هذه العشيرة مع عشيرة الزعيم « ميناموتو » (جينجى) ٠ والكتاب ملحمة كبيرة تقوم على الأخـلاق البوذية وتمتلىء بالأسى للأبطال الذين سقطوا ، وتمتلىء أيضـا بالوصف الحى لمختلف الشـخصيات ومواقف المعارك المؤثرة ٠ وكانت هذه الملحمة تروى فى الماضى على أنغام العود اليابانى « البيوا » ، لهؤلاء الذين لم يتمكنوا من القراءة ، فكانوا يذرفون الدموع اذا ما استمعوا اليها ٠ وظلت هذه الحكاية التى تصور الشجاعة والكرب ولعدة أجيال تؤثر تأثيرا عظيما على الروح اليابانية ٠

وفى عام ١٢٠٥ قام « تيكافوجيوارا » بجمع كتاب « شين كوكين وأكاشو » (المجموعة الجديدة للشعر القديم والحديث) ، وهى مجموعة شعرية لمتابعة الجمال الكامل الذى يبتعد كل البعد عن الواقع الدنيوى الذى يضطرم بالصراع بين العشائر ٠

أما كتاب « تايهيكى » الذى يصف فترة ٥٠ عاما من الصراع على السلطة بين اثنين من الأباطرة ، فيعد سجلا هاما للتاريخ (من ١٣١٨ الى ١٣٦٧) ٠ وقد شهد القرن الرابع عشر أيضا أدب العزلة ويتمثل فى كتاب « تسوريزوريجوسا » (مقالات فى الاسترخاء) وهو عمل يمتاز بتأمل ثاقب للحياة ، كما يتمثل فى كتاب « هوجوكى » (قصة الكوخ الذى أعيش فيه) الذى كتبه « تشومى كامو » وفيه يتناول فكرة عدم دوام الحيـاة ٠ وكل من هـذين الكتابين يثير مشكلة الخـلاص الروحى للانسان ٠ أما مسرحيات نو التى بلغ بها « كانآمى » وابنه « زيآمى »

حد الكمال الأدبى فهى ذات قيم أدبية كبيرة ، وكتاب « كادينشو » لزيآمى يعتبر دراسة رائعة عن فن المسرح ٠

وفى حوالى ذلك الوقت انتشر الأدب وانتشرت شعبية ال « رينجا » بين الناس يستمتعون بها فى أوقات فراغهم ٠ وهى عبارة عن مباراة للربط بين أبيات من الشعر لتكون قصيدة طويلة ٠ وقد أدى هذا الانتشار الى ظهور ما يعرف باسم « هايكو » ، وهى أشعار من ثلاثة أبيات ذات ١٧ مقطع (٥ ـ ٧ ـ ٥) كقالب جديد للقصائد ٠ وهو تجسيد للرشاقة والبساطة والهدوء ٠

وفى أواخر القرن السابع عشر ظهر عملاقان فى مجال النثر هما « سايكاكو ايهارا » الذى كان واقعيا فى وصفه لحياة التجار فى أوساكا ، والذى غالبا ما يقارن ببلزاك و « مونزايمون تشيكاماتسو » الذى كتب مسرحيات للعرائس والكابوكى ويسمى أحيانا شكسبير اليابان ٠ وبعد ذلك ظهر « بوسون يوسانو » ليكتب شعر « هايكو » الرائع يصف فيه جمال الطبيعة ٠ وظهر « آكينارى أويدا » الذى كتب مجموعة من قصص الرعب تحت عنوان « أوجيتسو مونوجاتارى » (قصص عن ضوء القمر والأمطار) ٠

وفى عهد ال « ميجى » (١٨٦٨ ـ ١٩١٢) كتب « شيمى هوتاباتيى » رواية « أوكيجومو » (السحب السابحة) ليتلقفها النقاد مرحبين بها كشكل جديد للرواية اليابانية ٠ وفى دوائر الشعر أدى تأثير القصائد الأجنبية المترجمة الى ظهور حركة « الأسلوب الجديد » فى الشعر ، بينما أخذت أشكال الأدب تتنوع وتزداد ٠ وتعكس أعمال الروائيين « أوجاى مورى » و « سوسيكى ناتسومى » تأثرهما بالأدبين الألمانى والانجليزى على التوالى ٠ وذلك بعد قدومهما من بعثتيهما ٠ وتعهد « ناتسومى » أثناء خدمته كأستاذ للأدب بجامعة طوكيو برعايته العديد من الشخصيات الأدبية الموهوبة ٠ ومن بين هذه الشخصيات « رايونوسوكى اكوتاجاوا » الذى كتب الكثير من الروايات والقصص القصيرة معتمدا على معرفته الدقيقة بالأعمال الكلاسيكية اليابانية ٠ وكان انتحار « أكوتاجاوا » رمزا للعذاب الذى كانت اليابان تعانيه عبر مراحل انتقالها السريع الى العصر الحديث ، هذا العذاب الذى يشكل موضوعا رئيسيا للأدب اليابانى الحديث ٠

لقد سيطرت الطبيعة والواقعية التى دعا اليها اميل زولا على دنيا الأدب اليابانى خلال السنوات العشر الأولى من القرن العشرين ٠ ويمثل

هذه المدرسة فى اليابان « توسون شيمازاكى » وتشتهر بالرواية الذاتية التى تروى على لسان البطل · وقد لاقى هذا النوع من الرواية نجاحا كبيرا فى اليابان ·

وعرفت اليابان قبل الحرب العالمية الثانية عددا من التيارات الأدبية مثل الأدب العمالى والأدب الحسى الجديد · وماتت هذه التيارات أثناء الحرب ثم عادت لتحيا بعد ذلك من جديد لتشهد ميلاد الكثير من الأعمال الأدبية ·

ومنذ الحرب ، تم تقديم عدد متزايد من الأعمال اليابانية فى الخارج ، ترجمت معظمها الى الانجليزية ، وأصبحت هـذه الأعمال تقرأ الآن على نطاق واسع ·

وفى عام ١٩٦٨ منح « ياسونارى كاواباتا » جائزة نوبل للأدب · وترجمت أعمـاله مثل « يوكيجونى » (بـلاد الجليـد) و (كيوتو) و « سنبازورو » (الألف كركى) · كما ترجمت الكثير من أعمال الكتاب المعاصرين مثل : « يوكيوو ميشيما » و « كوبو آبى » و « كينزابورو أوى » · وهكذا أخـذ الأدب اليابانى يجذب عددا متزايدا من القراء ، ويساعد فى تنمية الأذواق الأدبية فى أنحاء العالم ·

معالم فى الطريق :

من الجدير بالانتباه السرعة التى ازدهر بها الأدب اليابانى بعد تطور نظام الكتابة ، وغناه فى تنوع القوالب الأدبيـة ، وحيويته المستمرة ، والتطور المتشـعب تحت نفوذ الأدب الغربى · ونقدم هنا بعض المعالم البارزة فى طريق الأدب اليابانى علها توضح لنا صورة التكوين العام لهذا الأدب :

★ كوجيكى (سجل الأحداث القديمة) ·

أقدم الكتب باليابانية ويشتمل على أساطير وقصص وقصائد عتيقة حول خلق العالم ، وأصول اليابان وأحداثهـا التاريخية ، ولو أنه من الصعب أن نفرق بين الأسطورة والواقع · وقد شجع على كتابته الامبراطور تيمو ، وتم سنة ٧١٢ بعد وفاته ·

★ **المانيوشو** · ومعناها الحرفى : مجموعة من عشرة آلاف بيت من الشعر·

نظم هذه القصائد ما يقرب من مائتين وستين شاعرا ، يمثلون مختلف الطبقات الاجتماعية على امتداد أربعمائة سنة ، تبدأ من القرن الرابع وتنتهى حوالى منتصف القرن الثامن وتتنوع فيها الموضوعات والأساليب ويسود فيها التعبير بنغمة مباشرة فجة ·

★ **سانجوشييكى (ارشادات فى المذاهب الثلاثة)** ·

يتحدث عن الديانات الثلاث : الكونفوشيوسية ، والتاوية ، والبوذية التى يعتبرها أعظم الديانات وأكثرها عمقا · وكاتبه هو الراهب المشهور « كوكاى » (٧٧٤ ــ ٨٣٥) الذى يعرف باسم المعلم العظيم ومؤسس مذهب شينجون البوذى فى اليابان ·

★ **تاكيتورى مونوجاتارى (قصة قاطع الخيزران)** ·

من أقدم قصص السلف النثرية · قصة الأميرة (كاكويا) التى عثر عليها قاطع الخيزران العجوز ــ وعندما كبرت ونضج جمالها ، أقبل من يخطب يدها ، لكنها وضعت شروطا يصعب تحقيقها ، وفشل الرجال جميعا ، وذات ليلة اكتمل فيها القمر ، وعادت الى مملكة القمر ·

ومثل هذا موضوع شائع ومألوف فى قصص ألف ليلة وليلة وفى أندرسن ، والاخوة جريم ، وبيرولت الا أن فى هذه القصص ترضى عادة الفتاة القادمة من عالم ما وراء الأرض أن تصبح انسانة زائلة فى سبيل الحب . وتتنكر لقدرها الأعلى · ويتساءل الناقد الفرنسى جاك بيزو ، « ألا يمكن أن يكون هذا انعكاسا للتشاؤم اليابانى ؟ ان مصير الانسان مصير تعس · لا تجد فيه امرأة من عالم آخر أية جاذبية · ترى ألأن الحب فى اليابان ليس قويا الى هذا الحد ؟ ·· أو لأن الحب ليس كونيا وأن المخلوقات الغامضة من العالم الآخر لا تستطيع أن تمارسه » ·

★ **ماكورا نوسوشي (كتاب الوسادة) ٠**

للكاتبة شوناجون سيي (٩٦٦٥ ـ ١٠٢٠ تقريبا) ، وهي تنحـدر من أسرة أرستقراطية مثقفة ، وقد اكتسبت عطف الامبراطورة بسبب قدرتها الأدبية ٠

وكان كتاب الوسادة بشيرا لشكل أدبي ياباني أصيل معروف باسم زويهيتسو (كتابات عارضة) أو (مذكرات عابرة) استمر حتى الوقت الحاضر ويحتوى على بعض من أروع الأعمال ذات القيمة العالية فى أدب هذه البلاد ٠

★ **جنجي مونوجاتاري (حكاية جنجي) ٠**

أول رواية كاملة ، ومن أعظم روائع الأدب اليابانى الكلاسيكى ٠ تقع أحداث الفصول الاحدى والأربعين الأولى فى الخلفية المبهرة لبلاط هيآن وتصور حياة هيكارو جنجي الأمير اللامع ذى الوسامة والكمال اللذين لا يباريه فيهما أحد ٠ ويتابع هـذا الجزء من الكتـاب علاقاته الغرامية المتعددة وانجازاته التى لم يسبق لها مثيل ٠ ولكنه يسجل أيضا أحداث حياته التالية المحزنة وسنوات عمره الأخيرة المضطربة بعد سقوطه من عليائه ٠ والفصول الثلاثة عشر الأخيرة من الرواية تقع فى جو مختلف تماما يصبح فيها ابن جنجي الشخصية الرئيسية ، ويصبح الموضـوع البارز هو الصراع بين العواطف الانسانية ، والبحث عن الحقيقة ٠

والمؤلفة ، شيكيبو موراساكي (٩٧٨ ـ ١٠١٤ تقريبا) احدى أفراد عشيرة فوجيوارا القوية ، وعملت بالبلاط بعد وفاة زوجها ٠

★ **كونجاكو مونوجاتاري (حكايات أحقاب سالفة) ٠**

هى أكبر مجموعة من أساطير اليابان فى العصور الوسطى جمعت خلال القرن الثانى عشر ٠ عددها ١٠٦٥ اسطورة من مصادر التراث الهندية والصينية واليابانية ٠ وقد جمعت أصلا كحكايات توضح التعاليم البوذية ٠ والجزء اليابانى يتنـاول كل طبقة فى المجتمع من الأباطـرة

والأرستقراطيين الى اللصوص والشحاذين · رأى أكوتاجاوا فيها نضارة وعبر بأنه كلما فتح كتاب « كونجاكو » بدا له أنه يسمع الناس الذين عاشوا فى تلك الأيام يرسلون صرخات الحزن والمرح ·

★ **هايكى مونوجاتارى (حكايات الهايكى) ·**

لا بد لمن يرتفع أن يسقط « حتى الجبار يسقط · والمتكبرون أيضا لن يبقوا طويلا » ·· فكرة الزوال البوذية وهى النغمة التى يسمع صداها من أول فقرة فى هذا الكتاب ، الذى يعد من الروائع التى تمثل التسجيلات العسكرية العديدة التى كتبت فى الفترة التالية للسنوات المضطربة من الحروب الأهلية فى اليابان فى العصور الوسطى · انها صورة حية لعشيرة الهايكى من قمة قوتهم الى أن هزمتهم أخيرا عشيرة الجنجى · ولذلك كان وصف مسارح المواقع الحربية كثيرا وبرؤية واضحة · وكتب العمل كله شعرا ·· يسرد الحكايات البطولية التى تفيض حزنا · وكان يتلوه كثير من المغنيين العميان وهم يعزفون على آلة وترية تسمى « بيوا » آلة العود اليابانى · وكان المشاهدون ينصتون بانتباه ويذرفون دموعا غزيرة · وقد كان أثر هذا العمل على وجدان الأجيال التالية من اليابانيين عظيما جدا ·

★ **تانيشو (مقتطفات من شينران) ·**

مجموعة من أقــوال شينران (١١٧٣ ــ ١٢٦٢) منشىء مذهب الأرض الطاهرة ، الذى يضم اليوم أكبر عدد من أتباع البوذية فى اليابان ·

كتبها يوئين ، تلميذ شينران ، وبعد وفاته · وفى أوقات الحروب المضطربة ، كان الناس يتطلعون الى راحة النفس ، وقد جذبهم هــذا الأسلوب الجديد من الايمان ·

ويضم الكتاب تعاليم شينران فى سنواته الأخيرة · وبفضل أسلوب يوئين الحماسى أصبح عملا أدبيا رائعا · ولقد جذب هذا الكتاب الاهتمام

الشديد بسبب الطريقة التى سار بها منطقه • والنص التالى يعتبر نقطة جدل : « اذا كان الصالحون سيولدون ثانية فى الأرض الطاهرة ، فكم سيولد بها من الأشرار ؟ » •• لأن الأشرار قد حرموا من قدرة الحصول على الخلاص بأنفسهم ، لذلك كانوا بالأولى موضوع اهتمام الاله العظيم •

★ **تسوريزور يجوسا (مقالات فى الاسترخاء) •**

كتبه كينكو يوشيدا (١٢٨٣ ــ ١٣٥٣ تقريبا) الذى ولد فى عائلة من كهنة الشنتو ، وحظى بالتعليم والثقافة السائدين فى الطبقة الأرستقراطية ، ثم أصبح راهبا بوذيا يعيش حياة العزلة • ويعبر فيه عن آرائه فى الحيـاة والحب والطبيعة ، وعن حالته العقلية فى الخـلوة والاسترخاء • وهكذا كتبه وفق تداع حر للأفكار • وهذا الأسلوب فى الكتابة ينتمى الى نوع من الأدب اليابانى معروف باسم زويهيتسـو وهو مألوف حتى اليوم عند أدباء يابانيين كثيرين •

ان أسلوب كينكو مشهور للغاية ، ولعل تأثيره على الكتابة اليابانية ، فيما بعد ، كان ذا أهمية قصوى ، كتأثيره على المثاليات الجمالية والسلوكية عبر الأجيال المتلاحقة • ذلك لأن أسلوبه أصبح جزءا من تعليم كل طفل يابانى وجزءا من النظرة الثقافية لليابانى العادى • ورأيه البوذى بأن كل شىء زائل يعتبر شيئا مألوفا بالنسبة لليابانى المعاصر •

★ **سوجا مونوجاتارى (حكاية الأخوين سوجا) •**

وهى قصة بطولية يرجع تاريخها الى العصور الوسطى ، وتحكى عن الانتقام الذى قام به الأخوان سوجا من عدو أبيهما فى أسفل جبل فوجى ، بعد أن قاسيا من المتاعب خلال نيف وثمانية عشر عاما • والكاتب غير معروف الا أن النقاد يفترضون أنه كاهن بوذى ، ثم توارثتها الأجيـال المتعاقبة • وكانت تقوم بترتيلهـا نساء ضريرات ، فانتشرت بين عامة الناس • وقد أضيفت للقصة تراتيل « نو » ورقصات العصور الوسطى والدراما الشعبية ومسرحيات « كابوكى » فى القرون اللاحقة • فهى قصة

مأسوية لمن لا حول لهم من الناس الضعفاء الذين يقاسون بامتثال ، حتى يحققوا أهدافهم ويموتون فى سبيلها ٠٠٠ وكانت دائما تجتذب اليابانيين بشدة ٠

★ أعمال « نو » ل : زيآمى

« نو » هو أحد الأشكال المسرحية التى تنفرد بها اليابان ، وتأخذ أصولها من مصدرين ٠ فهو من ناحية يعتبر تطويرا للمحاكاة والألعاب البهلوانية الصينية ابان حكم عائلة تانج ، ومن ناحية أخرى يعتبر امتدادا للرقصات التى تؤديهـا المجتمعات الزراعيـة لتتضرع للآلهة أن تهبهم محصولا وفيرا ٠ والرجل الذى جمع بين أحسن خصـائص المصـدرين وابتدع الشكل الأصلى لمسرح « النو » كما يقدم اليوم هو كانامى ٠ وجاء ابنه زيآمى وارتفع بالشكل الجديد الى درجة الكمال ٠

وبالاضافة الى أن زيآمى (١٣٦٢ تقريبا ـ ١٤٤٣) كان من كتاب مسرح « نو » البارزين ، فانه كان أيضا ممثلا ومخرجا متكاملا ، وقد ترك كتابات نثرية مدهشة فى النقد الأدبى وتطويره لنظرية « نو » ٠ والمثل الجمالية التى عبر عنها فى هذه الكتابات وضمنها بالحقائق المسرحية والحيوية الفنية التى تزيد كثيرا عما هو مطلوب من رجل المسرح المثالى ٠

★ تايوى زوشى (مجموعة أغانى مزارعى الأرز) ٠

ويقال أنها جمعت خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ٠ ومن المعروف ان الأرز يعتبر غذاء أساسيا لليابانيين ، ولذلك تعتبر زراعته أهم أحداث السنة فى ربوع القرى الزراعية ٠ وبجانب كونه عملا يتطلب تعاون كل أهل القرية ، فانه كان يتم فى اطـار احتفـالات دينية ، تقام فيها الصلوات من أجل وفرة المحصول ٠ وتعتبر أغانى زراعة الأرز نوعا من أغانى العمل ، كما تعتبر فى الوقت نفسه أغـانى للاحتفالات الدينية ٠

★ **سايكاكو ايهارا (١٦٤٢ - ١٦٩٣) ٠**

عرف بأنه أعظم كاتب قصة فى عصر الايدو ٠ ولد فى أسرة من التجار ، وبدأ يكتب كشاعر هايكو ذى انتاج غزير ، وبعد أن وصل الى الأربعين من عمره تحول الى كتابة الرواية ٠ ويمكن تقسيم أعماله الروائية الى ثلاثة أنواع : كتب الحب والجنس ، وتتناول الأحاسيس الانسانية ، وكتب تأخذ موضوعاتها من الساموراى ، بقانونهم الأخلاقى الخاص ، وكتب عن سكان المدن تتناول التجار ، والحرفيين فى المدن ، والى جانب هذه الكتب ، هناك مجموعة من الأساطير تقوم على المأثورات المحلية مثل (حكايات من أقاليم عديدة) وشكلها الأدبى هو (الرواية القصيرة) التى ظهرت فى ايطاليا فى عصر النهضة كما فى « ديكاميرون » لبوكاشيو ٠ وكتب سايكاكو فى مقدمة هذا الكتاب « هناك ظواهر غريبة عديدة فى هذه الدنيا ، وليس هناك أغرب من الانسان نفسه ! » ٠ ويحظى سايكاكو بتقدير عظيم حتى اليوم ككاتب روائى مرموق ، بسبب دقة ملاحظته للمجتمع الذى عاش فيه وتصويره الحى لحقائق الحياة الانسانية ٠

★ **ماتسو باشو (١٦٤٤ - ١٦٩٤) ٠**

هو شاعر الهايكو اليابانى المبرز ، وحيث أن أشعار الهايكو التى كتبها تظهر باستمرار فى الكتب المقررة بالمدارس ، فانه لا يكاد يوجد يابانى لا يعرف شعر الهايكو لباشو ٠ وقد كتب خمسة كتب من يوميات الرحلات ، ومن بينها تعتبر (طرقات البلاد الداخلية الضيقة) التى كتبها فى نهاية حياته ، من أحسن أعماله ٠ لقد عاش للترحال ، ومات فى رحلة ، وقد كانت الحياة نفسها فى نظرة رحلة ٠ ولقد جاءت يومياته التى كتبها والشعر الذى ألفه من وحى الطبيعة ، والفصول الأربعة ، كما كانت من وحى آثار التاريخ المرتبط بالطبيعة ٠

★ **مونزايمون تشيكاماتسو (١٦٥٣ - ١٧٢٤) ٠**

أول كاتب مسرحى محترف فى اليابان من أصل ساموراى وأصبح مؤلفا لمسرح العرائس فى كيوتو ٠ وكتب أكثر من مائة مسرحية لمسرح العرائس وأكثر من ثلاثين مسرحية لمسرح الكابوكى ٠ ويمثل مع كاتب

القصـــة القصـــيرة المبرز « ايهـــارا سايكاكو » وشاعر الهايكو العظيم « ماتسوو باشو » ــ اللذين كانا من معاصريه ــ ثلاثيا عملاقا أسسوا العصر الذهبى للأدب فى عهد الايدو ٠

★ يوسا بوسون (١٧١٦ ــ ١٧٨٣) ٠

أحد الأساتذة الكبار فى شعر الهايكو ــ مثل باشو ــ ولقد أضفى حيوية جديدة على أسلوب الهايكو ويطلق عليه شاعر الربيع ، لأنه يمتاز فى أسلوبه بمهارته فى التعبير عن الصور الجمالية ذات الألوان المبهرة ٠ وقد نال الاعجاب والتقدير بسبب روحه الرومانتيكية ، وحقق أحد مثل « باشو » العليا التى لم تكن قد تحققت ، وهى أن الشعر يجب أن يكون لكل انسان ٠

★ « حكايات ضوء القمر والمطر »

وكاتبها « أكيناري أوييدا » (١٧٣٤ ــ ١٨٠٩) ٠ أفضل ما يمثل قصص الأشباح اليابانية ٠ وقد كتب هذه القصص الغامضة بحبكة مبتكرة متخذا مادة له من الأدب الكلاسيكى ٠ ان الحقيقة السيكولوجية التى تبدو واضحة فى صور « أكينارى » ورحمته بأشخاص قصصه تساعد على رفع هذه المجموعة الى مرتبة أعلى من قصص الأشباح العادية ٠ فهى تقدم عالما من الأحلام وصف بأسلوب يفيض بالجمال الشعرى الرشيق ، وتمثل احدى الانجازات الرائعة لأدب عصر الايدو ٠ ولهذه القصص تأثير على الرواية اليابانيـــة الحديثة ، كما يمـــكن أن نرى فى كتابات « كيوكا ايزومى » و « هاروو ساتو » و « يوكيو ميشيما » وآخرين ٠

فهى مجموعة قصصية مثيرة غامضة وتبعث البرودة فى الأوصال ، وتعتبر عملا فنيا جميل الصنعة ، ومن أكثر الأعمال المحيرة فى الأدب اليابانى ٠ ويقيم « أوييدا » توازنا دقيقا بين الخيال والتاريخ ، وتحوم كل قصصه حول الأحلام والحقيقة ، وتذكرنا بأن التمييز بين الوهم والحقيقة ليس واضحا كما نظن ٠

وتبين كثير من القصص ما لقوة العاطفة والشهوة من تأثير على الانسان ، فنرى كيف أن روح الامبراطور سوتوكو الحقود تثير حربا أهلية للانتقام من أعدائه ، وأن الكاهن العظيم سايجيو يعجز عن أن يقنعه بالعدول · ونرى فلاحا شرها يهجر زوجته المخلصة فى سعى عقيم وراء الثروة · ونرى أن الكاهن الذى تحول الى سمكة يستسلم للجوع ، ومن ثم يبتلع طعم الصياد · ونرى كيف أن طالبا شابا جميلا تسلب لبه أفعى داعرة · ونرى كاهنا بارا يلتهم رفات حبيبته الشابة ·

وفى كل قصة نجد أن قوة الفضيلة تقف فى مواجهة سفه الانسان وجشعه ، لكن « أوييدا » يدرك أن الفضيلة لا تسيطر دائما على العواطف البشرية . وأن هذا الادراك هو ما يجعل « حكايات ضوء القمر والمطر » عملا انسانيا مؤثرا وفى نفس الوقت مقلقا بعمق ·

★ ايتشييو هيجوتشى (١٨٧٢ ـ ١٨٩٦) ·

كاتبة ذات قدرة غير عادية ، كانت تكتب الشعر والرواية ، ومنحت جائزة « مورى أوجاى » عن روايتها القصيرة « تاكيكورابى » (مقارنة الارتفاعات) · وبسبب عملها الدائب أصابها مرض الرئة ، وماتت فى الرابعة والعشرين · وكانت أول من نادى فى اليابان بتحرير المرأة ، واحدى العلامات المضيئة فى تاريخ الأدب اليابانى ·

كتبت ايتشييو (الليلة الثالثة عشرة) وهى فى الثالثة والعشرين من عمرها وتعبر فيها عن احتجاجها على استعباد النساء ، وكذلك على طغيان الطبقة الحاكمة وكلاهما كان سائدا فى ذاك الوقت ·

انها تصـوغ المأساة بمهارة وتأثير فنى على خلفية من شجـــر الصفصاف وحشائش البرارى المتموجة فى ضوء القمر وقت الحصاد ·

★ شيكى ماساأوكا (١٨٦٧ ـ ١٩٠٢)

يعتبر واحدا من الشعراء الأربعة العظام فى اليابان ، ويقف على قدم المساواة مع باشو ، وبوسون ، وايسا · وأعطى لأشعار الهايكـــو والتانكا التقليدية حياة جديدة فى العصر الحديث · صور أحاسيسه عارية وقدم شيئا سيكلوجيا معقدا جديدا وأقام علاقة حديثة تماما مع القارىء ·

★ **أوجاى مورى (١٨٦٢ – ١٩٢٢)**

عمل كجراح عام بالجيش اليابانى ، وكان فى نفس الوقت روائيا مرموقا وكاتبا مسرحيا ، وناقدا ، ومترجما • ولما عاد من الدراسة فى ألمانيا عمل الكثير من أجل تقديم الآداب والجماليات الأوربية فى اليابان • وكان يكتب فى نفس الوقت رواياته مثل (الفتاة التى كانت ترقص) و (الحياة الجنسية) كنوع من أنواع المعارضة للأدب الطبيعى الذى كان شائعا فى نهاية عهد الميجى •

★ **سوسيكى ناتسومى (١٨٦٧ – ١٩١٦)**

يعتبر شخصية جذابة عند الغربيين كواحد من كبار المفكرين فى عصر الميجى ، وقد جعلته معرفته العميقة بالآداب الكلاسيكية الصينية مع دراساته الواسعة التى قام بها فى الآداب الأوربية وخاصة فى الأدب الانجليزى ، واحدا من هؤلاء الأكفاء المتازين فى تقدير قيمة الفكر الغربى وكذا عيوبه •

ومن أشهر رواياته « أنا قطة » و « بوتشان » و « سانشيرو » و « وبعد •• » • وفى الأخيرة يقيم العهد الميجى ، وقد أحس أن اليابان قد بالغت فى تقدير الثقافة الغربية ، ويصف المتناقضات والصراع الروحى والمشكلات الكثيرة التى لا حل لها ، وأحزان الانسان الذى اضطر أن يتخلى عن آرائه القديمة ، وان لم يكن شديد التطلع الى أن يقبل الجديد

هذا وتعتبر دراسة سوسيكى وخاصة رواية « وبعد •• » ضرورية للأجنبى الذى يريد أن يفهم الشعب اليابانى •

★ **توسون شيمازاكى (١٨٧٢ – ١٩٤٣)**

أصبح معروفا كشاعر وهو ما زال شابا يافعا • وقد نشر بعد ذلك كثيرا من الروايات منها « بها كاى » (القيادة المكسورة) •

وقد كتب أحسن رواياته (قبل الفجر) فى سنة ١٩٢٩ ، وجعل منها توسون رواية تاريخية تصور – بصدق – التغيرات السريعة التى حدثت فى اليابان قبل عصر الميجى مباشرة وبعده •

★ جونيتشيرو تانيزاكي (١٨٨٦ – ١٩٦٥)

وقف فى اتجاهه الجمالى ونظرته فى الأدب « الفن للفن » معارضا للحركة الطبيعية التى كانت سائدة فى اليابان . وكتب أعمالا مرموقة مثل « أشيكارى » و (صورة شونكين) و (قطة) و (شوزو) و (امرأتان) .

وقد بدأ كتابة « الاخوات ماكيوكا » ابان الحرب العالمية الثانية ، وأكملها بعد نهاية الحرب ، وهى رواية طويلة تقدم نموذجا لأسرة يابانية فى أوساكا قبل الحرب .

★ رايونوسوكى أكوتاجاوا (١٨٩٢ – ١٩٢٧)

تبنته وهو طفل أسرة « أكوتاجاوا » بعد أن جنت أمه .

وقد تركت فيه هذه التجربة المبكرة ندوبا بقيت طول حياته ، وأثرت فى طبيعة كتاباته . استقى كثيرا من موضوعات قصصه من الأدب الكلاسيكى .

ولقد سبق لى أن قمت بترجمة بعض قصصه القصيرة فى عام ١٩٥٨ ، مثل : (خيط العنكبوت) ، (فى الدغل) و (عصيدة اليام) و (راشومون) ، وأذيعت الأخيرة فى البرنامج الثانى لاذاعة القاهرة .

وهناك وجوه عديدة للتشابه بينه وبين « ادجار آلان بو » ، وكلاهما كان على درجة كبيرة من الحساسية نحو المؤثرات الحسية ، ومن رأيهما أن الفن هو الذى يقدم القيمة الوحيدة الدائمة فى دنيا الشر الزائلة . ولهذا كان الشكل والأسلوب على أهمية كبيرة ، وتفوق كل منهما فى القصة القصيرة ، وصور الأحوال النفسية ، والرعب ، والحزن ، والكراهية ، واليأس . وهناك تشابهات كثيرة ، مثلا العاطفة المدمرة للفنان « يوشيهيدى » فى (صور من الجحيم) حيث يقدم تحفة مضحيا بالنموذج (الموديل) تشبه قصة « بو » (الصورة البيضاوية) ، وكذلك قصة توماس مان « تونيو كروجر » عندما يسيطر الدافع نحو الكمال الفنى على الفنان ويجرده من انسانيته . ولكن عمل أكوتاجاوا أعظم

بكثير · انه الاحساس الكئيب بالذات ذلك الذى مكن هؤلاء الكتاب الثلاثة من التعمق فى مناطق سيكولوجية تخفى ـ عادة ـ عن الآخرين ·

وقد انتحر بعد خمسة شهور من كتابة رواية « كابـــا » ، وهى رواية فكاهية تنتقد المجتمع البشرى ، اسمها مأخوذ من حيوان خيالى يعتقد اليابانيون أنه يعيش على حافة المياه · وتتناول كلها تقريبا عالم مخلوقات من دنيا الخوراق فى الفولكلور اليابانى · والبطل مثل كثير من أبطال « بو » ـ مجنون جزئيا ، ولكنه عاقل لدرجة أن يجعل الخوارق تبدو حقيقية كما فى الحياة اليومية · ولا جدال أن أكوتاجاوا كان على معرفة بكتابات « سويفت » وأن الدخول الى بلاد كابا يتشابه مع (اليس فى بلاد العجائب) · ومع ذلك فتعتبر كابا عملا أصيلا يشهد على قوة خيال « أكوتاجاوا » · قد يكون قد استخدم أفكارا لكتاب غربيين تماما كما استفاد من حكايات الصين واليابان القديمة ، مثل شكسبير والكتاب الآخرين الذين استغلوا تاريخ وآداب الاغريق والرومان ، ولكنه جعل من كل هذا شيئا خاصا به ·

ومازال الكتاب ـ رغم جوانبه الســـلبية ـ يقرأ بمتعة ان لم يكن ببهجة ، فمن علامات العبقرية تلك اللمحات الفكاهية اللامعة · وقد منعت الظروف والصحة المعتلة ـ جسمانيا وعقليا ـ أكوتاجاوا من أن يكتب الأعمال العظيمة التى تتوقعهـــا من الكتاب الكبار ، ولكن كمـــال بعض قصصه القصيرة مهد له مكانا بين هؤلاء الذين منحوا موهبـــة توصيل لمحات من الجمال الخالد من خلال فنهم ·

★ نائويا شيجا (١٨٨٣ ـ ١٩٧١)

كاتب قصة قصيرة بارع ، وكتب رواية واحدة ذات أبعاد واسعة ، استغرق اتمامها ثلثى عمره الطويل ·

سمى بأعظم من كتب الكلمة المكتوبة لأسلوبه المثالى ، وقد عبر عن احساسه بالانسانية فى جمل ذات جمال غير عادى تبدو فيها الكلمـــات كلآلىء تمتزج فى قطعة من البلور المضىء الساحر ·

★ ياسوناری كاواباتا (١٨٩٩ - ١٩٧٢)

منح جائزة نوبل فی الأدب سنة ١٩٦٨ ولكنه انتحر بعد ذلك بأربع سنوات لأسباب غير معروفة · ظهرت موهبته كروائی لأول مرة حين نشرت له (راقصة الايزو) سنة ١٩٢٦ ، وقد رسخت شهرته بظهور (بلد الجليد) سنة ١٩٣٥ و (الألف كركی) و (صوت الجبل) اللتين كتبهما بعد الحرب العالمية الثانية ، فهما تتناولان أحداثا عادية جدا من تلك التی تحدث كل يوم ، لكنها تستحوذ بادراك رقيق على الاحساسات الغامضة التی تكمن فی اللا شعور الانسانی مقدما اياها بطريقة عرضية ·

★ تتسورو واتسوجی (١٨٨٩ - ١٩٦٠)

كان أستاذا للفلسفة فی جامعة طوكيو · وقام بدراسات فی فلسفة نيتشه وكيركيجارد ، ثم تحولت اهتماماته الى دراسة الثقافة اليابانية ، وأصول البوذية والمسيحية ، وحاول على أساس هذه الدراسات أن يشكل نظرة للفكر اليابانی فی المحيط العالمی ·

وأفضل أعماله « فودو » (المناخ والثقافة) · وهی دراسة تحليلية للخصائص المناخية المختلفة فی العالم ، حلل فيها العلاقات بين الملامح الطبيعية للاقليم والثقافة التی خلفها الناس الذين يعيشون فيه ·

★ ماسوجی ايبوسی (١٨٩٨ -)

تمتد جذوره فی التربة اليابانية الى حد بعيد ، ومن الصعب أن تترجم طريقته الجذابة فی التعبير التی تعتمد على اختيار حاذق للكلمات · فهو كاتب مثقف يخفی تأملاته وخواطره عن سيكولوجية الانسان تحت السطح · بأسلوبه الذی يمزج فيه رقة الفكاهة الخصبة بلمسة من الشجن أشبه بقطرة من خمر تسكر القلوب ·

★ **شوهيي أووكا (١٩٠٩ –)**

درس الأدب الفرنسي في شبابه ، وعرف بأبحاثه وترجمته لستاندال· وقد جند في المدفعية حين نشبت الحرب العالمية الثانية وكان في الخامسة والثلاثين من عمره · وقد أرسل الى الفليبين · وحين دحر الجيش قرب نهاية الحرب قاسى من الجوع ، وأسره الجيش الأمريكي · وكانت هذه التجارب هي لب رواياته فيما بعد ، فحين عاد الى اليابان كتب (أسير الحرب) و (نيران فوق السهل) · وقد نال كروائي ثناء كبيرا من النقاد · وأصبحت ملاحظاته الدقيقة للشعور الانساني ، بالاضافة الى أسلوبه الواضح ، نبراسا للأدب الياباني الحديث · وحينما سئل « لماذا تكتب عن الحرب الآن ؟ » أجاب : « انه واجب كل من بقوا أحياء بعدها »

★ **يوكيوو ميشيما (١٩٢٥ – ١٩٧٠)**

يتمتع بعبقرية أدبية منذ كان صغيرا · وقد نشر أول مجموعة قصصية له باسم (الزهور في الغابة) وهو في سن التاسعة عشرة · وقد تأكدت شهرته ككاتب روائي بعد الحرب العالمية الثانية ، عن طريق نجاح روايته (اعترافات قناع) القريبة من الترجمة الذاتية ، وتلاها برواية (ألوان ممنوعة) و (صوت الأمواج) و (معبد السرادق الذهبي)، وغيرها · كما برزت موهبته المتميزة النادرة ككاتب مسرحي · ومن بين مسرحياته الناجحة : مسرحيات (نو الحديثة) ، و (مدام دي ساد) ، و (صديقنا هتلر) ، وهو من أكثر الكتاب اليابانيين شهرة خارج اليابان ·

وأصبح في سنواته الأخيرة الناطق باسم حركة جمالية قومية · وعندما أتم آخر أعماله الكبيرة وهي ثلاثية بعنوان (بحر الخصوبة) اقتحم مركز قيادة قوات الدفاع الذاتي ، وألقى خطبة يحض فيها على عمل انقلاب ، ثم قام بشعائر انتحار عن طريق دفع بطنه على حافة سيف ، مما أثار حوله الاهتمام في العالم ·

★ كوبو آبى (١٩٢٤ —)

بدأ نشاطه الأدبى بعد الحرب العالمية الثانية معبرا عن وجهة نظر وجودية ، ثم اعتنق الشيوعية لفترة قصيرة · والموضوعات التى يعالجها هي مشكلات غربة الانسان فى المجتمع الرأسمالى ، وأسلوبه ملىء بالمعانى الخفية والهجاء · وموضوعاته حقائق يمكن أن توجد عند ناصية أى شارع فى العالم المعاصر ، وكان هذا من أسباب اكتسابه لشهرته الدولية ·

ويقول مترجمه الأمريكى أندرو هورفات أنه :

يكره أن يدعى « كاتبا دوليا » ، أى كاتب يفهمه الأجانب ، فهذا يعنى أنه تنقصه المميزات اليابانية الخالصة ، التى ليس من المفروض أن يتمكن الأجانب من الوصول الى أغوارها ·

ولا ترجع شعبية « آبى » خارج البلاد الى جاذبيته النابعة من غرابته · ان رواياته تخلو من أزهار الكرز أو أشجار الخوخ الزاهرة ، بل لعل خلوها من هذه الزخارف اليابانية هو الذى جعل القراء البعيدين يحسون بالانتساب المباشر الى أبطال « آبى » ·

« ومن العوامل التى أسهمت فى شعبية « آبى » عند القراء الذين يعيشون فى البلاد الصناعية الاتجاه الايجابى للكاتب نحو ألا تكون للمرء جذور · أى أن يكون فى موطن غير وطنه » ·

ويصف « آبى » فى احدى مقالاته أخطار ما يمكن أن يحدث لو اضطر الناس باستمرار أن ينتموا الى جذورهم كما حدث فى ألمانيا النازية ، وكانت عدم ثقة « آبى » كاملة فى أى فكر يضع على قمته مكان الميلاد أو القرية الأم · ونجد الدليل الايجابى على ذلك فى آخر سيرة ذاتية قصيرة كتبها سنة ١٩٦٦ ، يقول :

ولدت في طوكيو ونشأت في منشوريا · وأصل عائلتى في هوكا يدو، حيث عشت بها بضع سنين · بالاختصار كان مولدى ومكان نشأتى ومكان أصل عائلتى ثلاث نقاط مختلفة على الخريطة · ومن الصعب على بفضل ذلك أن أكتب ولو قائمة مختصرة بالتواريخ الهامة فى حياتى · المهم أنى رجل ليس لى موطن · هذا ما يمكننى أن أقر به · وقد يكون مرجع احساسى بالهلع من فكرة المواطن الذى يسرى فى عواطفى الى خلفيتى ، اذ يضايقنى أى شىء يستمد قيمته من أنه ثابت ·

ويقول أندرو هورفات : « لن أنسى تجربتى كمترجم « لآبى » حين كان يتحدث الى مخرج أمريكى شاب كان يريد أن يحول احدى رواياته الى فيلم سينمائى يصوره فى اليابان . طلب آبى من المخرج أن يحاول تصوير الفيلم فى أى بلد يمكن أن يحصل فيه بسرعة على اعتماد مالى وممثلين ممتازين .

كان واضحا أن المخرج الشاب لم يفهم ما يومىء اليه ، لأنه لم يتصور مناظر الفيلم الا فى البلد الذى كتبت فيه الرواية . وأخيرا أقنع « آبى » المخرج أن الرواية عن البحر والأرض والناس الذين عليهم أن يتغيروا فجأة ليتأقلموا مع بيئة جديدة ، وأنه لا فرق فى أن يكون مسرح الأحداث فى طوكيو أو لندن أو سان فرانسسكو » .

والخلاف حول « آبى » ككاتب ، مرتبط بمحاولة أن يعالج المشاكل العـالمية لأناس يعيشون فى مجتمعات صناعية ، وهو فى بلد ما زال الكثيرون فيه – وبعد مائة عام من التصنيع – مقتنعين بأنهم فريدون لا يمكن أن يصبحوا كالأجانب . فروايات « آبى » لا تقدم أى شىء عن الراحة فى الوطن .

ويعتبر « آبى » حامل لواء الأدب الطليعى فى اليابان ، وهـو معروف أيضا ككاتب مسرحى ، وقد زادت شـعبيته بعد أن تحولت مسرحياته الى أفلام سينمائية مثل (امرأة فى الكثبان) .

★ شوساكو اندو (١٩٢٣ –)

كاتب كاثوليكى تعلم فى فرنسا فى الخمسينات . وعند عودته الى اليابان لفت الانظار بروايته (الرجال البيض) ، ودانت له الشهرة بنشره رواية (البحر والسم) التى استمد وقائعها من حادثة تشريح انسان حى ابان الحرب . وكثيرا ما يعالج « اندو » فى أعماله الاحساس الدينى عند اليابانيين ، أو احساسهم بالخطيئة كما تراها وجهة النظر الكاثوليكية .

ولأول مرة فى الأدب اليابانى نجد فى روايته التاريخية « تشينموكو» (الصمت) كاهنا أجنبيا يلعب الدور الرئيسى .

كان الأب سباستيان رودريجز ، بطل الرواية ، أحـد المبشرين الكاثوليك الشجعان الذين غامروا بدخول اليابان سرا فى القرن السابع

عشر ، حيث الحرمان من الحقوق والاضطهـاد الدينى ، ليبحث عن الأب فيريرا ، معلمه السابق ، الذى روع الكنيسة ما قيل عنه من ارتداد ، ويقص علينا الكتاب كيف اعتقل رودريجز وما تحمله من العذاب الذى أدى الى ارتداده هو أيضا ٠

وبالرغم من أن الكاهن قد أعفى من التعذيب الجسـمانى الذى شاهده يقع على الآخرين ، الا لأن اشتراكه فى آلام المتحـولين الى المسيحية والاضطراب الذى يحس به حين يتزعزع ايمانه قد صـوره « اندو » بصدق وانسانية ٠

ولا يذكرنا أى جزء من الرواية فى أى وقت أن الكاتب يابانى أو أن هذا اليابانى هو الذى تعمق فى آلام الجسد والروح التى تحملها ذلك الكاهن البرتغالى ٠ وأثناء التحقيق الذى أجراه « انويه » حاكم ناجاساكى الشهير بقسوته ، حذر الأب من أن « مستنقع اليابان » سيخذله لا محالة وكذلك تربة اليابان المتعصبة التى تشوه ، ان لم تقض على العقائد والمثل التى لا تنبت فيها ٠ ويؤيد ذلك فيريرا الذى يجده رودريجز أخيرا فى أحلك ساعاته ٠ وفى مواجهة درامية يعترف فيريرا أنه وآخرين أيضـا قـد صرعهـم « المستنقع » الذى هو « اليـابان » ٠ ويرفض « أندو » هذا التفسير ٠ انه يلمح الى أن الصمت هو الذى هزم رودريجز فى تلك الساعات التى قضاها وحيدا فى السجن ، وقد غمره البؤس الجسمانى ، وهو يستمع الى صيحات المسيحيين وهم يعذبون وهو ينتظـر مصيرا مماثلا ٠ أنه عدم الاستجابة ٠٠ انه الصمت الذى يهزم الكاهن والذى لم يمكنه أن يتحمله فى كربه وصلواته ٠

لقد أخذ الأجنبى الغربى حقه فى الأدب اليابانى متمثلا فى رواية الصمت لـ « شوساكو اندو » ٠

★ جونوسوكى يوشييوكى (١٩٢٤ —)

ولد فى يوكوهاما والتحق بقسم اللغة الانجليزية بجامعة طوكيو ٠ وهو أحد الروائيين الذين تبعوا الموجة الأولى لكتاب ما بعد الحرب ٠ وقد عالجت المجموعة الأولى منهم فى أغلبها موضوعات أيديولوجية ، ولكـن الكتاب الذين جاءوا بعدهم مثل « يوشييوكى » اتخذوا موضوعاتهم من

التفاصيل الدقيقة للحياة اليومية ٠ وبتناولهم لهذه الموضوعات بمزيج من المرح والشجن ٠ فان « يوشيبيوكى » ومعاصريه احتلوا مكانة هامة فى عالم الأدب اليابانى ٠ وقد وافق هذا التغير فى المعالجة الأدبيـة التغير فى المجتمع اليابانى من فوضى ما بعد الحرب الى احياء طبقة وسطى قوية ٠ وقد كتب « يوشيبيوكى » عن عالم البغايا والعلاقات بين الجنسـين ، فالجنس موضوع هام دائما فى رواياته ، ولكنه يعالجه بنظرة تحليليـــة هادئة ٠

ويعالج بمهارة واتقان التعقيدات الاجتماعية للنفسية والســلوك اليابانيين ٠ وفى معالجته العقلانية يراقب بلا انفعال ولا تدخل ، ويكتب عن الموقف دون أن يغير من نسيج البيئة المحيطة بشخصيات قصصه ٠

وفى قصصه القصيرة يكتب يوشيبيـــوكى عن الناس فى عوالمهم الصغيرة بغير تجميل مصطنع يبعد انتباه القارىء عن طبيعة القصة ، فهو لا يضمن قصته أى حبكات معقدة ، بل يركز على فترات قصيرة مكثفـة من الوقت ليكشف عن الناس كما هم فى الحقيقة ٠

وكثير من قصص يوشيبيوكى عن حياة البغايا ٠ ولكن اهتمامه ليس حسيا مثل « ناجاى كافو » ، فهو يعطى الحسية المقام الثانى ، بينما يعطى الملاحظات العقلانية من خلال عيون شخصيات رواياتـه الذين يبدون كأنهم لا مصلحة لهم فيها بالمرة ٠ ففى قصته « حجرة المومس » نجد شابا يبحث عن الطمأنينة النفسية ، يلتقى بمومس متعاطفة اسمها « أكيكو » يتمكن من أن ينشىء علاقة ودية مستمرة بها دون أن يتورط معها عاطفيا أو رومانتيكيا ٠

وبالرغم من الرابطة الجسدية بين الشاب والفتـاة ، نجـــد أن يوشيبيوكى يحرص على أن يحتفظ بمسافة ثابتة بين الاثنين تاركـــا انطباعا بأن اهتمام الشاب والفتاة هو مثل تأمل شخص لصــورة فى صالة من صالات عرض الفنون ٠ وينفصل الشاب عن المومس أخيرا ، ويبدو أن كليهما قبل هذا على أنه قدره الذى كان مقدرا له منذ البداية ٠ ويستطيع المرء أن يرى بوضوح فى هذه القصة تنفيذ يوشيبيوكى لفكرته عن الخلية ، حيث أنه كثيرا ما قال انه فى قصصه يأخـــذ « خلية » من الحياة ثم يحاول أن يستخلص وحدة عضوية متكاملة من خلايا متنافرة ٠ فالشاب وقد خبر عالم أكيلكو ، أو « خليتها » المتمثلة فى حجرتها ، قد فهم بطريقة مجردة بقية حياتها ، أى وحدتها العضوية المتكاملة ٠

فالعقلانية لدى « يوشييوكى » تخضع القوة العاطفية الهائلة الكامنة فى الجنس والقلق والانحلال والحسية · واذا وجد آى احتمال لشعور بالعار ناجم عن فعل معين فانه يبذل قصارى الجهد لاخفـــاء العواطف والانفعالات تحت قناع مصقول من العقلانية ·

والأحاسيس الفجة مكبوتة وموضوعة تحت السيطـرة على المستوى العقلى لدى شخصيات قصص يوشييوكى · فهو يبين كيف أن الكثيرين من الناس غير ملتزمين نحو بعضهم البعض بالرغم من ارتباطاتهم معا على مستويات حسية أخرى ·

ويبرز يوشييوكى كمراقب ثاقب النظر لليابانيين فى هذا الشأن · وربما لهذا السبب اكتسب شعبية كبيرة بين كثير من الناس الذين ربما تعرفوا على شخصياتهم الداخلية — على حقيقتها — من خلال تصويره الثاقب للحياة ·

★ تاكيشى كايكو (١٩٣٠ —)

يعتبر هو و « أوى كينزابورو » أصغر روائيى اليابان ثابتى القدم فى هـذا المجال الأدبى · وقد ولد « كايكو » فى أوساكـــا ، واتصف بما لتجار أوساكا من نشاط وحيوية · وهو رجل فعل وحركة ، لـه اهتمامات عديدة ، تتدرج من تغطية أحداث الحرب فى فيتنام ككاتب . الى صيد الأسماك فى أنهار العالم وبحيراته · وربما كانت أحـــداث رواياته : (ظلام مضىء) ، و (ظلام فى الصيف) أفضل أعماله ·

انه يريد أن يقول الكثير ، ولكن عن أمور ليس من السهل التحدث عنها · ولهذا فهو حين يتناولها يرفض التقاليد القائمة للحياة ، والأشكال التقليدية للتعبير الأدبى · وقد أتاحت له عدة رحلات حول العالم أن يشهد محاكمة انجمان ، والحروب فى فيتنام ، وبيافرا ، والشرق الأوسط. بل وأتيح له أيضا أن يراقب هؤلاء اليابانيين الذين عجزوا أن يجدوا لهم مكانا فى بلادهم وأخذوا يجوبون العالم وهم يعانون مرارة العزلـــة · وتكون كل هذه التجارب جذور العالم الذى صوره « كايكو » فى رواية (ظلام فى الصيف) — ١٩٧٢ ، وهى استكمال لرواية سابقة (ظـلام مضىء) — ١٩٦٨ ، حيث يستمر فى تناول موضوع التكاسل والتخمـــة

الحسية للانسان فى زمن (البطون المترهلة) ويطالب مطالبة قاطعة برفض حياة البلادة الحسية من أجل فعل ايجابى ٠

تدور الرواية فى مكان ما فى أوربا ، يقابل الراوى بطل القصة صديقة كان يعرفها من قبل ، امرأة يابانية تعيش الآن فى أوربا ، ويدخل الحب الى حياتهما اليومية الروتينية ٠ كان الرجل يعانى من شعور اليأس والحزن الذى كان يغلبه على أمره مثل « المياه الآسنة » ٠ وأخذ يستعيد أحداث اقامته الأخيرة فى « سايجون » ، ويلاحظ أنه قد قضى سنواته العشر الأخيرة فى رحلات متصلة ٠ ورغم الحياة البسيطة السعيدة التى يعيشانها سويا ، يقرر أن يترك المكان بعد أن تقرأ له صديقته فقرة من صحيفة عن الأحداث العسكرية فى فيتنام ، فتتوسل اليه أن يبقى معها قائلة :

« انك تريد أن تهرب ٠ ولهذا فانك تدور مثل النحلة ٠ انك لا تستطيع أن تقف الا اذا أخذت تدور حول نفسك ، لم يطلب أحد أن تذهب الى هناك كى تموت مثل كلب بجوار سلة مهملات ٠ هل هذا هو حلمك الكبير ؟ » ٠

يقول الناقد « ميكولاى ميلانوفيتش » : « ان (ظلام فى الصيف) رواية مكتوبة بجمال ، أحداثها منسقة ، وايقاعها متناغم ٠ فالكاتب يختبر جراح جيله التى ما زالت — رغم كل شىء — لم تتوقف عن التطلع الى الاحساس الطبيعى والبسيط ٠ ان الحياة التى تكتفى باشباع الحواس زائفة ، والمهرب الوحيد من هذا النوع من « الظلام » هو فى الفعل أو الحركة ٠

ان كلا من روايتى (ظلام مضىء) التى تدور أحداثها فى فيتنام و (ظلام فى الصيف) التى تدور أحداثها فى أوربا ٠ تمثل انسانا فى حيرة يجد نفسه أمام دائرة مغلقة من صراعاته الداخلية ، وليس أمامه أى توقع أو أمل فى كسب هذه المعركة ٠ هذا ما يدركه تماما ، ومع ذلك فانه يظل يعتقد أن بالترحال الى مناطق العالم البعيدة سيجد علاقة ما بين مشاكل العالم ومشاكله الخاصة ٠ ان هذه العقيدة — التى لا يعلنها — هى مصدر قوة لهذا الرجل الذى يسير على غير هدى ، والذى يرى — وهو على شفا الانهيار — بصيصا من الأمل يضىء من بعيد فى مكان ما ٠

وقد يأمل المرء أن يعود البطل الى اليابان فى احدى روايات « كاكيو » القادمة ٠ فليس أمام هذا الكاتب الطموح والشجاع خيار ٠

وبعد فيتنام وأوربا سيصل فى النهاية الى وطنه ، وهو أصعب موضوع للكتابة ، لأن كل مواطنيه يعرفون اليوم العالم المعاصر فى مختلف أشكاله ، مما جعل حياتهم ليست سهلة كما كانت من قبل . وكما يقول المثل : « معرفة أكثر تعنى معاناة أكثر » . وحياة الكاتب نفسها مصداق لهذا القول .

★★★

طالما قيل أن اليابان تتكون من جانبين متميزين : الأورا Ura

وهو ذلك الجانب المظلم الكئيب ، دائم التفكير والاستيطان فى شخصية اليابان ، والأوموتى Omote وهو الوجه الاجتماعى الراقى المكون من نواح عميقة عقلانية . ويتفوق الكثير من اليابانيين اليوم فى هذا الجانب الأخير ، فيعالجون بمهارة واتقان التعقيدات الاجتماعية للنفسية والسلوك اليابانيين ، دون أن يغيروا من نسيج البيئة المحيطة بهم .

ومن المعروف أن تصنيع اليابان تم حسب الأنماط الاجتماعية التقليدية ، أى الولاء والأبوة ، وليس من غير المألوف أن يقول النقاد الاجتماعيون أن ثمرات التصنيع مثل الاستقلال الذى توفره السيارة أو المنزل ، والعائلة النووية ، والقابلية للحركة التى يقدمها التعليم الجامعى، تتآمر كلها لتقويض النسيج الاجتماعى ، الذى جعل التقدم ممكنا فى مبدأ الأمر . وكرد فعل لتحولهم الى ما يشبه الأجانب ، اتجه كثير من اليابانيين الى رموز اليابان القديمة حتى يؤكدوا هويتهم الثقافية لأنفسهم . وربما كان تقدير « يوكيو ميشيما » و « ياسونارى كاواباتا » يرجع لهذه الأسباب . ان تعبيرهم عن الحزن لضياع الفضائل القديمة يعطى جوا مريحا للتقاليد فى عصر يشق فيه رجال الأعمال اليابانيون طريقهم بالمناكب فى أنفاق مترو نيويورك ولندن التى لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها فى طوكيو .

مراجـــع المقدمة :

1. An Invitation To Japan's Literature.
Japanese Cultural Institute.

2. Japanese Literature.
Donald Keene, Grove Press N.Y.

3. The search for authenticity in modern Japanese Literature
Hisaaki Yamanouchi.
Cambridge University Press.

4. Modern Japanese Literature.
Donald Keene
Grove Press N.Y.

5. Grolier Academic Encyclopedia.
Grolier International 1983.



من المسرح الياباني



اوجاي موري
(١٨٦٢ - ١٩٢٢)



سوسيكي ناتسومي
(١٩٦٧ - ١٩١٦)



ريونوسوكي اكوتاجاوا
(١٨٩٢ - ١٩٢٧)



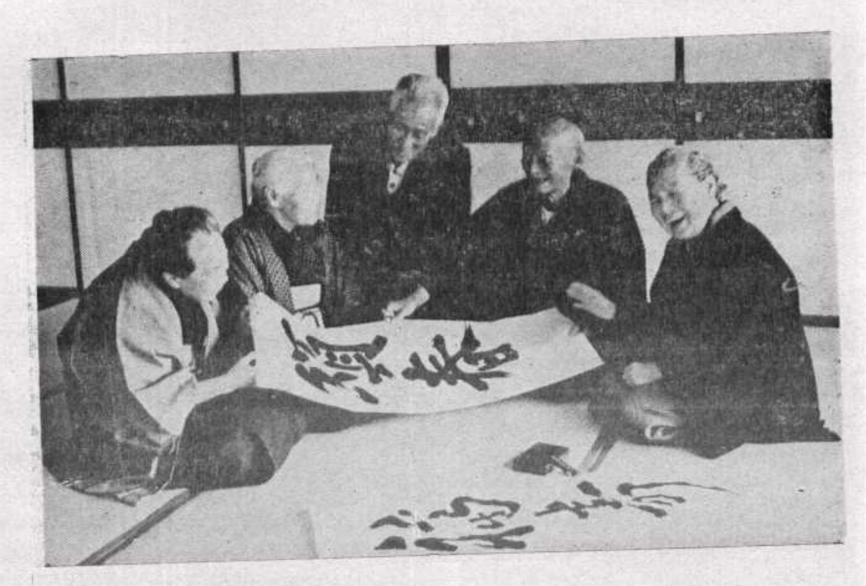
ياسوناري كاواباتا
(١٨٩٩ - ١٩٧٢)



يوكيو ميشيما
(١٩٢٥ - ١٩٧٠)

جيرو اوساراجي

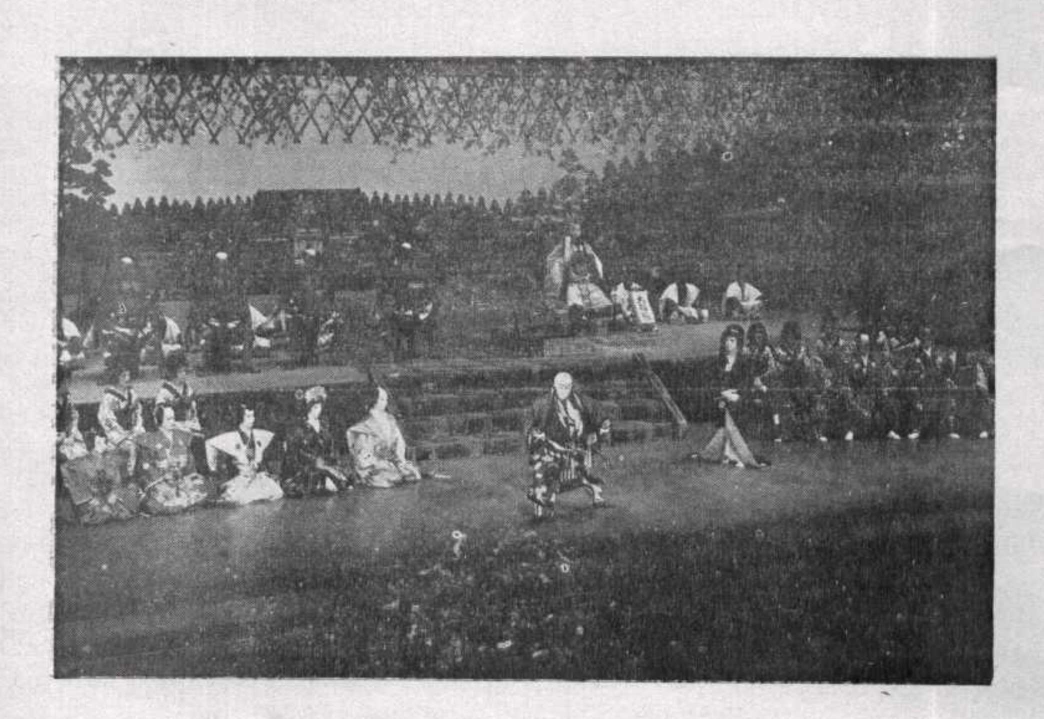
جونيتشيرو تانيزاكي
(١٨٨٦ - ١٩٦٥)



لوحات الخط اليابانى

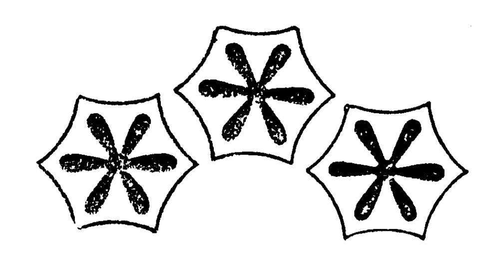


مشهد من دراما الكابوكى



من المسرح اليابانى



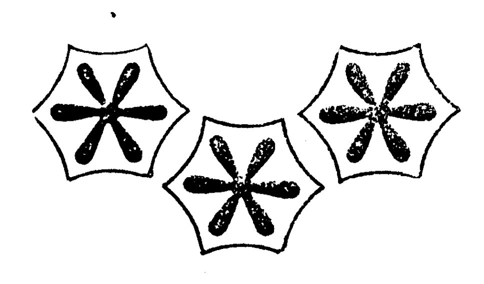


الشعر

شـــعر التانكا : (القصائد القصيرة) .

شعر ناجا أوتا : (القصائد الطويلة) .

شعر الهـايكى : (القصائد القصيرة المقتضبة) .



شعر : التانكا (١)

أشهر قالب شعرى استمر لما يزيد على ألف عام · فلقد كان موجودا قبل المانيوشو ــ وهى أقدم وأهم مجمــوعة أدبيــــة ، جمعت فى القرن الثامن ــ لعدة مئات من السنين · وظل هذا القالب فى محل الصدارة الى أن ظهر قالب الهايكو فى القرن السادس عشر ·

والتانكا هى قصيدة من واحد وثلاثين مقطعا مرتبة فى خمسة أسطر (٥ ــ ٧ ــ ٥ ــ ٧ ــ ٧) · وقوة تأثير التانكا يأتى من قالبهــا البسيط المحدد الذى يسحق التجربة الكلية الشاملة ويصهــرها فى جوهر مركز لفكرة ما أو صورة أو حادثة أو حالة نفسية ·

(١) عن الترجمة الانجليزية لـ : كنيث ركسروث ·

● من قصائد آكاهيتو (توفى عام ٧٣٦ م) :

★ يا مابى نو أكاهيتو : كان مرافقا شخصيا للامبراطور شومو ، وصاحبه فى رحلاته عبر اليابان · كانت هذه الفترة هى **العصر الذهبى** للشعر اليابانى · وهو النظير لشاعر آخر اسمه هيتومارو ·

الضباب يعلو فوق
البحيرات الساكنة فى أسوكا (١)
والذكريات لا تمر بهذه السهولة

اسوكا جاوا
كاوا يودو سارازو
تاتسو كيرى نو
أوموى سوجو بيكى
كوى نى أراناكو نى (٢)

● من قصائد هيتو ما رو (٦٨٠ – ٧١٠) :

★ كاكينوموتو هيتومارو : يعتقد بأنه ولد ونشأ على الأرجح فى نارا ، العاصمة الأولى لليابان · دخل القصر الامبراطورى كموظف بسيط ، فكتب بعضا من شعره عن أنشطة القصر وبلاطه · ومهـارته فى اسـتخدام التانكا والناجا أوتا (أشهر قالبين فى الشعر اليابانى) جعلته من أعظم شعراء اليابان · ويبجلونه بسبب الانسانية والاهتمام العميق بالانسان المنعكس فى أعماله ·

---

(١) مكان قصر امبراطورى سابق ·

(٢) الأصل اليابانى منقول بالحروف العربية ·

فى الجبال الخاوية
تحف أوراق الخيزران الخضراء
بالريح ·
فأفكر فى فتاة
ليست هنا ·

لقد تحول شعرك أشيبا
بينما ظل قلبك
معقودا ضدى ·
أبدا فسوف لا
أحرره الآن ·

رجل عجوز غريب
أوقفنى ،
ناظرا من مرآتى العميقة ·

أوراق الشجر الملونة
أخفت الممرات
على جبل الخريف ·
كيف لى أن أجد فتاتى
وأنا هائم فى طرق لا أدريها ؟

● من قصائد ليدى هوريكاوا (القرن الثانى عشر)

★ لا يعرف الكثير عن ليدى هوريكاوا وحياتها ، فيما عدا أنها كانت وصيفة شرف لامبراطورة اليابان « دواجر تايكن » ٠

هل سيحبنى دائما ؟
لا أقدر على قراءة قلبه ٠
ان أفكارى هذا الصباح
مشوشة
كشعرى الأسود ٠

● من قصائد ناريهارا (القرن التاسع)

★ اريوارا ناريهارا : **المحب الاسطورى العظيم للأدب اليابانى ، ولقد** كتبت كثير من مسرحيات نو حول مآثره ٠ ومن أعظم أعماله : « حكايات ايسا » وهى مجموعة قصائد مقدمة بشرح مسبق يفسر وضع الشخصيات وحالاتهم النفسية ، وهكذا يصبحون أكثر فهما وتقبلا عند القارىء ٠

لقد عرفت دائما
اننى فى النهاية لابد
أن أقطع هذا الطريق
لكن الأمس لم أعرف أنه سيصبح اليوم ٠

● من قصائد تسورايوكى (٨٨٢ - ٩٤٦م) :

★ كى نو تسورايوكى : شـــغل عدة مناصب رفيعـــة فى البلاط الامبراطورى · وبجانب كونه شاعرا وكاتبا فهو من أمهر خطاطى اليابان · وفى عام ٩٠٥ كان رئيس تحرير أول مجموعة أدبية امبراطورية نشرت فى اليابان ، وكتب لها مقدمة مطولة ·

كلا ، القلب البشرى
لا يمكن معرفته ·
ولكن فى مكان مولدى
كانت الأزهار لها نفس الرائحة
التى لها دائما ·

● من قصائد ياكاموتشى (٧١٨ - ٧٨٥) :

★ أوتومى نو ياكاموتشى : ابن شاعر يابانى مشهور ، تزيد أعماله عن خمسمائة قصيدة · تقلد مناصب عديدة فى حياته ، وأصبح نائبـا لوزير الحربية ، ثم نزل فى المرتبة الى وظيفة محافظ · وجرد بعد وفاته من كل أمجاده بسبب جريمة اقترفها أحد أفراد عائلته ·

عندما أرى أول
قمر جديد باهتا فى الشفق ،
أفكر فى حاجب
فتاة رأيتها مرة واحدة فقط ·

شعر : ناجا أوتا [1]

وهى قصائد نادرة نسبيا فى الشـــعر اليـابانى ، وعادة ما تكون مرثية أو تمجيدا · وقصيدتا هيتو مارو التاليتان من أبرز النماذج التى تمثل هذا النوع ·

وتعتبر الناجا أوتا مثل التانكا ، فهما يمثلان الفترة الكلاسيكية فى الشعر اليابانى ·

● **من قصائد هيتومارو (٦٨٠ – ٧١٠) (١) :**

خليج تسونو
فى بحر ايوامى
ليست له شطآن جميلة
ولا يعتبر جميلا ·
ربما هو كذلك ،

---

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : كنيث ركسروث ·

لكننا اعتدنا المسير
بجانب بحر صيادى الحيتان
فوق حصباء « واتازو » الصخرية
حيث تهب الريح
وعشب البحر فى اخضرار الجواهر
مثل الأجنحة المرتعشة فى الصباح ،
وتهز الأمواج قيعان عشب البحر
مثل الأجنحة المرتعشة فى المساء ·
تماما كطحلب البحر يتمايل ويطفو
باحداها مع الموج ،
هكذا كانت فتاتى متعلقة بى
وهى ترقد بجانبى ·
والآن قد تركتها ،
لتنزوى كالصقيع ·
نظرت خلفى آلاف المرات ·
عند كل لفتة طريق ·
وارتدت قريتنا ،
بعيدا بعيدا أكثر ·
أعرف أنها تفكر فى ، بعيدا هناك ،
تتضور شوقا كعشب الصيف ،
ربما لو انحنت الجبال
لاستطعت أن أراها ثانية ،
واقفة على بابنا ·

عندما كانت على قيد الحياة
كنا نخرج الذراع فى الذراع ،
ونرنو الى أشجار الدردار
أمام منزلنا ·
كانت فروعها متشابكة ·
وأكاليلها مزدحمة بأوراق الربيع ·

كانت مثل حبنا .
ولم يكن الحب ولا الثقة كافيين لادارة
عجلتى الحياة والموت .
لقد ذبلت كسراب فوق الصحراء .
ورحلت كعصفور الصباح
فى وشاح الموت الأبيض .
والآن عندما يبكى الطفل
الذى تركته فى ذكراها
ويطلبها متوسلا ،
كل ما أقدر عليه هو أن أرفعه
وأعانقه بعشوائية .
ليس عندى ما أعطيه له .
وفى غرفة نومنا كانت وسادتانا

مازالتا متجاورتين ،
كما كنا نهجع فيما مضى .
اننى أخلد هناك لنفسى
وأدع الأيام تتحول الى ليال
أستلقى يقظا بالليل ، متنهدا حتى الصباح .
لا يهم كم أندب
فلن أراها ثانية .
يقولون لى أن روحها
قد تسكن جبل هاجاى
تحت أجنحة النسر .
أصارع فوق التلال
وأتسلق الى القمة .
أعرف طول الوقت
اننى لن أراها أبدا ،
ولا حتى كارتعاشة باهتة فى الهواء .
كل شوقى ، كل حبى
لن يغيرا مطلقا هذا الوضع .

شعر : الهايكى [1]

ويعتبر هذا النوع من الشعر أكثر شهرة خارج اليـــابان ، وهو أقصر أيضا من التانكا ، اذ يتكون من ثلاثة أسطر بها سبعة عشرة مقطعا (٥ ـ ٧ ـ ٥) • وبالرغم من أنه يبدو وكأنه تانكا فى شكل مقتضب الا أنه قالب كامل فى حد ذاته •

● **من قصائد ماتسيو باشو (١٦٤٤ ـ ١٦٩٤) :**

★ ويعتبر من أعظم كتا بالهايكى ، ولد فى أسرة من أسر الساموراى (رجال الطبقة المحاربة) فى عصر السلام العظيم والاستقرار باليابان • أخذ وهو طفل فى الثامنة ليكون فى خدمة أحد النبلاء ، حيث خدم كحارس لابن النبيل • وعلم هذا السيد الصغير باشو الكثير ، وكتب أول أشعاره فى سن التاسعة • وبالرغم من أنه ظل يكتب الشعر طوال حياته ، الا أنه لم يصل الى قمة طاقته حتى العشر سنوات الأخيرة من حياته • ورغم أن بعض قصائد باشو متشربة بالتصوف الدينى (ربما تأثرا ببوذية زن ، وهى ديانة اعتنقها فى أواخر حياته) الا أن معظمها كان عبارة عن وصف بسيط لمناظر واقعية وأحداث حقيقية مع تفاصيل كافية لمخاطبة عاطفة القارىء •

---

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : هارولد ج• هندرسون •

« اصرار »

هل هى تهدر
حتى أصبحت كلها صوت ؟
محارة سيكادا !

« سحب »

سحب تأتى من وقت لآخر –
وتجلب للناس فرصة للراحة
من التطلع الى القمر ٠

« فى أرض الخراب الواسعة »

فى البقيع : ومن أشياء
جرداء تماما –
كيف تغنى القبرة !

« ابن الرجل الفقير »

ابن الفقر
يبدأ فى طحن الأرز ،
ويحدق فى القمر ٠

« سبيل الشمس »

طريق الشمس :
الزهر يلتفت اليها
عبر كل أمطار مايو ٠

« **أصوات الصيف** »

قريبا جدا تموت ،
ولا اشارة منها تبين
صرخة الجراد

« **برق فى الليل** »

ومضة البرق :
فى الظلمة تسافر
وطائر الليل يزعق ٠

● **من قصائد تانيجوتشى بوسون (١٧١٥ – ١٧٨٣) :**

★ يعتبر الثانى بعد باشو فى كتابة الشعر الهايكى ، **له نفس** الشهرة كرسام ، وكثير من قصائده ما هى الا صورة جميلة ٠ ويستعرض الموضوع الذى يتطرق اليه مجالات رحبة متنوعة ، وتذوقا عظيما للعالم الدائب على التغير ٠ ومن كل كتاب الهايكى العظام ، يعتبر بوسون أفضلهم كفنان ٠

« **الصوت** »

هنا ٠٠٠ وهناك ٠٠٠
يسمع صوت مساقط المياه
أوراق الشجر الفتية ، فى كل مكان ٠

« **السيمفونية البيضاء** »

أزهار على شجر الكمثرى
وامرأة فى ضوء القمر
تقرأ رسالة هناك ٠

« **نسيم الربيع** »

نسمات الصباح هذه
يمكن للانسان أن يراها محركة
شعرات يرقانة الفراشة !

« **أثواب الصيف** »

على اللوحات الذهبية
رقائق شفافة مرسومة لمن ؟
رياح الخريف ٠٠ !

● **من قصائد ايسا (١٧٦٢ – ١٨٢٦)**

★ ربما يعتبر ايسا بين جمهور قراء الأدب اليابانى أحب شعراء الهايكى ٠ فهو يضع فى عمله العواطف عارية ، وآلام الحياة التعيسة ، والشكوك الدينية ٠

« **الرضا فى الفقر** »

مسقط ماء ارتفاعه قدم
انه أيضا يصدر أصوات ،
والليل بارد لطيف ٠

« **بوذا العظيم فى نارا** »

يتجلى خارجا من تجويف
أنف بوذا العظيم
طائر الخطاف !

« **الضمير** »

وبطريقة ما يبدو من الجور :
أن يقيل الانسان ظهرا ويسمع
أغنية غرس الأرز

« **أمنية** »

زوجتى المتذمرة —
آه لو كانت هنا !
هذا القمر الليلة ...

● **من قصائد ماساوكا شيكى (١٨٦٧ — ١٩٠٢) :**

★ ولد شيكى خلال فترة تحول عظيمة فى اليابان . وأصبح قائدا لثورة أدبية ، هاجمت القوالب المتزمتة ، خصـــوصا القـواعد التى قد أثرت ، لأجيال بشكل عظيم ، على التكوين الشعرى . وأكد على الطبيعة فى الكتابة ، ونصح أتباعه أن يكتبوا من أجل ارضاء ذاتهم ، مقترحا بأن على كل كاتب أن يعرف جميع أنواع الشعر الهايكى ، ولكن عليه أن يطور أسلوبا خاصا به .

« **متعرب الكهانة** »

صبى لم يصل العاشرة
انهم يعطونه للمعبد
أوه ، أنه شىء بارد !

« **الجديد والتليد** »

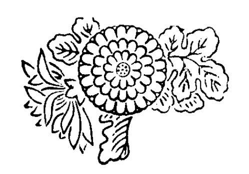
قضبان السكة الحديد ، وطيران
الأوز البرى ملاصقا فوقها
فى ليلة يسطع فيها ضوء القمر .

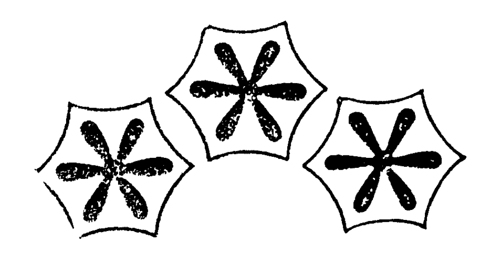
« اكتشاف كنز »

شيء نسي لفترة طويلة :
وعاء فيه الآن زهرة تتفتح
هذا اليوم من فصل الربيع !

« في ضوء القمر »

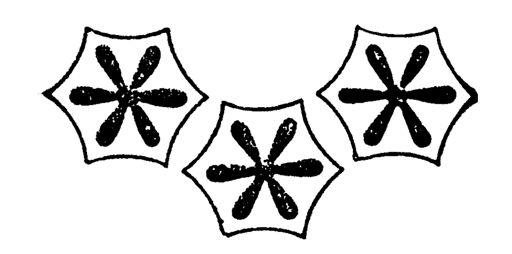
انهم يشبهون الرجال
في ليالي ضوء القمر – وخيالات المآتة
تستدر شفقة الانسان عندئذ ٠





مسرح نو

الطبلة الحريرية : « دراما كلاسيكية » .
الطبلة الحريرية : « دراما حديثة » .



مسرح نـو

★ دامت تمثيليات نو فى المسرح اليابانى قـرونا طويلة ، ومن أمثلتها « الطبلة الحريرية » · وفن نو المسرحى هو نوع من الدراما التى يلعب فيها الرقص والتمثيل والموسيقى (الطبول والمزمار) دورا هاما ، بل وتعتبر من عناصرها ومكوناتها الأساسية · فالتمثيل يتبع أسـلوبا متميزا الى أبعد حد ، ويقوم بالأداء ممثلون رجال يستخدمـون الأقنعة ، أو الوجوه المستعارة لتمثيـل أدوار النسـاء ، والأرواح الشريرة ، والعجائز ، وغيرها من الشخصيات · والكورس لا يقوم بالتعليق على الأحداث والمساعدة فى رواية القصة ، بل يضطلع بحديث شخصيات معينة من المسرحية ويتولى ذلك أثناء قيامهم بالرقص أو بالتمثيل الصامت · وطبقا للتقاليد فمسرح نو مسرح أجرد لا تستخدم فيه الا أشياء بسيطة جدا مما يستعان بها عادة أثناء التمثيل ، بينما ترتدى الشخصيات الملابس اليابانية التقليدية الرائعة ·

وفى يابان اليوم تقدم مسرحيات نو القديمة لكاتبها القديم « زيامى » ولآخرين الى جمهور المسرح كما كانت عليه فى الأصل ، هذا الى جانب مسرحيات نو الجديدة التى مازال لها كتابها · كما أن هناك هواة مخلصين يصطحبون معهم الى المسرح النصوص المسرحية الأصيلة ويتابعون النص أثناء تمثيل المسرحية ، تماما كما يفعل هواة الأوبرا الذين يتابعون نص الأوبرا ويلاحقون كلماتهـا · وفى بداية القرن العشرين جذب فن نو المسرحى انتبـاه المؤلفين الأمريكيين والانجليز ، ومنهم « ايزرا باوند » و « وليام بتلر يتس » وأثر فى شعرهم ومسرحياتهم ·

ونعرض هنا نصين لمسرحية « الطبلة الحريرية » الدراما الأصـيلة للكاتب القديم زيامى ، كما نعرض نصا حديثا آخر للكاتب يوكيوميشيما ·

الطبلة الحريرية [1]

للكاتب : موتوكيو زيامي

★ موتوكيو زيامي : (١٣٦٣ ـ ١٤٤٣)

هو شكسبير اليابان ٠ بدأ التمثيل وهو فى سن السابعة ، فجذب انتباه وحب أسرة شوجان (الحاكم الفعلى لليابان فى ذلك الوقت) ، وانطلق بقوة فى مجال أدى به الى كتابة حوالى ٢٤٠ مسرحية ٠ وشكل بمساعدة والده فن نو المسرحى مستوحيا من التقاليد المسرحية المشهورة فى ذلك العصر ، والتى دامت حتى اليوم كأقدم فن مسرحى فى العالم ٠



الشخصيات

١ ـ أحد رجال حاشية القصر

٢ ـ بستانى عجوز

٣ ـ الأمـيرة

★★★

رجل الحاشية : أنا من رجال حاشية قصر كينومارو فى بلاد تشيكوزن ٠ لابد وأنكم تعرفون أن فى هذا المكان بركة مشهورة تسمى بركة الغار ، حيث غالبا ما يتنزه أفراد الأسرة المالكة ، وهكذا حدث فى أحد الأيام أن وقع نظر الرجل العجوز الذى يكنس الحديقة هنا على الأميرة ٠ ومنذ ذلك الوقت أحبها حبا سبب لقلبه الشــقاء وقلة الراحة ٠

وأخبرها أحدهم بذلك فقالت ، « الحب دنيا المساواة لا يعرف التفرقة » وبشفقتها قالت : « هناك شجرة غار بجانب تلك البركة

---

(١) عن الترجمة الانجليزية لآرثر والى ٠

ومعلق على فروعها طبل · دعوه يضرب الطبل . واذا وصل الصوت للقصر ، سوف يرى وجهى ثانية » ·

لابد أن أخبره بهذا ·

انصت أيها البستانى العجوز ! لقد سمعت السيدة المبجلة بحبك وتبعث لك بهذه الرسالة : « اذهب واضرب الطبلة المعلقة على الشجرة المطلة على البركة ، واذا وصل الصوت للقصر · سوف نرى وجهى ثانية » اذهب الآن بسرعة ، واضرب الطبل !

البستانى : بالرعشة استقبل كلماتها · سأذهب وأقرع الطبل ·

رجل الحاشية : أنظر ، هاهو الطبل الذى تحدثت عنه · هيا أسرع واضربه !

(يترك البستانى واقفا بجانب الشجرة ويجلس تحت « عامود واكى ») (١) ·

البستانى : يتحدثون عن شجرة القمر ، الغار التى تنمو فى حديقة القمر ·· ولكن بالنسبة لى فلا توجد غير شجرة واحدة حقيقية · انها شجرة الغار المطلة على البحيرة · أوه ، لعل الطبل المعلق فى فروعها يصدر نغما قويا ، وموسيقى تضمد قلبى المنفطر ·

انصتوا ! ان موسيقى أجراس المساء ترن لتساعدنى ،

لكنها بذلك تقرع

حكاية ثقيلة ليوم موصول بيوم آخر ·

كورس (يتكلم بلسان البستانى) : وامتد الامل من غسق الى غسق ·· لكن الآن ، يا حارس الساعات ، اضرب المشتاق للضرب ·

البستانى : كنت عجوزا ، أتجنب نور النهار ،

كنت هزيلا كطائر الكركى ،

ومن فوق كل ذلك البؤس

---

(١) دعامة على خشبة المسرح تستخدم فى مسرحيات نو ·

تكوم فجأة أسى حزين
أسى جديد لحب جديد ٠
لقد تركت الأيام آثارها ،
قادمة قادمة كالأمواج التى تلطم الشاطىء الرملى ٠٠٠

كورس : أوه ، ومع هدير الأمواج البيضاء
سيتدحرج صدى الطبل ٠

البستانى : العالم الآخر يقترب منى ،
ومع ذلك لم أستيقظ حتى الآن ،
من خريف الحب الذى ينهى
فى حزن ترنيمة سنين عمرى ٠

كورس : وببطء كقطرات ندى الخريف ٠٠
تتجمع الدموع فى عينى ، لتسقط
مبعثرة مثل قطرات الندى من زهرة منتفضة ٠
على ردائى الخشن ٠
انظروا هذه هى الآثار ، مدموغة بحب محبوك ،
والذى سيقرأه العالم كله

البستانى : قلت « سوف أنسى »

كورس : وبذلك تحصل على عذاب أسوأ
ممن يتذكر ٠٠ ولكن كل شىء فى هذا العالم
مثل حصان الرجل العجوز فى بلاد الساى (١) ٠
ومرق كالمهر الأبيض ٠٠
ومر بثغرة فى السياج ، حتى أيامنا تمر هكذا
ورغم أن الوقت آت ٠٠
فلا يعرف أحد الطريق الذى وجب أن يطأه فى النهاية ،

---

(١) طبقا لحكاية يابانية ، هرب حصان رجل منه وبذلك لم تستطع الحكومة أن تستولى عليه وتستخدمه فى فترة ثورات وقلاقل ، وبعد الثورة عثر الرجل على حصانه ٠

ولا أمد حياة قطرة نداه ·
كل هذا أعرفه ، انما معرفة عمياء مخلوطة بالحماقة ·

البستاني : يصرخ ، « استيقظ ، استيقظ » ·

كورس : يا حارس الساعات ،
استيقظ من نوم الفجر !
واقصف على الطبل ·
من أجل أن يسمع صوتها ، وسيرى فى الحال
وجهها ، ولون ردائها ···
آى ، حرير ! انه لا يدرى
انه على الطبلة الحريرية ، يضرب ،
ضربات بكل قوة يديه ، يديه المعروقتين ··
ولكنه لا يسمع صوتا ··
فيصرخ « هل أصبت بالصمم » وينصت وينصت :
المطر على النوافذ ، وارتطام الأمواج على البركة ···
كلاهما يسمع ، أما الطبل فقط ، الطبل الحريرى الغريب ، فصامت ··
أوه ، ألن تسمع أبدا ؟
فكرت أن أضرب الأسى من قلبى
أوقظ موسيقى فى الطبل الحريرى ، صدى للحب
من نسيج الكبرياء الصامت !
مرغوب كالقمر الذى يختبىء فى سحب عنيدة لليلة ممطرة
صوت طبل الحارس ، ليدحرج الظلام من قلبى ·

كورس : اننى أضرب الطبل · وتمر الأيام والساعات ·
كان بالأمس ، وهاهو اليوم ·

البستاني : ولكنها التى من أجلها أنتظر ··

كورس : لا تأتى حتى فى حلم · عند الفجر أو الغسق

البستاني : لا أصوات لطبل

كورس : انها لم تأت · ألم يقولوا من قبل بأن هؤلاء
الذين قد وصلهم الحب ،
لا يمكن أن يفرقهم ولا حتى اله الرعد ؟

من الأحباب ، أنا وحدى
بلا مرشد ، وبلا راحة ٠
وعندئذ ناداها لتشاهد كربه
وصرخ ، « لماذا على أن أتحمل حياة كهذه ؟ »
وفى مياه البركة ألقى بنفسه ومات ٠

(يترك البستانى خشبة المسرح)

(تدخل الأميرة)

رجل الحاشية : أود أن أتكلم معك سيدتى ٠

الطبل لم يصدر صوتا ، والبستانى العجوز ألقى بنفسه يائسا فى البركة بجانب شجرة الغار ، ومات ٠ وروح واحد كهذا قد تتشبث بك لتصيبك بأذى ٠ اخرجى وانظرى اليه ٠

الأميرة (تتكلم بوحشية ، وقد لبستها روح البستانى الغاضبة ، التى تتكلم من خلالها) :
انصتوا يا قوم ، انصتوا !
فى ضجة الأمواج الصاخبة ٠٠
أسمع قصف الطبل ٠
أوه ، صوت مفرح ، أوه مفرح !
موسيقى الطبل ٠

رجل الحاشية : غريب ، غريب !

هذه السيدة تتحدث وكأنها شخص
مسه هوى ٠
ما الخطب ، ماذا بها ؟

الأميرة : حقا ، يتخبطنى مس من الهوى ٠

هل يعطى الطبل الحريرى أى صوت ؟
عندما دعوته لقرع ما لا يقرع ،
كان عقلى قد تداعى ٠

رجل الحاشية : انها تكلمت ، وعلى وجه بركة المساء
تحركت موجة ·

الأميرة : وخارجا من الموجة

رجل الحاشية : تكلم صوتا ··

(يسمع صوت البستانى ، أثناء تقدمه بالتـــدريج على طول قاعة المسرح ويرتدى « قناع شيطان » يتكىء على عصاه ويحمل « مطرقة شيطان » فى حزامه) ·

شبح البستانى : كنت خشبا طافيا فى البركة ، ولكن أمواج المرارة ··

كورس : غسلتنى عائدا للشاطىء ·

الشبح : الغضب يتعلق بقلبى ،
يتعلق حتى الآن عندما لا يكون الغضب ولا النحيب الا حماقة ·

كورس : فكرة واحدة تستهلكنى ،
غضب لهفة مرفوضة
يغطينى مثل الظلمة
انى أتحول الى مسكن شيطان
فى جحيم أفكارى القاتمة ،
سحابة عاصفة لرغباتى

الشبح : « رغم أن المياه غاضت فى الحقول
رغم جفاف الأغادير ،
فلن يظهر المكان أبدا
المينبوع الذى يغذى قلبى » ·
لذلك فلقد عزمت · أوه ، لماذا بهذه القسوة
هيأوا لى أن أكسب
صوتا من طبل أبكم
منهكا قلبى بلا فائدة ؟
وأنهكت قلبى على لمحة خاطفة لقمر منزلق
خلال فروع شجرة خريف ·

كورس : هذا الطبل الحريرى المعلق فوق شجرة الغار

الشبح : هل ستصدر صوتا ، هل ستصدر صوتا ؟

(يقبض على الأميرة ويسحبها نحو الطبل)
حاولى ! اضربيها !

كورس : يصرخ ، « اضربى ! »

النقرة السريعة ، هجوم المعركة !
أعلى ، أعلى ! اضربى ، اضربى
ملوحا بعصاه الشيطانية
دون أن يعطيها راحة ·
فتنتحب السيدة « أوه يا ويلتاه ! »
وتبكى قائلة « لا صوت ، لا صوت ، يا للبؤس ! »
وهو بضربة مطرقة ، « تحسرى ، تحسرى ! »
مثل هذا العذاب فى عالم الليل
ابوراسيتسو ، رئيس الشياطين ، يدبر الأمر
وهو على عجلة النار
يذوى اللحم الأثيم ويحطم العظام الى رماد
ولا يقل عذابها الآن !
وتصرخ ، « أوه ، ياللكرب ! ماذا فعلت ،
بأى بذرة كئيبة نثرت هذه الغلة ؟ »

الشبح : السبب يقف واضحا أمامك ·

كورس : السبب يقف واضحا أمام عينى

اننى أعرفه الآن ·

بجانب مياه البركة البيضاء ، وعلى غصن الغار
كان الطبل معلقا ·
الى أن انحسرت كل ارادته من سويداء قلبه ،
ثم قفز فى البحيرة ومات ·
وبينما يهتز جسده
مثل الخشب الطافى على الأمواج
روحه ، شبح حانق ،

تلبست عقل السيدة ، وأسكنت فى قلبها كربا وبلاء ..
والمطرقة تلطم ، كما تلطم تلك الأمواج الشاطىء ،
تلطم على ثلج الشاطىء الشرقى .
تمر الريح . ويسقط المطر
على اللوتس الحمراء ، والأقل والأعظم (١)
ويقف الشعر فى رأسى .
« السمكة التى تقفز من مساقط المياه
تتحول فى سقطتها الى ثعبان (٢) .
لقد تعلمت أن أعرفهم ،
هكذا . هكذا شياطين عالم الليل .
وصرخ ، « أوه أيتها السيدة البغيضة ! »
وغرق ثانية فى دوامة الرغبة .



(١) اللوتس الحمراء البوذية تعتبر شعار الفردوس . أما الأقل والأعظم فهما اسمان لجحيمين باردين ، وبالتالى فالمطر يسقط على الاثنين الفاضل والشرير .

(٢) طبقا للاسطورة فالسمكة التى تقفز بنجاح من شلال تصبح تنينا . وهكذا فجهود البستانى لاحراز المساواة مع الأميرة حولته الى روح شريرة .

الطبلة الحريرية (١)

« دراما حديثة »

للكاتب : يوكيو ميشيما

★ يوكيو ميشيما (١٩٢٥ ـ ١٩٧٠) :

من أشهر الكتاب اليابانيين خارج اليابان . ولد فى طوكيو ودرس القانون بجامعة طوكيو . ولكن حتى قبل أن يحصل على درجته فى القانون ، بدأ يكتب وينشر قصصه . ظهرت أول مجموعة قصصية له فى عام ١٩٤٤ ، واشتهر العديد من قصصه بعد ترجمتها الى الانجليزية ويكشف عمله عن اهتمام بالجانب السفلى الحسيس للشخصية الانسانية والافتتان بالسلوك السيكولوجى المنحرف ، كتب ميشيما أيضا عددا من المسرحيات التى تشتمل على العديد من مسرحيات نو على نصوص تقليدية قديمة بعد أن وضعها فى محيط وشخصيات حديثة ، مع تقديم رؤية سيكولوجية حديثة .

★★★

الشخصيات

ايواكيتشى ، بواب عجوز
كايوكو ، فتاة فى العشرين ، موظفة
فوجيما شونوسوكى ، مدرس للرقص اليابانى
تویاما ، فتى
كانيكو ، موظف بوزارة الخارجية .
مدام ، صاحبة دار أزياء
عاملة المحل ، فتاة
هاناكو تسوكيوكا

---

(١) عن الترجمة الانجليزية لدونالدكين .

المنظر

وسط خشبة المسرح عبارة عن شارع بين مبان • فالنوافذ واللافتات في مواجهة بعضها البعض بالطابق الثالث من المباني على كلا الجانبين •

الجانب الأيمن من خشبة المسرح عبارة عن مكتب قانوني بالطابق الثالث • حجرة تبدو عتيقة على الطراز القديم يوحي بالاخلاص والصراحة• وبها شجرة غار في أصيص •

وفي الجانب الأيسر من خشبة المسرح تظهر دار أزياء • حجرة على أحدث طراز توحي بالنية السيئة والمخادعة • توجد مرآة كبيرة •
الوقت ، ربيع • مساء •

(في الحجرة الواقعة في الجهة اليمنى)

ايواكيتشي : (يكنس الحجرة بمقشة • يكنس في اتجاه النـــافذة) : ابتعدي عن الطريق ، ابتعـــدي عن الطريق • يبدو أنك تحاولين حماية القذارة حول قدميك •

كايوكو : (تأخذ مرآة من حقيبة يدها الرخيصة وتقف في الضوء واضعة طبقة جديدة من أحمر الشفاه) • دقيقة واحدة • سأنتهي بعـد دقيقة واحدة •

(يرفـــع ايواكيتشي جـونلة كايوكو من الخـلف بمقشـــته) • أو ــ و ــ وه ••• انك فظيع • يبدو أن الرجال العجائز أصبحوا فاسقين بشكل رهيب هذه الأيام • (تتحرك أخيرا جانبا) •

ايواكيتشي : (يكنس) وماذا عن الفتيـــات الصغيرات ؟ الفتـــاة في التاسعة عشرة أو العشرين تبدو أفضل عندما تكون شـفتاها غير مدهونتين بكل هذا الدهان • أراهن أن صديقك يؤمن بذلك أيضا •

كايوكو : (تلقي بنظرة الى ساعتها) • انني لا أقدر على شراء المـلابس الغالية • أحمر الشفاه هو أفضل ما أقدر عليــه • (تنظر في ساعتها ثانية) • أوه ، لقد سئمت ذلك في الحقيقة • لماذا لا نخرج أنا وهو كلانا من العمل في نفس الوقت • فلتساعدني الســـماء

لو حاولت أن أقتـل الوقت لأنتظره في أى مكان خارج المكتب ·
أول شيء تعرفه أنه يتكلف نقودا ·

ايواكيتشي : لم تطأ قدمى أى مكان من أماكن الشرب الأنيقـة هذه · ولكنهم يعرفون وجهى فى كل المطاعم تقريبا · اذا أردت أن تعرفى أين تجدى حساء الفاصوليا الطيب ، فلتسأليني · (مشـيرا الى المكتب) دعوت الرئيس ذات مرة وقال أنها درجة أولى · لقـد سررت أكثر مما لو كان قد مدح حساء الفاصوليا فى منزلى ·

كايوكو : الأعمـال بالنسبة للرئيس ليسـت على ما يرام فى الفترة الأخيرة ·

ايواكيتشي : توجد كثير من القوانين ، لذلك فهناك محامون أكثر ممـا يعرف أى شخص ماذا يفعل بهم ·

كايوكو : أتعجب ·· متى حصل على هذا المكان التقليدى لمكتبه ·

ايواكيتشي : الرئيس يـكره أى شيء ملتو ·· أنا متأكـد من ذلك · (ينظر الى صورة على الحائط) ويزعجه حتى او كان اطار الصورة منحرفا ربع بوصة · ولهذا قررت أن أقضى بقيـة أيامى عاملا عنده ·

كايوكو : (تفتح النافذة) هدأت الريح منذ أول المساء ·

ايواكيتشي : (مقتربا من النافذة) · اننى لا أتحمل هذه الريح المتربة التى تهب فى بداية الربيع ··· هدوء المساء · أوه ، توجد رائحة طيبة آتية من مكان ما ·

كايوكو : انها من المطعم الصينى بالطابق الأرضى ·

ايواكيتشي : الأسعار غالية بالنسبة لى ·

كايوكو : انظر الى غروب الشمس الجميل · انها تنعكس على نوافذ جميع المبانى ·

ايواكيتشي : وهذه طيور الحمام تنطلق من مكتب الصحيفة · انظرى اليها متناثرة · والآن يشكلون حلقة مرة أخرى ···

كايوكو : أنا سعيدة لأنك قد وقعت فى الحب ٠٠ ان ذلك يعيدك شابا مرة أخرى ٠

ايواكيتشي : لا تكونى ســـاذجة ٠ ان حبى من جانب واحـــد ، وليس مثلك ٠

كايوكو : انك تحب سيدة عظيمة حتى اسمها لا تعرفه ٠

ايواكيتشي : انها أميرة الغار ، الشجرة التى تنمو فى حديقة القمر ٠

كايوكو : (مشيرة الى الشجرة فى الأصيص) ٠ هذه هى الشجرة التى تقصدها ٠ أليس كذلك ؟ لا يوجد شيء مدهش بخصوص شـــجرة الغار ٠

ايواكيتشي : أوه ! لقد نسيت أن أروى شجرتى الثمينة ٠ (يخرج) ٠

كايوكو : أليس ماكرا ؟ يركض خارجا ليخفى ارتباكه ٠

ايواكيتشي : (يدخل ومعه وعاء فيه ماء) شجرتى ٠ آسف ، نســـيت أن أرويك ٠ دقيقة واحدة وستلمع أوراقك (يربت على الأوراق بولع وهو يروى النبات) ٠
يتكلم الشعراء عادة عن لمعان الشعر كأوراق ٠٠٠

كايوكو : ألم تحصل على رد بعد ؟

ايواكيتشي : ممـ ممـ ٠٠٠٠

كايوكو : انه شيء يثير الاشمئزاز ٠ انه يمرضنى ٠ لا يوجد لديها أى لياقة لتبعث لك برد ٠ لن يرضى أحد غيرى فى أن يستمر رسولا لك ٠ كم رســـالة كانت ؟ ثلاثون ، أليس كذلك ؟ اليوم تصبح ثلاثين بالضبط ٠

ايواكيتشي : اذا حسبت كل رسائل الحب التى كتبتها دون أن أبعثهـــا لكانت سبعين فوق ذلك ٠ لمدة سبعين يوما ٠٠٠ كنت أكتب لهـــا رسالة وكل يوم أحرقها ٠ هكذا كان الحال قبل عطفك واشـــفاقك بحالى لتصبحين ساعى بريدى ٠ معنى ذلك أن العدد الاجمـــالى يساوى ٠٠٠ (يفكر)

كايوكو : مائة ، طبعا · لم تعد تستطيع العد ؟

ايواكيتشي : الحب دون مقابل شيء مر ·

كايوكو : ليس لديك النية فى الكف عن ذلك ·

ايواكيتشي : أحيانا أفكر بأنى سوف أحاول النسيان · ولكنى أعرف الآن أن محاولة النسيان أسوأ من عدم القدرة عليه · أقصد ، حتى لو أن عدم القدرة على النسيان كانت مؤلمة الا أنها مازالت أفضل ·

كايوكو : كيف وصلت الى مثل هذه الحالة ، اننى أتعجب ؟!

(أثناء حديثها أشعل ضوء الحجرة التى فى الجهة اليسرى ·)

ايواكيتشي : لقد أشعلوا النور · كل يوم فى نفس الميعاد ·· عندما تذوى هذه الحجرة تنبعث الحياة فى تلك الحجرة ثانية ، وفى الصباح عندما تعود هذه الحجرة الى الحياة تموت تلك ·· كان ذلك منذ ثلاثة شهور ·· كنت قد أنهيت الكنس وتصادف أن نظرت الى الحجرة التى هناك ، بلا أى شىء معين فى عقلى ·· عندئذ رأيتها لأول مرة · لقد جاءت الحجرة مع وصيفتها · وكانت المدام توجه طريقها .؟ كانت ترتدى معطفا مصنوعا من الفرو الذهبى . وعندما خلعته . كان رداؤها كله أسود · وقبعتها كانت سوداء أيضا · وشعرها . طبعا ، كان أسود ، أسود مثل سماء الليل · اذا حاولت أن أصف لك كم كان وجهها جميلا ·· كانت مثل القمر وكل شىء من حوله يسطع ·· قالت كلمات قليلة ، ثم ابتسمت · فارتعشت كلى ·· ابتسمت ·· فوقفت خلف النافذة محملقا فيها حتى ذهبت الى غرفة القياس ·· ومن هنا بدأ ··

كايوكو : لكنها ليست بكل هذا الجمال · انها ملابسها ·· ملابس فاخرة ·

ايواكيتشي : الحب ليس ذلك الشىء · انه شىء ما يتأتى فى الشخص الذى تحبينه من مرآة قبحك ·

كايوكو : فى هذه الحالة ، حتى أنا أكون مؤهلة لذلك ·

ايواكيتشي : ليس هناك ما تقلقين من أجله ! فأنت فى عين صديقك تبدين الجمال كله ·

كايوكو : هل معنى ذلك أنه يوجد قمر لكل امرأة فى العالم ؟

ايواكيتشى : بعض النساء سمينات ، وبعضهن نحيفات ·· ولذلك يوجد البدر والهلال ·

(يظهر ثلاثة رجال فى الحجرة الواقعـــة فى الجهـــة اليسرى · فوجيما ، توياما ، وكانيكو) ·

ايواكيتشى : لقد أزف الوقت · على أن أنهى بقية رسالة حب اليوم ·

كايوكو : أسرع ، من فضلك ؟ ســـوف أقرأ كتابا أثناء انتظـارى ·

(يذهب ايواكيتشى الى المكتب وينهى رسالته · وتجلس كايوكو وتبدأ فى القراءة) ·

(فى الحجرة الواقعة فى الجهة اليسرى)

فوجيما : (يحمل لفة ملفوفة بقمـاش مربع أرجوانى اللون) · أنا فوجيما شونوسوكى · سعيد جدا بلقائك ·

توياما : كيف حالك ؟ اسمى توياما · وهذا هو مستر كانيكو من وزارة الخارجية · (يقدم الرجلين لبعضهما) مستر فوجيما ·

كانيكو : كيف حالك ؟

فوجيما : يبدو أنك ومسز كانيكو صديقان قديمان ·

توياما : أجل كان فى نفس مدرستى ، ولكنه كان متقدما عنى ·

فوجيما : أوه ، حقا ؟ ·· تلامذتى سيقومون بتمثيل مسرحية راقصة · (يناولهما كتيبات صغيرة) تفضلا هذه ·· مسز تسوكيوكا قالت انها سوف تشترى مائة تذكرة ·

توياما : (فى غيرة) · مسز تسوكيوكا لن تفعـل ذلك الا اذا كانت متأكدة من الربح ·

كانيكو : كلا ، انها ليست على غرارك ·· انها من النـــوع الذى يخسر ولا تفكر فى الربح اطلاقا ··

فوجيما : أجل ، انها هكذا فى الواقع ٠

كانيكو : (بحزم) ٠ اننى أعى تماما من هى ٠

فوجيما : (مغيرا الموضوع) ٠ ان حبكة المسرحية الراقصة ساحرة ، اذا صح لى قول ذلك بنفسى ٠

توياما : (ينظر الى ساعته) ٠ انها تأخرت ، أليس كذلك ؟ استدعاء الناس هنا هكذا ٠٠ انه لذوق سيء أن تحجز رجلا لينتظر فى محل أزياء ٠

كانيكو : فى عهد الملك لويس الرابع عشر اعتادت النساء أن يستقبلن الرجال فى مخادعهن ٠ وعندما يريد رجل ان يطرى امرأة ، كان يقول لها شيئا مثل ، « من الذى وضع التظليل تحت عينيك ؟ » (يقولها باللغة الفرنسية) ٠

فوجيما : معذرة ؟ ما معنى ذلك ؟ ٠

(كانيكو يترجم كلمة كلمة ٠ توياما ينظر الى الجهة الأخرى) ٠

فوجيما : التظليل تحت عينى المرأة شيء جميل ٠ أليس كذلك ؟ يمكن أن تقول أنه كالسحب التى تحوم تحت القمر ٠

كانيكو : (مهتما فقط بما يقوله هو) ٠ هذا هو سر الدبلوماسية كلها ٠ أن تسأل من الذى وضع التظليل تحت عينى امرأة ، وأنت على دراية بأنها هى التى وضعته بنفسها

توياما : مستر كانيكو سيصبح سفيرا قريبا جدا ٠

فوجيما : (منحنيا) ٠ تهانينا ٠

(فى الحجرة الواقعة فى الجهة اليمنى)

ايواكيتشى : لقد كتبتها ٠ انتهيت ٠ رسالة ممتازة هذه المرة ٠

كايوكو : لابد أنك توترت وضغطت على نفسك لكى تعصر فكرك لتقول أشياء جديدة دائما ٠

ايواكيتشي : هذه احدى مشتقات الحب المقبولة ·

كايوكا : سأتركها وأنا فى طريقى الى البيت ·

ايواكيتشي : آسف لازعاجك ، كايوكا · من فضلك لا تضيعينها ·

كايوكا : تتكلم وكأنها ليست عبر الشارع فقط · لا أستطيع أن أضيعها حتى لو أردت ذلك ·· تصبح على خير ·

ايواكيتشي : تصبحين على خير يا كايوكو

كايوكو : (ملوحة بالرسالة وهى تقف بالبـــاب) ربما أنسى موضوع الرسالة ، بعد كل هذا · فأنا فى عجلة من أمرى ، كما ترى ·

ايواكيتشي : لا يحق لك أن تعذبى رجلا عجوزا بهذا الشكل ·

(فى الحجرة الواقعة فى الجهة اليسرى)

كانيكو : انها تأخرت بالتأكيد ·

توياما : (يقف أمام المرآة ويصلح من ربطة عنقـــه) ان ذوق مســـز تسوكيوكا فى ربطات العنق دائما بهذا الشكل · فى الواقع أنــا أكره ربطات العنق المبهرجة ·

فوجيما : هذه علبة للتبغ أعطتها لى مسز تسوكيوكا عندما أصبحت رئيسا للشركة · ان حلية النحت المثبتة عليهــا أكثر قيمة من العلبـــة نفسها · (يرفعها نحو الضوء) · لن تفكر مطلقا بأنها مصنوعة من الخشب الخالص ، أليس كذلك ؟ انها تشبه العاج بالضـــبط ، أليس كذلك ؟

كانيكو : نحن موظفو الدولة يجب أن نرفض جميع الهدايا · فهناك دائما الريبة من الرشوة · انني أحسد الفنانين ·

فوجيما : كل شخص يقول ذلك ·

توياما : (فى صوت باك) · ملعونة المرأة العجوز ؟ لماذا دعت الجميع فيما عداى ؟

كايوكو : (لاهثة النفس) . أوه ، معذرة . هل المدام موجودة ؟

توياما : لقد ذهبت الى المحل منذ دقيقتين . أظن أن لديها عملا ما هناك .

كايوكو : ماذا أفعل الآن ؟

تويوما : هل الأمر عاجل ؟ .

كايوكو : أجل . انها رسالة . انني أعطى واحدة للمدام كل يوم ، حسب طلب شخص ما ..

كانيكو : (بغطرسة) . سوف أهتم بموضوعها .

كايوكا : (مترددة) . انه لكرم منك ...

كانيكو : سأتحمل المسئولية .

كايوكو : شكرا جزيلا . اسمحوا لى .

توياما : انها فى عجلة من أمرها !

كانيكو : (يقرأ العنوان على المظروف) . حســـنا ، اننى لست كذلك أبدا ! مكتوب « الى أميرة غار القمر » .

فوجيما : رومانتيكية جدا ، أليس كذلك ؟ .

كانيكو : ألم تكتبها أنت ، احتمال ؟

فوجيما : انك تمزح . متى لمدرس الرقص أن يكون لديه الوقت ليكتب رسائل حب . انه يمسك الأيادى بدلا من ذلك .

كانيكو : الراسل شخص اسمه ايواكيتشى .

فوجيما : انه يكتب محسنا خطه . أيا كان هو .

توياما : تخيل .. يسمى المدام « أميرة غار القمر » ! لا أعتقد أننى رأيت شجرة غار . انها شجرة كبيرة جدا ؟ .

فوجيما : بل متوسطة ، على ما أعتقد .

كانيكو : لا يوجد حساب على الأذواق ، أليس كذلك ؟ هناك تعبير فرنسى بهذا المعنى انه على ما أظن ....

المدام : (تدخل . انها طويلة أكثر من المعتاد) . جميل أن أجدكم جميعا هنا .

توياما : رسالة غرام قادمة اليك .

المدام : ترى من بعث بها . هناك خمسة أو ستة رجال من المحتمل أن يبعثوا لى بواحدة .

كانيكو : علاقاتك انتقالية سريعة ، « المس وابعد » (١) ، على ما أظن ؟

المدام : أجل ، تمام · انني لا أنسى دفاعاتي أبدا ·

توياما : لابد أن درعك به أدوات كثيرة ·

المدام : ولدى الحبيب ! أنت دائما تقول أشياء مسلية كهذه ·

فوجيما : (بشكل تمثيلي) · اسمحي لي أن أتجرأ وأناديكي « أميرة غار القمر » ؟ ·

المدام : أوه ، هل هذه هي رسالة الغرام التي تتكلمون عنها ؟ في هذه الحالة ، فهي ليست لي ·

كانيكو : لا تحاولي أن تخدعينا ·

المدام : انك مخطيء تماما · انها لمسز تسوكيوكا ·

الجميع : ماذا ؟ ·

المدام : (تجلس) · ان هذه الرسائل تسبب لي هياجا · انها من البواب الذي يعمل في المبنى الذي يقع عبر الشارع · رجل عجــوز في حوالي السبعين · لقد وقع في حب مسز تسوكيوكا ، من رؤيته لها عبر النافذة ·

كانيكو : ان ذلك لا يدهشني · يقولون أن كبار السن بعيدو النظر · (يضحك ، معجبا بنكتته ·) انني لا أستطيع الانتظار حتى أكبر · يبدو أنه شيء مريح أن يكون الشخص بعيد النظر ·

المدام : لقد بعث لها الرجل العجوز بعشرات ·· بل مئـــات ·· من الرسائل ·

توياما : اذا أرسل كل رسائله الى نساء مختلفات ، لنجحت احداها ·

كانيكو : هناك شيء صحيح فيما نقـول · ولكن ، اذا كان الحب مسألة احتمال ، فالاحتمال من أجل امرأة واحدة ربما يكون نفسه الاحتمال من أجل نساء عديدات ·

فوجيما : هل أطلعتها على الرسائل ؟ أقصد ، مسز تسوكيوكا ·

المدام : كيف يمكنني أن أطلعها عليها ؟ لقد استعملتها لمسح المشط ·

توياما : هل الأمشاط تتسخ بهذا القدر ؟

---

(١) اصطلاح في لعبة السلاح ·

المدام : انها لأمشاط كلابى ٠ لدى خمسة كلاب لصيد الثعالب لهم شعر كالسلك ٠ انها تغمض عيونها فى نشوة تامة عندما أمشطها ٠

كانيكو : من الذى يجرى أسرع ٠٠ الحب أم الكلب ؟

فوجيما : الذى يتسخ أسرع ؟

المدام : اننى أصاب بدوار عندما أتكلم مع رجال ساخرين مثلكم ٠

كانيكو : خارج الموضوع مرة أخرى ٠ ماذا حدث لرسائل الغرام ؟

المدام : هذا ما قد حدث ٠ والتى كانت تأتى بالرسائل هى الفتاة الحلوة من المكتب المقابل ٠

تویاما : الفتاة التى كانت هنا الآن ؟ ما الحلو فيها ؟

المدام : انها لطيفة مؤدبة ، ولاعجابى بها كنت أقبل الرسائل كل يوم ٠ ولكنى لم أحلم أبدا أن أعطى واحدة لمسز تسوكيوكا ٠

كانيكو : اذا عرفت الفتاة بذلك ، فلن تعطيك رسالة أخرى ٠

المدام : انكم تعذروننى ٠ ضعوا أنفسكم فى مكانى ٠ اذا قرأتها مسز تسوكيوكا وأصبحت قلقة ٠٠٠

(طرق على الباب)

المدام : والآن ماذا أفعل ؟ انها مسز تسوكيوكا ٠

كانيكو : انتباه ٠ (هاناكو تدخل) سلام !

تویاما : (يحاول التعلق بها) ٠ يالك من قاســـــية ، أن تتأخرى مرة أخرى ٠

فوجيما : كنا نتوقعك فى كل دقيقة ٠

المدام : انك تبدين جميلة دائما ، رغم أنى أراك باستمرار ٠
(هاناكو لا تجيب ، تخلع قفازيها وهى تبتسم) ٠

المدام : (محاولة أن تأخذ المبادرة) ٠ كل واحد كان منتظرا على نار ، اننى لا أريد أن أضيع دقيقة أخرى ٠ سنبدأ القياس فى الحال ٠ (تتفحص هاناكو من الأمام ومن الخلف ٠) فى الواقع المـوديل أنيق ويناسب تماما خطوطك الرشيقة ٠ ولـكن فى طقم ربيعى ، أليس كذلك ، أعتقد يجب أن نحاول ٠٠ ومع قوامك يمكن انجاز تصميم رياضى ٠ فى الواقع لقد كنت جريئة هذه المرة فى التفصيل٠ الخطوط بسيطة ، بسيطة بشكل رائع ٠ مجرد ثنيات ظاهرة على

جانبى الوسط ، كما اقترحت ٠ رائع جدا ، وكأنه توكيـــد على العمل الفنى ٠٠ والآن ، هل تسمحى بالدخول الى غرفة القياس ؟ سيكون لدينا وقت لفنجان من القهوة فيما بعد ٠

كانيكو : لقد جاءتك رسالة غرامية يا مسز تسوكيوكا ٠ رسالة حب ٠٠ خمنى كم عمر الرجل الذى بعث بها ٠ عشرون ؟ ثلاثون ؟ أكبر ؟ ٠
(هاناكو ترفع أصبعا واحدا ٠)

توياما : كلا ، كلا ٠ انه ليس بتلميذ ثانوى ٠

(ترفع هاناكو وهى تبتسم اصبعين ، فيهز الآخرون رؤوســهم ٠ ترفع اصبعا آخر كل مرة حتى ترفع فى النهاية سبع أصابع مع نظرة عدم تصديق) ٠

كانيكو : لقد خمنتها أخيرا ٠ سبعون عاما هى سن الخجل واحمرار الوجه ٠ لقد قالوا بأنه بواب العمارة المقابلة ، عبر الشارع ٠

(المدام ، مرتبكة ، تحكم اغلاق الستائر ٠ ايواكيتشى ، فى الحجرة الواقعة فى الجهة اليمنى يحملق بثبات فى النافذة المغلقة ٠ وأثناء الاستراحة يناول كانيكو الرسالة لهاناكو ٠ تفتحها ٠ يقف الآخرون خلفها وينظرون من فوق كتفها) ٠

توياما : (يقرأ) ٠ « من فضلك اقــرئى التعبير الثلاثين لحبى وضــميه لقلبك » ، لقد كذبت المدام ثانية ٠ قالت بأنه يوجد مئات الرسائل؟ وليكن فى علمك يا مسز تسوكيوكا ، أن المدام قد اختلست جميع الرسائل السابقة ٠

كانيكو : (يقرأ) ٠ « ان حبى ليس أمامه الا أن يقوى مع مرور الأيام ٠ ولكى تندمل ندوب سوط الحب الذى يعذب جسدى المسن صباحـا ومساء ، أطلب قبلة ، قبلة واحدة فقط » ٠ أليس ذلك مؤثرا ؟ كل ما يريده قبلة واحدة فقط ٠

(ينفجر الجميع فى الضحك) ٠

توياما : مجرد قبلة واحدة ؟ انه متواضع فى مطالبه ٠

فوجيما : ان ذلك يدهشنى فى الواقع ٠ الرجال الكبار السن أصغر منا فى قلوبهم هذه الأيام ٠

المدام : هل هذه هى نوعية الرســائل التى يكتبها ؟ اعترف أننى لم أقرأ جهوده الأخرى ٠ (يمررون الرسالة اليها ٠) أوه ، يا الهى .

(تقرأ) « ان ما ندعـوه حبـــا ، هو أسى خالد ، لا ينتهى » ٠ مبتذل ، أليس كذلك ؟ انه قد يقول أيضا : « ان ما ندعوه خلا ، لا يشبه العسل ، هو مصدر للمرارة لا ينتهى » ٠

كانيكو : هذا الرجل العجوز يعتقد أنه الشخص الوحيد الذى يقاسى ٠ انه تصور مقيت ٠ كلنا نقاسى بنفس الطريقة بالضبط ٠ الاختلاف الوحيد هو أن بعض الناس يتكلمون عنه والآخرون لا يتكلمون ٠

فوجيما : ذلك لأن لدينا احترام للذات ، أليس كذلك ؟

توياما : حتى أنا أستطيع فهم هذا القدر ٠ لا أستطيع تحمل النغمة التى توحى بأنه الوحيد الذى يعرف الحب الحقيقى ، وأن الآخرين كلهم تافهون ومتقلبون ٠

كانيكو : سأكون مسرورا لأبين لأى شـــخص يرغب أن يرى كم نقاسى مرارا وتكرارا لنتحمل خداع أنفسنا ٠٠ نحن ، جميعنا ، يا من نعيش فى هذه الأيام الفاسدة ٠

فوجيما : ليس هناك شىء يمكنك أن تفعله ازاء النــــاس المندفعين فى طرقهم ٠ لا بد أنه يعتقد بوجود مقاعد خاصة محجوزة للحب ٠

توياما : رومانتيكى ٠

المدام : لا يجب على الصبية الصـــغار أن يتدخلوا فى محادثة الكبار ٠ لقد أصبحت المجادلة خطيرة ٠ (ترن جرسا) أليس هذا ساحرا ، يا مسز تسوكيوكا ، كيف ينفعل الرجال بسبب مجادلة ؟

كانيكو : (وكأنه يلقى خطبة) ٠ أعتقد أنى أستطيع القول دون خوف من انكار بأننا مقتنعون بأن وجود هذا الرجل العجوز يعتبر شيئا ممقوتا ، وأن مثل هذه الكائنات لا يمكن أن نحتملهـــا أكثر من ذلك ٠٠ نحن الكائنات التى تؤمن بالأحاسيس الأصيلة ٠ لا توجد قرية مهما كانت نائية الا وتبيع كعكة ناجازاكى الاسفنجية الأصلية والأصيلة ٠ انى أحتقر أى صاحب محل يعتقـــد حقا فى الـكلام الفارغ ، ويبيع بكل سخافة الكعكة على أنها أصـــيلة ، بل من الأفضل أن يبيعها معلنا بأنها زائفة ٠ ان هذا يجعل البيع غشـا واحتيالا وهو نتاج رائع من انتاج العقل البشرى الواعى ٠ ان لنا ألسنة تتعرف على مذاق الكعكة الاسفنجية ٠ وحبنـــا يبـدأ من اللسان ٠

المدام : ياللشهوة ! ٠

كانيكو : اللسان لا يعرف الفرق بين « أصيلة » وبين « أصـلية » ٠٠ اللسان يعتمد على الاحساس بالمذاق الشائع لكل الناس ٠ اللسان يمكن أن يقول : « هذا مذاقه حلو » ٠ وتواضعه الطبيعى يمنعه أن يقول أكثر من ذلك ٠ « أما الأصيلة والأصلية » فهى مجرد بطاقة يلصقها الناس على الغلاف ٠ واللسان يقصر نفسه على تحديد اذا كانت الكعكة الاسفنجية حلوة المذاق أم لا ٠

عاملة المحل : (تدخل) ٠ هل ضربت الجرس ؟

المدام : انه لم يكن من أجل كعكة اسفنجية ٠ ماذا كان السبب ؟ أوه ، أجل ٠٠ من فضلك احضرى خمسة فناجين من القهوة حالا ٠

العاملة : حاضر يا مدام ٠

كانيكو : كل المسائل نسبية ٠ والحب هو فن الهندسة المعمارية لعاطفة الانكار فى الأمور الأصيلة ٠ وذلك الرجل العجوز ، من ناحيـة ثانية ، نحس ، ملوث ٠٠ انه يستغفلنا جميعنا ٠ انه مسرور بنفسه منتفخ بالكبرياء ٠

فوجيما : أخشى أن ما تقول يصعب على شخص مثلى لم يتعلم أن يتتبعه ، لكن مدرسى قال لى ان كل المجادلات عن من كان الموظف الكبير فى الشركة ، أو ما هو أقدم تقليـد فى الرقص ٠ ليس له أية فائدة تذكر للفن نفسه ٠ وقال أن الجو الحقيقى الوحيد للرقص هو حيث يمكن أداء ايماءة للأمام وايماءة للخلف فى حرية مطلقة ٠٠ وذلك العجوز متلهف جدا لتأسيس مدرسة لنفسه فهو (يقلد حركات الرقص) واحد واثنين وقفزة للجنب ٠٠ يهمـل العوالم الحرة غير المقيدة لنشوة الحب ٠

تویاما : وماذا تفكرين بخصوص كل هذا يا مسز تسوكيوكا ؟ ليس لطيفا منك أن تظلى صامتة هكذا ٠ لكنى أقول أنه ليس كريها تمـاما استلام رسائل حب حتى من مثل هذا العجوز ٠ أليس الموضـوع هكذا ؟ قولى شيئا يا غار القمر ٠

المدام : مسز تسوكيوكا مهذبة النشأة ، وأنا متأكدة من أنها لا تحب المجادلات ٠

تویاما : ولكنها مع ذلك مغرمة جدا بتعذيب الناس ٠

المدام : هذا مذاق شائع بين جميع النساء الجميلات ·
فوجيما : وبين من هن سيصبحن نساء جميلات ، كما يقولون ·
المدام : بخصوص الألوان ، فالتى تناسبها أكثر هى الألوان الصعبة مثل الأخضر ·
كانيكو : وهذه الألوان ، بالطبع لا ترتديهـا للجمهـور · انها تدخرها لملابسها الليلية عند النوم وتتظاهر بأنها لا تدرى بأنها تليق عليها ·
نوياما : يمكننى اثبات أن مسز تسوكيوكا لم ترتد ثياب نـوم خضراء مطلقا ·
كانيكو : لقد أصبحت صفيقا بشكل متزايد مؤخرا ·
المدام : كفى ، كفى ·
(تدخل العاملة بالقهوة · يشرب الجميع بدون تعجل)

(فى الحجرة الواقعة فى الجهة اليمنى)

ايواكيتشى : ترى ما الخطب · لماذا لا يفتحون الستائر ؟ أوه ، الترقب القلق · كل ما استطعت الحصول عليه هو مجرد لمحة سريعة لها ·· وكنت متأكدا أنها الليلة ستشفق بحالى وتقف على الأقل بالنافذة وتبتسم لى ، مثل صورة فى اطار ·· ولكنى لم أفقد الأمل بعد ·· كلا لن أفقد الأمل ·

(فى الحجرة الواقعة فى الجهة اليسرى)

كانيكو : حسن ، والآن ·
فوجيما : أو بس ! (تنسكب القهوة على حجره ويمسحها ·)
كانيكو : ما الخبر ؟
فوجيما : فكرة جميلة خطرت لى وأنا أشرب القهوة ·
كانيكو : لقد كنت أفكر أيضا فيما يجب أن نفعله لنعـلم هذا العجـوز درسا صغيرا ، ما رأيك يا مسز تسوكيوكا ؟ عموما ···
فوجيما : كانت خطتى ···
كانيكو : (لا يعره انتباها) · عموما ، فمثل هذه الكائنات غير قادرة على رؤية النور الا بعد توقيع العقاب عليها · فلا حاجة لنا أن نشفق عليه لأنه ببساطة رجل عجوز · من الضرورى أن نجعله يعى بأنه حيث يعيش فالمكان ضيق ، ولن يدخل أحد ·

تویاما : تقصد أن الآدميين لن يدخلوا بيوت الكلاب ؟

كانيكو : (مستطردا مزاجه الرائق) . أجل بالضبط .

فوجيما : خطتى هى كالآتى . (يفك اللفة الملفوفة بقطعة الحرير الأرجوانية اللون فتظهر طبلة يد صغيرة) . هل ترون هذه ؟

المدام : انها طبلة ، أليس كذلك ؟

فوجيما : انها طبلة مزيفة أستعين بها فى مسرحيتى الراقصة القادمة . أوه ، وحيث اننى ذكرت المسرحية ، يجب أن أشكرك يا مستر تسوكيوكا .. التذاكر .. على أية حال ، بالنسبة للطبلة . هل أقرعها لكم ؟ (يقرعها) ترون أنها لا تصدر أدنى صوت . انها تشبه طبلة حقيقية ولكن بدلا من الجلد ، الذى هو أساسى بالطبع ، فهى مغطاة بالحرير ..

تویاما : تقصد أنهم اخترعوا طبلة لا تصدر أى صوت ؟ .

فوجيما : كلا ، انها كما كنت أقول ، مزيفة يستعان بها فى الاخراج المسرحى والسينمائى كالأثاث والملابس ..

كانيكا : وماذا تقترح أن نفعل بها ؟

فوجيما : أن نرفق بهذه الطبلة ملاحظة مكتوبة فى ورقة صغيرة ونلقى بهما فى حجرة العجوز . وعندى فكرة مدهشة نكتبها فى الملاحظة .

المدام : ان ذلك يبدو مثيرا . أخبرنا .

فوجيما : فى الملاحظة سنكتب : « من فضلك اقرع هذه الطبلة » هل تسمعوننى ؟ « من فضلك اقرع هذه الطبلة ، فاذا أمكن سماع طبلك فى هذه الحجرة أعلى من ضوضاء الشارع ، سوف أحقق رغبتك » . وكفى !

تویاما : فكرة ممتازة ! ان ذلك سيحط من قدر العجوز درجة أو اثنتين .

كانيكو : ألا تعتقد بأنك يجب أن تضيف : « واذا لم يصلنى الصوت فرغبتك لن تتحقق » ؟

فوجيما : ان هذا المعنى موجود ضمنا

كانيكو : فى المراسلات الدبلوماسية لا يمكنك أن تكون حريصا لهذه الدرجة .

فوجيما : (منفعلا) ألا تعتقدين أنها فكرة جيدة يا مسز تسوكيوكا ؟ سأكون سعيدا بالتضحية بهذه الأداة لحمايتك .

توياما : من أجل عميلة اشترت مائة تذكرة ، فما قيمة طبلة ؟

فوجيما : سوف أشكرك ألا تفسرها بهذه الكيفية · مسز تسوكيوكا ، ، انك توافقين أليس كذلك ؟ (هاناكو تومىء وهى تبتسم) ·

المدام : ان ذلك سيريحنى بالتأكيد · وقد يكون ذلك آخر يوم يضايقنا فيه العجوز ·

فوجيما : هيا ، أين الورق والقلم ؟

(فوجيما يكتب ملاحظة ليرفقها بالطبلة · تسحب المدام الستائر · يوجهوا هاناكو الى النافذة التى يفتحها كانيكو) ·

كانيكو : ان حجرته فى ظـلام دامس · هل أنت متأكدة أن العجـوز هناك ؟

المدام : ان الفتاة التى تأتى برسائله تقول أنه يحملق فى هذه النافذة الى أن تغادر مسز تسوكيوكا ·

كانيكو : مازلت لا أدرى اذا كانت أصواتنا ستصل اليه ·

تويما : ان ذلك سيكون على مسئوليتى · أوه ، أليس المنظـر جميـلا هنا حيث أضواء النيون فى كل مكان ؟

فوجيما : من سيرمى الطبلة ؟

كانيكو : أنا كنت هدافا ذائع الصيت فى أيام الدراسة ·

(يحرك ذراعه استعدادا ·)

توياما : هاى ! ايواكيتشى ! افتح نافذتك !

(تنفتح النافذة · يظهر ايواكيتشى نفسه بجبن ·)

تويوما : هل تستطيع سماعى ؟ سوف نرمى لك بشىء · تأكد أن تمسك به · (ايواكيتشى يهز رأسه · يرمى كانيكو الطبلة · ايواكيتشى يلقفها بالكاد · يأخذ الطبلة الى المكتب ·)

ايواكيتشى : ماذا يمكن أن يعنى هذا ؟ أرسلت لى طبـلة · انها تقف بالنافذة ناظرة الى · انه شىء غريب ، عندما تنظر الى بهذه الطريقة فكل ما يمكننى فعله أن أمتنع عن اخفـاء نفسى · ترى هل تخفى نفسها منى دائما لأننى أحملق فيهـا كثيرا ·· آوه ، ها هى ورقة مرفقة · (يقرأ) أخيرا ستحقق رغبتى ! ماذا يوجد أفضل من صوت

الطبلة حتى تعلو على ضوضاء حركة المرور ؟ لابد أن هـــذه هى طريقتها الأنيقة فى القول ٠٠ انها لا تستطيع نطق كلمة نعم ، ولكن تقولها بطريقة ملتوية ٠٠ أوه ، قلبى يتوجع ٠ انه لم يعرف مطلقا مثل هذا الفرح من قبل ٠ انه ضعيف ، مثل معدة طفل فقير قبـــل وليمة ٠ انه يتوجع لأنه صدم بالسعادة ٠٠ انهم جميعهم ينتظرون فى النافذة هناك ٠ لابد من أجل الاســتمتاع بذلك ٠ الاستمتاع بسماع عجوز يقرع الطبل لأول مرة ٠٠ آه ، عندى فكرة جيدة ٠ سأعلق الطبلة على شجرة الغار هذه وأقرعها هناك ٠ (يركع أمام الشجرة) ٠ أيتها الشجرة ، شجرة الغـــــار العزيزة الحبيبة ، سامحينى ٠ سوف أعلق الطبلة فى شعرك الأخضر ٠ ثقيلة ، أليس كذلك ؟ كونى صبورة لبرهة فقط ٠ انها تليق بك ٠ انها تليق بك تماما ، مثل حلية كبيرة جميلة قد سقطت من السماء لتزين شعرك ٠٠ انها رائعة ، أليس كذلك ؟ حتى عندما أبدأ فى قرع الطبلة ، فلن أهز أوراقك ٠ اننى لم أكن سعيدا هكذا أمامك من قبـــل ٠ وعندما كنت أتطلع اليك كنت أفكر : ان شقائى قد جعلك أكثر جمالا ، قد جعلك تورقين أوراقك بوفرة أكثر ٠ وهى حقيقـــة يا شجرتى ، هى حقيقة ٠

توياما : هيا أسرع واضرب الطبلة ٠ اننا نقف فى البرد ننتظرك ! ٠

ايواكيتشى : وهو كذلك ! اننى سأضربها الآن ، فأنصتوا ! (يضرب الطبلة ٠ فلا يصدر أى صوت ٠ يضرب الجانب الآخر ٠ انه صامت أيضا ٠ يضرب فى جنون ولكن بلا فائدة ٠) انها لا تصدر صوتا ٠ انهم أعطونى طبلة لا صوت لها ! لقد جعلوا منى شخصا أحمق ٠٠ لقد لعبوا بى ٠ (ينهار على الأرض ويبكى) ٠ ماذا سأفعل ؟ ماذا سأفعل ؟ سيدة مهذبة مثلها ٠٠ تلعب حيلة منحطة كهذه ٠ انه شىء ما كان يجب أن يحدث مطلقا ٠ لا يمكن أن يحدث ٠

(الناس فى النافذة فى الجهة اليسرى يضحكون ٠ وتغلق النافذة بعنف ٠)

تضحكون ! هيا استمروا فى الضحك ! اضـــحكوا جميعكم كمـــا تشاءون ! ٠٠ سوف تظلوا تضحكون عندما تموتون ٠ ســــوف تضحكون عندما تتعفنون ٠ ولن يحدث ذلك لى ٠ فالناس الذين تضحكون عليهم لا يموتون هكذا ٠٠٠ والنـــــاس الذين تضحكون عليهم لا يتعفنون ٠ (يفتح النافذة التى فى الخلف ٠ يتسلق على حافة النافذة ٠ يجلس هناك بلا حراك لدقيقة ، وينظر الى أسفل

فى حزن • ثم يدفع بنفسه من فوق الحافة فى ايمـــاءة منكسرة • صياح من أسفل • صرخات غير واضحة من الزحام تستمر لبرهة)•
(في الحجرة الواقعة في الجهة اليسرى جميعهم يثرثرون ويضحكون • أنهم لا يستطيعون رؤية النافذة التي انتحر منها العجوز ، وهم غير واعين لما قد حدث • وفجأة ينفتح الباب •)

العاملة : البواب الذى فى العمارة المقابلة قفز من النافذة وقتل نفسه •
(نهضوا وهم يصرخون صرخات مضطربة • البعض اندفع نحـــو النافذة ، والبعض الآخر ركض نحو السلالم • هاناكو تقف وحيدة بشكل متصلب فى منتصف المسرح •)

(الوقت متأخر بالليل • السماء بين المبنيين مملوءة بالنجـــوم • وساعة على رف فى الحجرة الواقعة فى الجهة اليسرى تعزف ترنيمتين رقيقتين • الحجرة حالكة الظلام •• ونسمع صوت مفتاح يولج فى الباب • ينفتح البـــاب • يسطع شـــعاع ضوء كشاف • تدخل هاناكو • ترتدى سترة قصيرة تغطى كتفيها فوق ثوب السهرة • وتمسك فى احدى يديها بالمفتاح وفى الأخرى بنور كشــــاف • تضع المفتاح فى حقيبة يدها • تذهب الى النافذة ، تفتحها ، وتحملق بلا حراك فى النافذة الواقعة فى الجهة اليمنى •)

هاناكو : (صوتها خفيض • تتكلم وكأنها تتكلم مع شخص موجود) •
لقد أتيت • لقـــد طلبت منى أن أحضر فأتيت • لقد تسللت من حفلة ، رغم أننا فى منتصف الليل •• رد على من فضلك • ألست هناك ؟ •

(تنفتح النافذة الواقعة فى خلف الحجرة التى فى الجهة اليمنى • ويتسلق منها شبح ايواكيتشى ، نفس النافذة التى قفز منهـا • ومشى نحو اليسار • وانفتحت النافذة اليسرى المواجهة بالتدريج أثناء اقترابه منها •)

هاناكو : لقد أتيت •• لقد أتيت بالفعل •

ايواكيتشى : لقد كنت أغدو وأجيىء بين أحلامك وهذه الحجرة •

هاناكو : لقد طلبتنى وهأنذا هنا • ولكنك لازلت لا تعرفنى • لا تعرف كيف استطعت المجيء •

ايواكيتشى : لأننى سحبتك الى هنا •

هاناكو : كلا • بدون قوة آدمية لا يفتح باب لآدمى للمرور منه •

ايواكيتشى : هل تنوى أن تخدعى حتى الشبح ؟

هاناكو : من أين لى بالقوة ؟ ان قوتى كانت تكفى فقط لقتل عجوز جدير بالشفقة · وحتى فى ذلك كل ما فعلته هو مجرد ايماءة · لم أفعل شيئا آخر · (ايواكيتشى لا يجيب) هل تسمعنى ؟ (ايواكيتشى يومىء) صوتى يصل حتى عندما أتكلم بصوت خفيض كهـذا · ولكن عندما أتكلم مع الناس فلا يستطيعون سماعى الا اذا صحت ··· كان من الأفضل لو لم تصل الأصوات من هذه الحجرة الى حجرتك ·

ايواكيتشى : السماء مليئة بالنجوم · لا يمكنك رؤية القمر · لقد تغطى القمر بالطين وسقط فى الوحل · كنت ألاحق القمر عندما قفزت · يمكنك أن تقولى أن القمر وأنا قد انتحرنا سويا ·

هاناكو : (ناظرة أسفل الى الشارع) · أيمكنك أن ترى جثة القمر ؟ أنا لا أراها · فقط سيارات الأجرة العـاملة طوال الليـل تعبر الشوارع · وهناك رجل شرطة يسير · لقد وقف · ولكنى لا أظن أن ذلك معناه أنه عثر على الجثة · ورجل الشرطة لن يقابل سوى رجل شرطة يأتى من الاتجاه المقابل · هل هو مرآة ، انى أتساءل ؟

ايواكيتشى : هل تعتقدين أن الأشباح تقابل أشباحا فقط ، والقمر يقابل القمر فقط ؟ ·

هاناكو : فى منتصف الليـل هذا حقيقى عن كل شىء · (تشـعل سيجارة) ·

ايواكيتشى : اننى لم أعد وهما · كنت وهما عندما كنت حيا · والآن كل ما تبقى هو ما اعتدت أن أحلم به ·· لم يعد أحد يستطيع أن يخيب ظنى ·

هاناكو : أستطيع أن أرى أنك لست تجسيدا للحب · أنا لا أقصد أن أنتقد نمو لحيتك أو زى البوابين أو قميصك الداخلى المبلل بالعرق ··· هناك شىء ناقص ·· شىء يحتاجه حبك قبل أن يتخذ شكلا · ولا يوجد دليل يثبت أن حبك فى هذا العالم كان حقيقيا ، وان كان هذا هو السبب الوحيد الذى مت بسببه ·

ايواكيتشى : هل تريدين دليلا من شبح ؟ (يفرغ جيوبه) ان الأشباح لا تملك شيئا · لقد فقدت كل ما كان يمكن أن أقدمه كدليل ··

هاناكو : أن لدى كثيرا من الأدلة . فالمرأة ببساطة تعرف الكثير من أدلة الحب . وعندما تقدم آخر دليل على الحب فانها تكون عندئذ ممتلئة بدلائل أن الحب قد ولى وذهب . هذا لأن النساء لديهن الأدلة على أن الرجال يستطيعون أن يحبوا وهم خاليو الوفاض .

ايواكيتشي : من فضلك لا تبينى لى مثل هذه الأشياء .

هاناكو : منذ قليل فتحت الباب ودخلت ، أليس كذلك ؟ من أين تعتقد حصلت على مفتاح الباب ؟ .

ايواكيتشي : من فضلك لا تسأليني عن مثل هذه الأشياء .

هاناكو : لقد سرقت المفتاح من جيب المدام . هل تدرى ، أن أصابعي رشيقة جدا . ان اكتشافى أن مهارتى فى النشل لم تغادرنى بعد ، أعطتنى سعادة عظيمة .

ايواكيتشي : اننى أفهم الآن . انك تخافين من تماسكى ، وتحاولين أن تجعلينى أكرهك . لابد أنه ذلك .

هاناكو : اذن هل أريك ؟ لقد أعطيتنى اسما مناسبا جدا ، أميرة القمر . لقد اعتدت أن أعرف بلقب مختلف ، لقب الهلال ، من وشم فوق بطنى . وشم لهلال .

ايواكيتشي : آه ـ ها ـ ها .

هاناكو : لم أكن أنا التى طلبت هذا الوشم لنفسى . لقد فعل ذلك رجل وبعنف . وعندما أشرب يتحول الهلال الى لون أحمر ساطع ، وله عادة لون شاحب كوجه رجل ميت .

ايواكيتشي : يا عاهرة ! لقد جعلت منى أحمق مرتين . مرة واحدة كانت لا تكفى ؟!

هاناكو : مرة واحدة كانت لا تكفى . أجل ، تمام ، كانت لا تكفى . حتى يرتوى حبنا أو حتى يدمر .

ايواكيتشي : لقد تسممت برجال كانوا غير صادقين .

هاناكو : ليس كذلك ، فالرجال الذين كانوا غير صادقين قد شكلونى .

ايواكيتشي : لقد خدعت لأننى كنت صادقا .

هاناكو : ليس كذلك ، لقد خدعت لأنك كنت عجوزا ·

(الحجرة الواقعة فى الجهة اليمنى تصبح حمراء بغضب الشبح · وتظهر شجرة الغار فى الوهج وعليها الطبلة المعلقة ·)

ايواكيتشي : ألا تخجلين من نفسك ؟ سأحل لعنة عليك ·

هاناكو : ان هذا لا يخيفنى على الاطلاق · لأنى قوية الآن ·· انى أشعر بأن هناك من أحبنى !

ايواكيتشي : من ؟!

هاناكو : أنت ·

ايواكيتشي : هل قوة حبى هى التى جعلتك تقولين الحقيقة ؟

هاناكو : انظر الى ·· لست أنا التى أحببت حقا (تضحك) · لقد حاولت أن تنزل اللعنة على · ان الرجال الحمقى كلهم كذلك ·

ايواكيتشي : كلا ، كلا · اننى أحبك ، ومشبوب العاطفة · كل واحد فى عالم الموتى يعرف ذلك ·

هاناكو : لا أحد يعرف ذلك فى هذا العالم ·

ايواكيتشي : لأن الطبلة لم تصدر صوتا ؟

هاناكو : أجل ، لأننى لم أستطع سماعها ·

ايواكيتشي : انها كانت غلطة الطبلة ·· فالطبلة الحريرية لا تصدر أى صوت ·

هاناكو : انها لم تكن غلطة الطبلة أنها لم تصدر صوتا ·

ايواكيتشي : اننى أشتاق لك ، حتى الآن ·

هاناكو : حتى الآن ! لقد مت منذ أسبوع بطوله ·

ايواكيتشي : اننى أشتاق لك · سأحاول أن أجعل الطبلة ترن ·

هاناكو : تجعلها ترن · لقد جئت لأسمعها ·

ايواكيتشي : سيحدث · ان حبى سيجعل الطبلة الحريرية تدق كالرعد ·· (شبح ايواكيتشي يضرب الطبلة · تصدر صوتا كاملا ·) انها أصدرت صوتا ! انها أصدرت صوتا ! سمعتيها ، أليس كذلك ؟

هاناكو : (مبتسمة بمكر) لا أستطيع سماع شيء ··

ايواكيتشي : لا تستطيعين سماع هذا ؟ لا يمكن ، انظرى سأضربها مرة مقابل كل رسالة كتبتها لك · مرة ، مرتان ، يمكنك سماعها ، أعرف ، ثلاث ، أربع الطبلة قد رنت · (الطبلة ترن) ·

هاناكو : لا أستطيع سماعها · أين صوتها ؟

ايواكيتشي : لا تستطيعين سماعها ؟ انك تكذبين · لا تستطيعين سماعها ؟ عشر ، احد عشر · لا تستطيعين سماع هذا ؟

هاناكو : لا أستطيع سماع صوت أية طبلة ·

ايواكيتشي : انها كذبة ! (فى غضـب) لن أدعك تقـولينها ·· انك لا تسمعين ما أسمعه · عشرون ، واحد وعشرون ، انها ترن ·

هاناكو : لا أستطيع سماعها · لا أستطيع سماعها !

ايواكيتشي : ثلاثون ، واحد وثلاثون ، اثنان وثلاثون ···· لا يمكنك قول انك لا تسمعينها · الطبلة ترن · الطبلة لم ترن أبدا ·· ترن الآن ··

هاناكو : آه ، أسرع واجعلها ترن · أذناى تحنان لسماع الطبل ·

ايواكيتشي : ست وستون ، سبع وستون ···· أيمكن أن تكون أذناى فقط هى التى تسمع الطبلة ؟

هاناكو : (فى يأس ، لنفســها) · آه ، انه نفس الشىء كالأحياء من الرجال ·

ايواكيتشي : (فى يأس ، لنفسه) · من يستطيع اثبات ذلك ·· انهـا تسمع الطبلة ؟ ·

هاناكو : لا أستطيع سماعها · لازلت لا أستطيع سماعها ·

ايواكيتشي : (بضعف) تسع وثمانون ، تسعون ، واحد وتسعون ·· ستنتهى حالا · هل تخيلت فقط أنى أسمع صوت الطبلة ؟ (الطبلة تستمر فى اصدار صوتها) لا فائدة · انها مضيعة للوقت · الطبلة لن ترن على الاطلاق ، أليس كذلك ؟ أضربها مهما أضربها ، فهى طبلة حريرية !

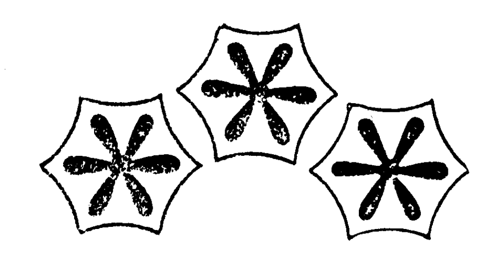
هاناكو : بسرعة ، اضربها حتى أستطيع سماعها · لا تيأس · بسرعة ، حتى ترن فى أذنى ·· (تمد يدها من النافذة ·) لا تيأس !

ايواكيتشي : أربع وتسعون ، خمس وتسعون ·· لا فائدة ، فالطبلة لا تصدر أى صوت · ما فائدة ضرب طبلة بكماء ؟ ··· ست وتسعون ، سبع وتسعون ·· وداعا يا أميرة الغار ·· وداعا ·· ثمان وتسعون ، تسع وتسعون ··· وداعا ، لقد أنهيت مائة ضربة ··· وداعا · (يختفى الشبح · يتوقف الضرب · تقف هاناكو وحدها ، ونظرة جوفاء على وجهها · توياما يدخل مندفعا فى انفعال) ·

توياما : هل أنت هنا ؟ أوه ، لقد ارتحت ·· لقد خرجنا جميعا نبحث عنك · ماذا حدث لك ؟ تركضين هكذا فى منتصف الليل · ماذا حدث لك ؟ (يهزها) · تماسكى ·

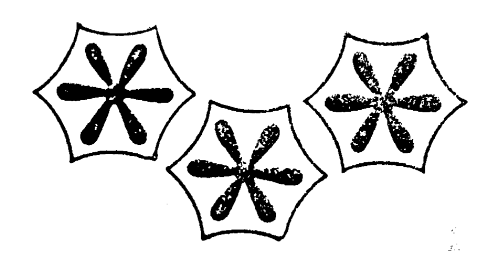
هاناكو : (كأنها فى حلم) لقد كنت سأسمع صوت الطبلة لو أنه ضربها مرة أخرى ·

ستار



مسرحيات الفصل الواحد

المجنون فوق السطح ٠



المجنون فوق السطح [1]

للكاتب

خان كيكوتشي

★ خان كيكوتشي (١٨٨٨ – ١٩٤٨) :

من أشهر كتاب اليابان . وتلقى تعليمه بمدارس طوكيو وكيوتو. كان صديقا لرايونوسوكى اكوتاجاوا من ايام الدراسة . وكان كاتبا خصبا مثمرا ، كون ثروة كبيرة من مسـلسلاته فى المجـلات ومن مسرحياته . ولكن اكثر أعماله قيمة هى كتاباته التى أنتجها قبل عام ١٩٢٠ . ولقد نشرت « المجنون فوق السطح » عام ١٩١٦ .

الشـخصيات

يوشيتارو كاتسوشيما : المجنون فى الرابعة والعشرين من عمره .

سويجيرو كاتسوشيما : أخوه فى السـابعة عشرة وطـالب بالمدرسـة الثانوية .

جيسوكى كاتسوشيما : الأب

أويوشى كاتسوشيما : الأم

توساكو : جـار

كيتشيجى : خادم فى العشرين من عمره .

كاهنة : فى حوالى الخمسين من العمر .

(١) عن الترجمة الانجليزية ليوزان ايواساكى وجلين هوجس .

المكان : جزيرة صغيرة فى بحر اليابان الداخلى ٠

الزمن : سنة ١٩٠٠ ٠

المنظر على المسرح يعرض الحـديقة الخلفية لمنزل عائلة كاتسوشيما وهى أغنى عائلة فى الجزيرة ٠ ويوجد سور من البامبو يحجب رؤية المنزل، فلا يظهر منه سوى السطح العالى الذى يبدو بارزا قبالة ســماء صيف الجزيرة الجنوبية ذات اللون الأخضر الزاهى ٠٠ ويمكن رؤية البحر من الجانب الأيسر للمسرح ســاطعا تحت ضــوء الشمس ٠ ويجلس يوشيتارو ، الابن الأكبر للأسرة منفرج الساقين على حافة السطح ناظرا الى البحر ٠

* * *

جيسوكى : (يتحدث من داخل المنزل) يوشى يجلس فوق السطح مرة أخرى ٠ سيصاب بضربة شمس ٠٠ الشمس قوية بشكل فظيع ٠ (خارجا) كيتشيجى ! أين كيتشيجى ؟

كيتشيجى : (يظهر من الجهة اليمنى) نعم ! ماذا تريد ؟

جيسوكى : أنزل يوشيتارو من فوق السطح ٠ أنه جالس فى الشمس الحارة وبدون قبعة ٠ سيصاب بضربة شمس ٠ كيف صعد هناك ؟ أريد أن أعرف ؟ من الشونة ؟ ألم تضع أسلاكا حول سطح الشونة كما أخبرتك ذلك اليوم ؟

كيتشيجى : أجل ٠ لقد فعلت كما قلت بالضبط ٠

جيسوكى : (يمر عبر البوابة الى منتصف المسرح ناظرا الى السطح) لا أدرى كيف يتحمل الجلوس فوق سطح من الاردواز ٠٠ (ينادى) يوشيتارو ! من الأفضل أن تنزل ٠ اذا بقيت فوق السطح هكذا ستصاب بضربة شمس ، وقد تودى بحياتك !

كيتشيجى : يا سيدى الشاب ! انزل لو سمحت ٠ ستمرض اذا بقيت هناك ٠

جيسوكى : يوشى ! انزل بسرعة ! ماذا تفعل فوق السطح عندك ! أقول لك انزل !

(ينادى بصوت عال) يوشى !

يوشيتارو : (بلا مبالاة) .... ماذا ؟

جيسوكى : بدون ماذا .. انزل حالا اذا لم تنزل .. فسوف نأتى وراءك بالعصـا .

يوشيتارو : (محتجا كطفل مدلل) كلا ، لا أريد . هنا شيء مدهش . كاهن الاله كومبيرا (٢) فى السحب . يرقص مع ملاك فى ثياب وردية . انهما ينادياني . لأذهب اليهما (يصرخ فى نشوة) انتظرا ! اننى قادم !

جيسوكى : اذا تكلمت هكذا سوف تسقط كمـا سقطت قبل ذلك . انك كسيح ومجنون ... ماذا ستفعل بعد ذلك لتشغل تفكير والديك ؟ انزل يا مجنون !

كيتشيجى : مهما عملت فلن تقنعه بالنزول . ألم يتسلق سطح معبـد هونزن بدون حتى سلم خشبى يتسلق عليه . ان سطحا منخفضا مثل هذا أسهل شيء فى العالم بالنسبة له . أقول لك ، انها الأرواح التى تجعله يتسلق . ولا يوجد شيء يمكن ايقافه .

جيسوكى : قد تكون على حق ، ولكنه يقلقنى حتى الموت . لو أمكننا فقط اقناعـه بالبقـاء فى المنزل ، فلا بأس ، حتى ولو أنه أبله دائما يتسلق كل الأماكن المرتفعة . كل الناس ، حسب ما يقول سويجيرو، من هنا الى تاكاموتسو يعرفون حكاية يوشيتارو المجنون .

كيتشيكى : الناس فى الجزيرة ... كل الناس يقولون انه تحت تأثير روح ثعلب (٣) ولكنى لا أومن بذلك . اننى لم أسمع مطلقـا عن ثعلب يتسلق الأشجار .

جيسوكى : انك على حق . أعتقد أننى أعرف السبب الحقيقى . فى الوقت الذى ولد فيه يوشيتارو ، اشتريت بندقية مستوردة غالية الثمن ، وأطلقت النار على كل قرد بالجزيرة . أعتقد أن روح قرد تتقمصه حاليا .

---

(٢) شيطان تحول الى البوذية ، وأصبح اله السعادة وشفيع البحارة .

(٣) يعتقد فى الحكايات الشعبية اليابانية أن الثعلب يستطيع أن يسحر النـاس وينتحل الشكل البشرى .

كيتشيجى : هذا ما أعتقده بالضـــبط · والا ، فكيف له أن يتســـلق الشجر بهذه المهارة ؟ انه يستطيع أن يتسلق أى شىء بدون سلم · حتى ساكو وهو متسلق محترف ، يعترف بأنه لايضاهى يوشيتارو ·

جيسوكى (بضحكة مريرة) : لا تهزل فى ذلك ! انها ليست مادة لضحكك أن يكون لدى ابن يتسلق دائما فوق السطح · (ينادى مرة أخرى) يوشيتارو ، انزل ! يوشيتارو ! ··· عندما يكون فوق السطح ، لايسمعنى على الاطلاق ·· انه فى غاية الاستغراق · لقد اقتلعت جميع الأشجار المحيطة بالمنزل حتى لا يتسلقها ، ولكن ليس هناك ما أستطيع أن أفعله ازاء السطح ·

كيتشيجى : عنـدما كنت صبيا ، أذكر أن شـجرة الجنكة (٤) كانت أمام البوابة ·

جيسوكى : أجـــل ، انها كانت من أكبر الأشـــجار فى الجزيرة · لقد تسلقها يوشيتارو فى أحد الأيام حتى قارب أعلاها · وجلس على فرع منها يرتفع عن الأرض بما لايقل عن تسعين قدما ، وأخذ يحلم كالمعتاد · ولم نتوقع أنا ولا زوجتى أن ينزل حيـا ، ولكنه بعد برهة ، تزحلق ونزل · لقـد عقدت الدهشـــة ألسنتنـا فعجزنا عن الكلام ·

كيتشيجى : انها كانت معجزة بالتأكيد ·

جيسوكى : لهذا السبب أقول أن روح قرد تتقمصـــه ·· (ينادى مرة أخرى) يوشى ! ·· انزل ! ·· (يخفض من صوته) كيتشيجى ، يستحسن أن تصعد الى فوق وتحضره ·

كيتشيجى : ولكنه يغضب عندما يصعد أى شخص الى هناك ·

جيسوكى : لا تعبأ بغضبه · اسحبه وانزله ·

كيتشيجى : حاضر ياسيدى ·

(كيتشيجى يأتى بالسلم الخشبى ، ويدخل توساكو الجار)

توساكو : يوم طيب ياسيدى ·

جيسوكى : يوم طيب ، والطقس جميل · هل حصلت على شىء بالشـــباك التى فردتها بالأمس ؟

---

(٤) نوع من الأشجار المنتشرة فى الصين واليابان مروحية الورق صفراء الثمار ·

توساكو : كلا ، ليس بالكثير · الموسم انتهى ·

جيسوكي : ربما الوقت متأخر الآن ·

توساكو (ناظرا الى أعلى نحو يوشيتارو) : ابنك فوق السطح مرة أخرى·

جيسوكي : أجل ، كالمعتاد · اننى لا أحب ذلك ، ولكن عندما أحبسه فى غرفة يبدو كالسـمكة خارج الماء · عندئذ تأخذنى به الشـفقة فاسمح له بالخروج فيعود مرة أخرى ويصعد الى السطح ·

توساكو : ولكنه على كل حال ، لا يضايق أحدا ·

جيسوكي : انه يضايقنا نحن ·· اننا نشعر بالخجل عندما يتسلق الى هناك ويصيح ·

توساكو : ولكن ابنك الأصغر ، سويجيرو له سجل رائع بالمدرسة ، لابد أن فى ذلك بعض العزاء لك ·

جيسوكي : أجل ، انه طالب ممتاز ، وهذا عزاء لى · فاذا كان الاثنـان أبلهين ، فلا أدرى كيف كنت أستمر فى الحياة ·

توساكو : على فكرة جاءت كاهنة لتوها الى الجزيرة · ما رأيك فى أن تجعلها تصلى لابنك ؟ هذا فى الحقيقة ما جئتك لأراك من أجله ·

جيسوكي : لقد حاولنا الصلاة من قبل ، لكنها لم تأت بأية فائدة ·

توساكو : ان هذه الكاهنة تؤمن بالاله كومبيرا · انها تقوم بشتى أنواع المعجزات · والناس يقولون بأن الاله يوحى لها ، ولذلك فصلواتها لها تأثير أقوى من تأثير الكهان العاديين · لماذا لا تحاول أن تجربها مرة ؟ ·

جيسوكي : حسنا · فلنجربها · كم تتقاضى ؟

توساكو : انها لن تأخذ أية نقود الا اذا شفى المريض · فاذا شفى ، تدفع لها ما تجود به ·

جيسوكي : سويجيرو يقول بأنه لايؤمن بالصلاة ·· ولكن ليس هناك ضرر فى أن تدعها تجرب ·

(يدخل كيتشيجى حاملا السلم الخشبى ويختفى خلف السور)

توساكو : سأذهب وأحضرها هنـا · وفى هذه الأثناء تنزل ابنك من السطح ·

جيسوكى : شكرا على اهتمامك . (بعد أن يرى أن توساكو قد ذهب ، ينادى مرة أخرى) . يوشى ! كن ولدا طيبا وانزل .

كيتشيجى : (الذى وصل الى السطح الآن) : والآن ياسـيدى انزل معى . اذا بقيت هنا أكثر من ذلك ستصاب بالحمى بالليل .

يوشيتارو : (مبتعدا عن كيتشيجى كما يبتعد البوذى من شخص كافر) : لا تلمسنى ! .. الملائكة أشاروا لى بالمجىء . لم يكن من المفروض أن تأتى الى هنا . ماذا تريد ؟

كيتشيجى : لاتتكلم بهذا الهراء ! انزل من فضلك .

يوشيتارو : اذا لمستنى فستمزقك العفاريت اربا .

(يمسك كيتشيجى يوشيتارو بسرعة من كتفه ويسحبه الى السلم الخشبى . وفجأة يرضخ يوشيتارو) .

كيتشيجى : لاتثير أية متاعب الآن ، والا ستقع وتؤذى نفسك .

جيسوكى : انتبه ، على مهلك !

(ينزل يوشيتارو الى منتصف المسرح ، يتبعه كيتشيجى . يوشيتارو يعرج بساقه اليمنى) .

جيسوكى : أو يوشى ! تعال دقيقة واحدة .

اويوشى (من الداخل) : ما الأمر ؟

جيسوكى : لقد بعثت وراء كاهنة .

أويوشى : علها تفيد . من يدرى ؟

جيسوكى : يوشيتارو يقول انه تكلم مع الاله كومبيرا . حسنا ، ان هذه الكاهنة من أتباع كومبيرا ، لذا فلابد أنها تستطيع أن تساعده .

يوشيتارو : (ينظر بقلق) أبى ! لماذا أنزلتمونى ؟ كانت هناك سحابة ذات خمسة ألوان تندفع نازلة لتأخذنى .

جيسوكى : يا أبله ! لقد قلت ذات مرة بأن هناك سحابة ذات خمسة ألوان وقفزت من السطح . وهكذا أصبحت كسيحا . سوف تحضر كاهنة الاله كومبيرا الى هنا اليوم لتطرد روح الشر منك ، انتظرها ولا تصعد الى السطح ثانية .

(يدخل توساكو موجها الكاهنة للطريق ، لها وجه خادع) .

توساكو : هذه هي الكاهنة التي حدثتك عنها ٠

جيسوكي : آه ، عمت مساء ٠ انني سعيد لقدومك ٠ هذا الولد عار حقا على كل العائلة ٠

الكاهنة (من غير قصد) : لاتشغل بالك به بعد ذلك ٠ سوف أشفيه في الحال بمساعدة الاله ٠٠ (تنظر الى يوشيتارو) هل هذا هو الابن الذي تعنيه ٠٠ ؟

جيسوكي : أجل ٠ انه في الرابعة والعشرين من عمره ، والشيء الوحيد الذي يتقنه هو تسلق الأماكن العالية ٠

الكاهنة : وكم مضى عليه وهو بهذه الحالة ؟

جيسوكي : منذ ولادته ٠ حتى عندما كان طفلا رضيعا كان يريد أن يتسلق ٠ وعندما أصبح عمره أربع أو خمس سنوات تسلق ضريح المزار المنخفض ، ثم ضريح مزار بوذا العالي ، وأخيرا تسلق الى رف عال ٠ وعندما أصبح في السابعة بدأ يتسلق الأشجار ٠ وفي الخامسة عشرة تسلق قمم الجبال ومكث هناك طوال اليوم ، يقول انه يتكلم مع العفاريت والآلهة ٠ ماذا تعتقدين في هذه المشكلة ؟

الكاهنة : لا أشك أنها روح ثعلب ٠ سأصلي من أجله ٠ (تنظر الى يوشيتارو) أنصت وانتبه الآن ! انني رسولة الاله كومبيرا ٠ كل ما أقوله يأتي من الاله ٠٠

يوشيتارو (بقلق) : تقولين الاله كومبيرا ؟ هل رأيته ؟

الكاهنة (تحملق فيه) : لا تقل مثل هذه الأشياء الخرقاء ! الاله لايمكن أن يرى ٠

يوشيتارو (متهللا) : لقد رأيته عدة مرات ! انه رجل عجوز في ثياب بيضاء وتاج ذهبي ٠ انه أعز أصدقائي ٠

الكاهنة : (تؤخذ على غرة بهذا الزعم ، فتتحدث لجيسوكي) : انها روح ثعلب ، لا بأس ، وهي حالة متطرفة جدا ٠ سوف أخاطب الاله ٠٠ (تنشد صلاة بطريقة غريبة ٠ يوشيتارو الذي يمسك به كيتشيجي ، يراقب الكاهنة بدون تعبير ٠ تندمج الكاهنة في انشادها الى أن تصل الى حالة هياج شديد ، وتسقط على الأرض

فى اغماءة · وتنهض واقفة على قدميها وتنظر حولها بطريقة غريبة) ·

الكاهنة : (فى صوت متغير) · أنا الاله كومبيرا !

(سقط الجميع راكعين معبرين عن تبجيلهم ماعدا يوشيتارو) ·

الكاهنة (بوقار متكلف) : ان الابن الأكبر لهذه الأسرة تحت سيطرة روح ثعلب · علقوه فوق فرع شجرة وطهروه بدخان أبر الصنوبر الخضراء · واذا لم تفعلوا ذلك ستعاقبون جميعا !

(يغمى عليها مرة أخرى · يظهر مزيد من علامات الاستعجاب) ·

الكاهنة (تنهض وتتطلع حولها وكأنها لاتعى ما قد حدث) : ماذا حدث ؟ هل تكلم الاله ؟

جيسوكى : لقد كانت معجزة !

الكاهنة : يجب أن تمتثلوا فى الحال لما قاله الاله ·· والا ستعاقبون · أحذركم من أجل سلامتكم ·

جيسوكى (مترددا بعض الشىء) : كيتشيجى ، اذهب واحضر بعض ابر الصنوبر الخضراء !

أويوشى : كلا ! انه لشىء قاس ، حتى ولو كان أمر الاله ··

الكاهنة : انه لن يتألم ، روح الثعلب التى فى داخله فقط هى التى ستتألم ·· الولد نفسه لن يعانى أى ألم على الاطلاق · هيا اسرعوا ! (ناظرة فى ثبات الى يوشيتارو) هل سمعت أمر الاله ؟ ·· لقد أخبر الروح أن تترك جسدك قبل أن تؤذيك ·

يوشيتارو : انه لم يكن صوت كومبيرا · انه لن يتكلم مع كاهنة مثلك ·

الكاهنة (مهانة) : سوف أتساهل معك · لكن انتظر ! أيها الثعلب البغيض ، ولا توجه حديثك الى الاله بهذا الشكل ·

(يدخل كيتشيجى محتضنا كمية كبيرة من أغصان الصنوبر الخضراء · أويوشى خائفة) ·

الكاهنة : احترمى الاله والا ستعاقبين !

(يقوم جيسوكى وكيتشيجى باشعال النار فى ابر الصنوبر على مضض ، ثم يحضرا يوشيتارو الى النار · يقاومهم عند اقترابه من الدخان) ·

يوشيتارو : أبى ! ماذا تفعل بى ؟ أنا لا أحب ذلك ! أنا لا أحب دلك !

الكاهنة : انه ليس صوته الذى يتكلم · انه الثعلب الذى فى داخله · الثعلب فقط هو الذى سيتألم ·

أويوشى : ولكن هذه قسوة !

(جيسوكى وكيتشيجى يحاولان ضغط وجه يوشيتارو فى الدخان· وفجأة يصل صوت سويجيرو مناديا داخل المنزل ، ويظهر حاليا · ويقف مندهشا للمنظر الذى أمامه) ·

سويجيرو : ماذا سيحدث هنا ؟ لماذا هذا الدخان ؟

يوشيتارو : **(يسعل من الدخان ، وينظر الى أخيه كما ينظر الى منقذ)** أبى وكيتشيجى يضعانى فى الدخان ·

سويجيرو (بغضب) : أبى ! ما هذه الحماقة التى تقوم بها الآن ؟ ألم أقل لك مرات ومرات رأيى فى مثل هذه الأعمال ؟

جيسوكى : لكن الاله ألهم الكاهنة المعجزة ··

سويجيرو : (مقاطعا) ما هذا الكلام الفارغ ؟ أتقومون بهذه الأعمال الجنونية لمجرد أنه عاجز ·

(بنظرة احتقار للكاهنة ويسحق النار ويخمدها)

الكاهنة : انتظر ! لقد أشعلت النار بأمر الاله !

(سويجيرو يخمد آخر شرارة من النار ساخرا متهكما) ··

جيسوكى : (بشجاعة أكثر) سويجيرو ، انك متعلم ، بينما أنا لست متعلما ، لذلك استمعت لك دائما · ولكن هذه النار قد أشعلت بأمر الاله ولا يجب أن تخمدها !

سويجيرو : الدخان لن يشفيه · والناس سيضحكون عليك اذا سمعوا بأنك تحاول أن تطرد ثعلبا · كل آلهة البلد مجتمعين لن يستطيعوا شفاء مجرد زكام · وهذه الكاهنة محتالة · كل ما تريده هو النقود !

جيسوكى : ولكن الأطباء لا يستطيعون شفاءه ·

سويجيرو : اذا لم يستطع الأطباء ، فلن يستطيع أحد · لقد قلت لك من قبل بأنه لا يقاسى · واذا كان لوجب علينا أن نفعل شيئا نحوه ·

ولكن طالما يستطيع أن يتسلق الى السطح ، فهو سعيد • ولا أحد في البلاد كلها في مثل سعادته •• وربما في العالم بأسره • علاوة على أنك لو شفيته الآن ، ماذا يستطيع أن يفعل ؟ انه في الرابعة والعشرين من عمره ولا يعرف شيئا ، حتى ولا الألف باء • وليس لديه خبرة عملية • اذا شفى ، سوف يعى بأنه كسيح ، وسيصبح أبأس رجل في الحياة • هل هذا ما تريد أن تراه ؟ •• كل ذلك لأنك تريد أن تجعل منه انسانا عاديا • ولكن أليس من الحماقة أن تصبح انسانا عاديا فقط لتعاني وتتألم ؟ (ناظرا نحو الكاهنة) توساكو ، اذا كنت قد أحضرتها الى هنا ، فمن الأفضل أن تأخذها حالا •

الكاهنة (غاضبة مهانة) : ألا تؤمن بوحي الاله •• ســـوف تعاقب ! (تبدأ انشادها كما كانت تفعل من قبل • يغمى عليها وتنهض وتتكلم بصوت متغير) • أنا الاله كومبيرا العظيم ! ان ما يقوله أخ المريض ينبعث من أنانيته وحبه لنفسه • انه يعلم اذا شفى أخوه •• فسيرث ممتلكات الأسرة • لاتشكوا في هذا الوحي !

سويجيرو : (متهيجا يلقى بالكاهنة أرضا) • انهـا كاذبة بغيضـة • أيتها الحمقاء العجوز • (يرفسها) •

الكاهنة : (تنهض على قدميها مستأنفة صوتها العادى) • لقد آذيتني ! أيها المتوحش !

سويجيرو : أيتها الدجالة ! أيتها المخادعة !

توساكو : (يحول بينهما) • انتظر أيها الفتى ! لا داعى لهذا الهياج •

سويجيرو : (مازال ثائرا) • أيتهـا الكاذبة ! ان امرأة مثلك لاتفهم الحب الأخوى !

توساكو : سننصرف الآن • انها غلطتى فأنا من أحضرتها •

جيسوكى : (معطيا لتوســـاكو بعض النقود) • أرجو أن تعذره • انه صغير وعصبى •

الكاهنة : لقد ركلتني عندما كان الاله يوحى الى • ســتكون محظوظا لوعشت حتى المساء •

سويجيرو : كاذبة !

أويوشي : (مهدئة سويجيرو) : كن عاقلا وأهدأ الآن • (للكاهنة) أنا آسفة لما حدث •

الكاهنة (راحلة مع توساكو) : ان القدم التى ركلتنى بها ستتعفن ٠

(تخرج الكاهنة مع توساكو) ٠

جيسوكى (لسويجيرو) : ألا تخاف من أن تعاقب على ما فعلت ؟

سويجيرو : ان الاله لايمكن أن يوحى الى مثـل هذه المحتالة العجوز ٠ انها تكذب فى كل شىء ٠

أويوشى : لقد ارتبت فيها من أول وهلة ٠ لو كانت ملهمة من اله حقيقى لما فعلت مثل هذه الأشياء القاسية ٠

جيسوكى (بدون أى اصرار) : ربما هو كذلك ٠ ولكن ، ياسويجيرو ، سيكون أخوك عبأ عليك طوال حياتك ٠

سويجيرو : انه ليس عبأ على الاطلاق ، عندما أصبح ناجحا ، سـوف أبنى له برجا فوق قمة الجبل ٠

جيسوكى (فجأة) : لكن أين ذهب يوشيتارو ؟

كيتشيجى (مشيرا للسطح) : انه فوق هناك ٠

جيسوكى (مبتسما) : كالمعتاد ٠

(أثناء الهياج السابق ، تسلل يوشيتارو منسحبا وتسلق مرة أخرى فوق السطح ، ينظر الأشخاص الأربعة الموجودون تحت الى بعضهم البعض ويبتسمون) ٠

سويجيرو : لو كان شخصا عاديا لأصبح غاضبا منك لوضعه فى الدخان، ولكنه كما ترى ٠٠ لقد نسى كل شىء ٠ (ينادى) يوشيتارو !

يوشيتارو (مع كل جنونه الا أنه يكن حبا لأخيه) : سويجيرو ! لقد سألت كومبيرا فقال أنه لا يعرفها !

سويجيرو (مبتسما) : انك على صـواب ٠ ان الاله سيلهمك أنت ، لا كاهنة مثلها ٠

(من خـلال فتحة فى السحب ، يسطع على السطح نور ذهبى لغروب الشمس) ٠

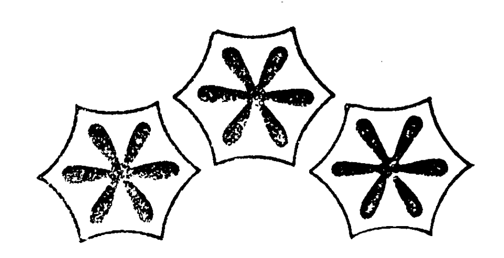
سويجيرو (متعجبا) : ياله من غروب جميل !

يوشيتارو : (وجهه مضىء بانعكاس الشمس) سويجيرو ، انظـر ! **ألا تستطيع أن** ترى القصر الذهبى فى تلك **السحابة هناك ؟** هناك ! ألا تستطيع أن ترى ؟ انظر ! ياله من جمال !

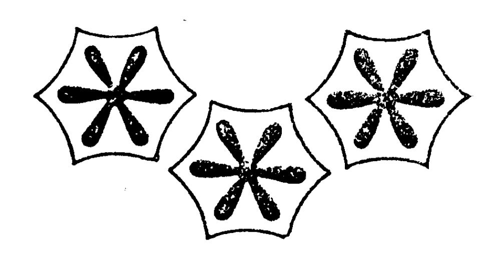
سويجيرو (وكأنه يشعر بالأسف لسلامة العقل) : أجل ، أرى ، اننى أراه ، أيضا . مدهش .

يوشيتارو : (مفعما بالفرح) هناك ! أسمع موسيقى قادمة من القصر . موسيقى المزامير التى أحبها .. أليست جميلة ؟

(يدخل الأبوان الى المنزل ، والأخ المجنون يظل فوق السطح ، ويبقى الأخ العاقل على الأرض متطلعا الى الغروب الذهبى) ..



الحكاية



قاطع الخيزران وطفلة القمر (1)

لكاتب مجهول

(فى القرن التاسع)

فى سالف الزمان ، ذهب فى أحد الايام قاطع الخيزران الفقير المدعو تاكيتورى الى غابات الجبل · وأثناء دخوله أجمة من الخيزران ، أدهشته أشعة من نور باهر تنبعث من شجرة فى وسط خميلة · فقطع الشجرة واذهله رؤية مخلوقة جميلة ، لا يزيد طولها على ثلاث بوصات تخرج من خيزرانة مضيئة ·

قال العجوز :

ـ لو لم أقطع عود الخيزران لما كنت خرجت أبدا ، لذلك فأنت أصبحت من حقى !

وهكذا وضع المخلوقة الصغيرة فى كف يده وحملها الى زوجته . فوضعت العجوز الطفلة فى صندوق صغير لحمايتها من أى مكروه · وأخذت فى الأيام التالية ، تطعمها وترعاها بدون مشقة أو ارهاق ·

ولم تكن الطفلة الجنية هى البركة الوحيدة التى جاءت لقاطع الخيزران العجوز وزوجته · اذ لم تمض الا أيام قليلة ، وقطع تاكيتورى شجرة خيزران ثانية ، اكتشف داخلها ذهبا وجميع أنواع الأحجار الكريمة · وفجأة وجد قاطع الخيزران الفقير نفسه غنيا جدا ، وامتلأت حياته فى الحال بكل وسائل الترف والراحة ·

وكبرت الطفلة الجنية بسرعة . وضاق عليها الصندوق الذى استخدمته كمهد لها · وأطلقها الرجل العجوز وزوجته فى قصرهم المنيف المبنى حديثا ، مع حرصهما الشديد على حفظها آمنة داخل أبواب القصر ·

(1) عن الترجمة الانجليزية ل : ف· ب· هاريس ·

واستمرت الجنية الجميلة تكبر حتى أصبحت لا تضاهى فى العالم كله . وملأ القصر بهاؤها المشع ، وأضاء المكان كله حتى فى ظلمة الليل ، ولذلك اذا تصادف وأصاب العجوزين أى مرض نسيا فى الحال آلامهما وأوجاعهما بسبب أشعتها المبهجة ، وعندما يحدقان فى الطفلة الجنية يزول أثر أى غضب ولا تعذبهما أية أفكار شريرة ٠

وأثناء ذلك أعطى العجوز وزوجته الطفلة اسما يناسبها ، فسموها : كاكويا هيمى ، أو الخيزرانة حلوة الشمائل ، أو الاميرة منيرة الظلام ٠

وعندما كبرت كاكويا هيمى ودخلت فى دور الأنوثة ، ازدهـــر جمالها حتى ذاع صيتها فى طول البلاد وعرضها ، وتلهف جميع الشبان الذين وقعت عليها أبصارهم ، على أن يفوزوا بها كعروس، وكان من الصعب حتى الفوز بنظرة واحدة ، وحلوة الشمائل فى حماية شديدة بالأجنحة الداخلية للقصر ٠ ولذلك كان طالبو يدها فى حالـة جـــديرة بالرثاء ، ولا ينامون من الامعان فى التفكير فى السحر والجمال غير المسموح لهم برؤيته ٠ ومع الوقت انهارت آمال شبان الاقليم وأصبحـوا لا يعبأون بواجباتهم وينفقون أوقاتهم بحماقة ٠٠ كل ذلك من أجل حبهم لكاكويا هيمى ٠

وأخيرا ، تعب معظم الشبان من الملاحقة التى لا طـــائل وراءها ، حتى بقى خمسة نبلاء فقط من طالبى يدها ، هائمين حول القصر ، آملين أن يجدوا فرصة لاظهار حبهم ٠ وكان هؤلاء الخطاب اللوردات اقطاعيين (دايميو) وهم : اشيدزو كورى ، وكوراموتشى ، وابى نوميموراجى ، فى المرتبة الثانية فقط بعد الامبراطور نفسه ، وأوتسو نوميوكى ، واللورد موروتاكا لمقاطعة ايسو ٠

وفى النهاية نجح واحد منهم فى لفت انتباه تاكيتورى ، ملقيا نفسه عند أقدام العجوز باحترام شديد ، **وصرخ متوسلا :**

ـ أناشدك أن تسمع التماسى وتزوجنى ابنتك الجميلة ٠

فأجاب تاكيتورى :

ـ الفتاة ليست ابنتى ، وليس لى أى حق فى فرض طاعتها لى ٠

وتركه ومضى ٠

ورغم مرور شهر وراء شهر ، فلا زال الخطاب الخمسة ينتظرون خارج القصر ، متوسلين ، كلما سنحت لهم الفرصـــة ، لكى يستمـع تاكيتورى لمطالبهم ٠



فتاة الخيزران

وكان العجوز دائما يرفضهم ، بينما الفتاة الجنية لم تقرر من هو أكثرهم نبلا ، لذلك فلن تتخذ أحدا منهم زوجا لها ٠

ولما رأى تاكيتورى أنه لا يستطيع منع قدومهم الدائب للقصر ، **قال أخيرا ناصحا كاكويا هيمى :**

ـ رغم أنك خالدة لا تموتين ، فلقد اتخذت شكل أنثى ٠ وبينما لا يوجد ضرر فى بقائك عذراء أثناء فترة حياتى ، فماذا سيكون أمرك عندما أموت ؟ ٠٠ ويوميا يحضر هؤلاء الشبان الخمسة طالبين يدك ٠٠ أرجوك أن تثبتى قلبك على واحد منهم !

فأجابت كاكويا هيمى بتواضع :

ـ اننى لست بهذا الجمال حتى يتنافس خمسة خطاب فى خطب ودى ٠ واذا أصبحت عروسا لأحدهم قبل التأكد من قلبه ، فقد أندم على اختيارى ٠ لا أستطيع أن أتزوج بدون اختبار زوج المستقبل أولا ٠

ـ لكن كلهم رجال ذوو مناصب وانجازات ٠ ويمكنك بسهولة الاختيار من بينهم الآن ٠

ـ ليس كافيا أن يحضروا الى هنا يوما وراء يوم ٠ لا بد أن يظهر لى كل واحد منهم عملا نبيلا ، أو انجازا ذكيا حتى أستطيع أن أختار من بينهم زوجا لى ٠٠ أرجوك أن تبلغهم بهذه الرسالة ٠

وعند غروب الشمس فى ذلك اليوم اجتمع المحبون الخمسة أمام القصر مستعدين لاستعراض واثبات مواهبهم ٠ واحد عزف الفلوت والثانى رقص ، والثالث كان مغنيا موهوبا ، بينما الرابع كان ماهرا فى فن التصفير ، أما الخامس والأخير فاستطاع استخدام المروحة فى حركات هارمونية متناسقة تماما مع الموسيقى ٠

وعندما انتهى الجميع ، جاء تاكيتورى الى البوابة وحياهم **وقال :**

ـ مرحبا بكم فى سكنى المتواضع ٠ اننى أشكركم بحرارة لسمركم الجميل ٠ وحيث أننى فوق السبعين من عمرى ، فقد أموت فى أى وقت ٠٠ ربما اليوم ، أو غدا ٠٠ لذلك رجوت ابنتى أن تختار زوجا من بين هذه الزمرة الذكية من الشبان ٠ ولكن حيث أنكم جميعكم متساوون ، تحس ابنتى أن أى اختيار بينكم شبه مستحيل ٠ وأطلب منكم أن تلبوا لها طلبا آخر ٠ وكلماتها هى كالآتى : « من ينفذ مطلبى سوف يستحقنى عروسا له » ٠

فصرخ جميعهم بشغف وكأنهم صوت واحد :

ـ كلمات العذراء معقولة ، طالما لا تستطيع الاختيـــار من بيننا · وسننفذ مطلبها ·

وأعلن العجوز اختيار كاكويا هيمى :

ـ على الأمير اشيدزوكورى أن يجد الجرة الحجـــرية المشهـــورة المحتجزة فى أيدى الآلهة · وعلى الأمير كوراموتشى أن يسافر للبحـــار الشرقية بحثا عن جبل هوراى حيث تنمو تلك الشجرة التى لا ثمن لها ذات الجذور الفضية . والساق الذهبى ، والفروع المحملة بجواهر بيضاء لامعة . وعليه أن يحضر لى أحد فروعها · وعلى أبى نوميموراجى العثور على فأر النار الأحمر من الصين . جالبا معه فراءه المتلألىء · وعلى أوتسو نوميوكى البحث عن الجوهرة ذات الألوان الخمسة المتألقة فى رأس التنين· أما بالنسبة لموروتاكا لورد ايسو فأطلب منه أن يعود بالقوقعة التى يقال أن طائر السنونو أو الخطاف (٢) يمتلكها ·

عندما سمع العجوز هذه المطالب لأول مرة كان مكروبا جدا ، ولذلك أعلنها ، على مضض ، أمام الشبان · ومع ذلك لم يظهر اللوردات النبلاء أية علامة قلق من المهمات الملقاة عليهم · ولكن كان فى قلوبهم اثارة عارمة وعاد جميعهم الى بيوتهم مملوئين بالغيظ ، وأدرك جميعهم بأنهم سيموتون بكل تأكيد من مجرد اليأس من عدم السماح لهم بالنظر الى كاكويا هيمى الرائعة ، فعقد كل واحد منهم العزم حتى لو اضطر للسفر الى الهنـــد البعيدة لتحقيق رغباتها فسيجازف بالمحاولة ·

كان الأمير اشيدزو كورى رجلا واسع الحيلة · ولكنه كلمـا تدبـر الأمر ، كلما رأى بوضوح بأنه قد يسافر ملايين الأميال ولا يعثر على الجرة الحجرية المحجوزة من قبل الآلهة · وربما توجد جرة حجرية واحدة فقط فى العالم كله · لذلك أرسل رسولا الى قصر الفتاة معلنا كذبا بأنه سيتوجه الى الهند فى اليوم نفسه فى بحث عن الجرة · وبدلا من ذلك سافر الأمير اسيدزوكورى الى اقليم ياماتو وبقى هناك ثلاث سنوات · وفى معبد مقام على أحد الجبال وجد جرة سوداء تناسب هدفه · فوضع الجرة فى حقيبة من القماش المطرز بالقصب مع غصن موشى بأزهـــار صناعية وعاد بهداياه الى قصر كاكويا هيمى · واندهشت العذراء تماما لأنها

---

(٢) السنونو أو الخطاف طائر طويل الجناحين مشقوق الذيل · ويطلق عليه أحيانا اسم « عصفور الجنة » ·

لا تؤمن بوجود مثل هذه الجرة ٠ ومع فحص دقيق للجرة ظهرت قصيدة شعرية لها وزن ظريف تبين من أين جاءت الجرة ، انها من معبد غابة جبل أوجورا فى اقليم يوماتو وبعد أن تأكدت الأميرة من الخدعة ، كتبت قصيدة ثانية ووضعتها فى الجرة ، وأمرت باعادتها الى الأمير ٠ وعندما عاد الامير الى قصره وقرأ قصيدة كاكويا هيمى ، عرف بأن خدعته قد كشفت فألقى بالجرة خارج بوابة قصره ، وأقسم بالأيمان المقدسة أن يبقى فى عزلة حتى يستطيع نسيان عذراء أحلامه ٠

أما الخاطب الثانى الأمير كوراموتشى فكان رجلا عنيفا ، عرف الجميع بأنه ذاهب للبحث عن جبل هوراى ، وبعد أن خدع الجميع باخفاء نواياه الحقيقية عاد الى بيته سرا ٠ وأحضر ستة نجارين مهرة وأمرهم ببناء منزل فى منطقة منعزلة مع فرن مخفى تحت ثلاث قناطر من الطين حتى لا يرى أحد الدخان ٠ وعندما انتهى المنزل انتقل اليه الأمير وأرسل فى طلب الحرفيين المهرة فى الأعمال الدقيقة وأمرهم بتصميم جواهر زائفة ذات لون أبيض رائق لتثبت على فرع الشجرة ٠ وكذلك تم تنفيذ أوامره بدقة متناهية حتى أن الفرع ذا الجواهر أصبح بعد الانتهاء من صنعه صورة مطابقة للذى وصفته كاكويا هيمى ٠

وعندما أصبح الفرع جاهزا ، أخذ الأمير سفينة من أوساكا ــ حتى يخدع الفتاة بأنه عائد عن طريق البحر ــ ونزل منها ٠ وتجمع أتباع الأمير فى أوساكا للترحيب به ٠ وقاموا بحراسة الأمير ومرافقته مع صندوق مغطى بالجوخ الجميل والفرع المقصود حتى مقر اقامته ٠ وانتشرت الأخبار فى الحال عبر البلاد عن كنز الأمير كوراموتشى ، فتسببت فى حديث الناس فى كل مكان عن فرع الجواهر النادرة مثل أودونجى الزهرة الأسطورية التى قيل أنها تزدهر مرة واحدة كل ألف سنة ٠

وعندما علمت كاكويا هيمى بعودة الأمير كوراموتشى اضطربت قائلة لنفسها فى أسى :

ــ سيكون على أن استسلم لهذا الأمير !

وبينما كانت هذه الكلمات على شفتيها جاء خادم الى بوابة القصر ليعلن وصول الأمير ٠

وقال الأمير وهو يحيى العجوز :

ــ لم أدخر حتى حياتى نفسها فى بحثى عن الفرع ذى الجواهر ٠٠ وهاندا أعطيك هذا الكنز طالبا منك فقط أن تريه لابنتك ٠

حمل تاكيتورى الفرع المزدهر بالجواهر فى الحال مع قصيدة من الأمير للعذراء ، **وقال :**

ــ بدون شك ، لقد أحضر الأمير النبيل هذا الفرع من جبل هوراى بعد سفر طويل ٠

وعندما أظهرت ممانعة فى قبول العرض ، **سألها العجوز :**

ــ ماذا تريدين أكثر من ذلك ؟ لقد اندفع الى بيتنا بملابس السفر ، أرجوك ، اقبلى الزواج من الأمير كوراموتشى ٠

ولما لم تجب العذراء لتكدرها وحزنها ، ظن العجوز أن السكوت علامة الرضا ، فأسرع لاخبار المحب المنتظر بالأخبار السارة ٠ وبينما كان الخدم يعدون لحفلة الزواج ، عن للعجوز أن يسأل الأمير أين عثر على الشجرة ذات الجواهر ٠

فأجاب الأمير كوراموتشى :

ــ فى السنة قبل الماضية وفى اليوم العاشر من الشهر الثانى ، أبحرت فى الأعماق البعيدة ، وأنا لا أعرف وجهتى ٠ وعصفت بنا الريح فسرنا على ارادتها وظننت أنى لن أعيش لأعود ، ولكن امتدت بى الحياة فعبرت البحار بحثا عن جبل هوراى ٠ وبعد أن غادرنا بحر اليابان ، تلاطمت الأمواج عاليا بطريقة تكفى لابتلاع سفينتنا ، بينما كانت الرياح المتوحشة تسوقنا غالبا الى سواحل غير معروفة تسكنها الشياطين المنتظرة لتحطيمنا ٠ وهمنا أحيانا أخرى فى البحار لا ندرى فى أى اتجاه نسير ، ثم فقدنا كل شىء مرة أخرى ٠ وكان علينا أن نعيش على الجذور وأعشاب البحر أو القواقع ٠ انى أجد استحالة فى وصف الغيلان المخيفة التى طلعت علينا ٠ وكانت هناك أوقات كنا فيها تحت سماوات ترحالنا ٠٠ نسقط مرضى ونعانى أشد الآلام دون مساعدة من أحد ٠

وبعد أن همنا فى البحار مدة خمسمائة يوم رأيت فى أحد الأيام ، ساعة اقتراب الفجر ، ما يشبه جبلا صغيرا يبرز من المياه ، فأيقظت بسرعة رفاق السفينة ٠ وعندما اقتربنا بدت الجزيرة تزداد اتساعا وارتفاعا ومن حدودها الجميلة عرفت أنها لا بد وأن تكون مرادى ومبتغاى ٠ كانت تشبه المعجزة ٠

وأخذنا نبحر حول ساحلها مدة ثلاثة أيام الى أن رأينا امرأة تشبه الآلهة تسحب الماء بكأس من الفضة ٠ وقبل أن تنهى عملها ، نزلنا واتجهنا

اليها · فسألتها عن اسم الجبل المرتفع أمامنا ، فأجابت بأنه يسمى جبل هوراى ·

ابتهجنا ·· ولكنى عندما سألت هذه المخلوقة الجميلة فلم تفصح عن شيء آخر سوى اسمها وقالت :

ـ انى أدعى هاكارورو ·

وفجـــأة اختفت فى تجاويف الجبل · ولما كان يبدو مستحيلا أن نستطيع تسلق ارتفاعات الجبل ، فأقنعت نفسى بالسير حول قاعدته · فرأيت أزهارا ليس لها مثيل فى أى مكان آخر على الأرض ، وجداول تفيض من قمة الجبل ، وتجرى بالذهب والفضة ، ولها لون مثل لون الزمرد وتصل بين شطآنها جسور محلاة بالمجوهرات ·· وأخذت أعبر صفا وراء صف من أشجار تتلألأ بأحجار كريمة ، ولكن فرع الشجرة الذى أحضرته معى كان أفقر الفروع جميعا ·· ولكن لأن العذراء قد أمـــرت باحضار مثله فقد أذعنت لأمرها وامتثلت · ورغم أن مناظر هذا الجبـــل الساحرة كانت تفوق الوصف ازداد قلقى وأسرعت عائدا الى سفينتى · وبعد رحلة أربعمائة يوم أو يزيد عدنا أخيرا الى اليابان · وبعد نزولنا فى أوساكا ، سافرت بكل سرعة الى العاصمة ، لدرجة انى حضرت الى هنا بملابس السفر المشبعة برذاذ البحر المالح ·

استمع العجوز للحكاية العجيبة بانفعال واعجاب · ومع ذلك · دخل فى هذه اللحظة عديد من الحرفيين الى ساحة القصر فى انحناءة تواضـــع وتوسلوا أن يسمح لهم بعرض التماس يريدون تقديمه ، **وقال قائدهم :**

ـ لمدة تزيد عن الألف يوم لم ندخر قوتنا ولا مهارتنا فى تصميم الفرع المثمر بالجواهر ، والى الآن لم نقبض أجورنا عن هذا العمل · نتوسل اليك أن تعطينا أجورنا ، حتى نطعم عائلاتنا فى بيوتنا ·

وقدم الحرفيون وثيقة مكتوبة بشـــكواهم الى العذراء المصدومة ، كاكويا هيمى ، أما الأمير كوراموتشى فقد لطمته الفضيحة بعنف وفقـد عقله ·

ومن ناحية أخرى بدت الأميرة الجنية مسرورة · **ونادت على أبيها وقالت :**

ـ فى الحقيقة ظننت هذا الفرع جاء من جبل هوراى · ولكن حيث أننى قد خدعت بخدعة جوفاء كهذه ، لذلك أطلب منك أن تعيد الهدية فى الحال ·

كان الأمير فى هذا الوقت مغموما لدرجة أنه لم يستطع الوقوف ولا الجلوس ، ولكنه هام على وجهه حول الساحة حتى غربت الشمس ، ثم هرب تحت غطاء الظلام الى الليل ٠

وبقلب رحيم نادت كاكويا هيمى الحرفيين المشتكين وأعطت كلا منهم أكثر مما يريد جزاء عمله ، ولكن بينما كانوا فى طريقهم الى بيوتهم ، هجم عليهم أعوان الأمير كوراموتشى ٠ وسلبوا أموالهم وألقوا بهم شبه أدوات بجانب الطريق ٠

أما بالنسبة للأمير ٠٠ فقد قام فرسانه واتباعه بالبحث عنه فى الجبال لعدة أيام فلم يعثروا على أثر له فى البلاد كلها ٠

وكان الخاطب الثالث ، أبى بوميموراجى بمثابة رئيس وزراء الدولة٠ كان رجلا ذا ثروة ونفوذ ٠ ولانجاز مهمته أرسل ابى رسولا الى صديق فى الصين ومعه رسالة ومبلغ ضخم من المال ، وفوض صديقه فى الحصول على جلد فأر النار المشهور ٠ وفى تلك الأثناء جاءه رد من صديقه يعلنه فيه بأن هذا الجلد غير موجود فى الصين ٠ وكتب صديقه :

– ومع ذلك ، اذا تم العثور عليه فى أى بقعة فى العالم ؛ فسيحضره شخص ما بكل تأكيد الى الصين ٠

ولم يمض وقت طويل حتى وصل رسول من الصين ، ومعه ثوب مصنوع من الفراء المرغوب قيل قد تم شراؤه من الهند باعتباره كنزا يرجع الى الازمان القديمة وجىء به الى الصين ٠

وقدم الرسول الثوب لأبى قائلا له اذا لم يدفع الثمن فسيعاد الثوب مرة أخرى ٠ وأعطى ابى بكل سعادة المبلغ المطلوب للرسول وألقى بنفسه ساجدا اعترافا بالجميل نحو مملكة الصين ٠

كان الصندوق الذى يحتوى على الجلد فى لون الزمرد الجميل ، بينما كان الثوب نفسه أزرق غنيا وطرف كل شعرة من الفراء يضىء بطريقة رائعة ٠ انه كنز من جمال لا ينافس ٠ وبجانب ندرته ، فهو ثمين من أجل لونه فقط ٠

وصل الخاطب النبيل وهو يرتدى ثوبا أنيقا ومعه أعوانه الى قصر تاكيتورى حيث ظلوا منتظرين عند المدخل حتى جاء العجوز ليحييهم ويستلم الهدية ٠

وقالت كاكويا هيمى عندما رأت الهدية لأول مرة :

ــ حقا انه ثوب فراء جميل ، ولكن هل هو حقيقى أم زائف لست أدرى ؟ .. فلندع النار تختبره !

فأجاب أبوها :

ــ كلام جميل !

فأعترض ابى نوميموراجى قائلا :

ــ ان هذا الشك لا أساس له ، ولكن اختبروه ان كان ولا بد .

وهكذا ألقوا بالثوب فى النار حيث شبت فيه فى الحال وتلاشى . وعند منظر الثوب المحترق اتخذ وجه النبيل لون أوراق الأعشاب . وأعادت كاكويا هيمى المسرورة الصندوق ذا اللون الزمردى الى أبى نوميموراجى .

أما الخاطب الرابع ، أوتسونوميوكى ، فابتكر خطة مباشرة للفوز بالعذراء . اذ نادى جامعا محاربيه **وقال لهم :**

ــ توجد فى رأس التنين جوهرة تبرق بخمسة ألوان ، والشخص الذى سيحضر لى هذه الجوهرة سيحصل على أى شىء يتمناه قلبه .

ورغم أن المحاربين وافقوا بسرعة ، الا أن النبيل ضحك باحتقار ، **وقال موبخا :**

ــ طالما أنتم جزء من عشيرتى فليس لكم الاختيار بل الموافقة . والآن انطلقوا فى مهمتكم فى الحال !

وبعد أن زود محاربيه بتمويل ضخم من الحرير والقطن والطعام والنقود ، أمرهم اوتسو نوميوكى قبل أن يغادروا ميناء أوساكا ، **قائلا :**

ــ لا تدعوا أحدكم يعود قبل أن تعثروا على الجوهرة ذات الألوان الخمسة . وأقسم أنى سأصوم وأقدم القرابين للآلهة أثناء غيابكم .

وأثناء انتظارهم لسفنهم فى أوساكا ، تجمع المقاتلون لدراسة المغامرة . واعتبر الجميع اوتسو نوميوكى متعاليا وأنانيا ، وقرروا أن على سيدهم أن يقود البحث والتنقيب بنفسه . وأنهوا نقاشهم بتقسيم الامدادات والنقود بينهم وانطلقوا لحال سبيلهم .

وبدأ لورد اوتسو فى هذه الأثناء بناء قصر منيف للعروس التى ستصبح فى القريب من نصيبه . صمم القصر وطليت جدرانه بدهان

اللاكيه الذى يسطع بالألوان الحمراء والذهبية وألوان أخرى عديدة ، وكان سطحه معلقا من حبال مجدولة من خيوط حريرية مختلفة الالوان ، بينما تعلقت فى الأجنحة المتعددة رسوم رقيقة على قماش مطرز بالقصب ٠٠

وعندما اكتمل القصر ، أخذ لورد أوتسو يترقب كل يوم فى قلق عودة محاربيه ٠ ولكن عندما مرت سنة دون رجوعهم ، خرج باحثا عن رجاله ٠ وعندما وصل ميناء أوساكا وسأل عن اخبار البعثة ضحك البحارة الذين سألهم ساخرين ، **وقالوا :**

ـ ان هذا كلام حمقى ٠ لا يمكن لأحد أن يذهب فى مثل هذه المهمة ٠

وقال لورد اوتسو أخيرا فى يأس :

ـ لو كان التنين هنا لقتلته بقوة قوسى وأخذت رأسه ٠ كلا ، لن انتظر عودة هؤلاء الأوغاد ٠ سنأخذ ثلاثتنا سفينة ونقلع سويا ٠

وفى ذلك اليوم استأجر اوتسو سفينة وأبحر فى البحر ٠ وعندما اقتربت السفينة من اليابسة البعيدة عن شواطىء اليابان ، هبت عاصفة ٠ وتحولت السماء فى الحال الى سواد وارتفعت النوبة الهوجاء ودفعت السفينة بعيدا عن الساحل ٠ وكأنها ستسحبها تحت البحر ، بينما الأمواج الغاضبة تضربها وتأرجحها وكأنها تدور فى دوامة عاتية ، وكان وميض البرق قويا لدرجة أن البحارة توقعوا سقوط صواعق عظيمة ستضرب السفينة وتغرقها ٠٠

وسأل اوتسو القبطان وهو خائف :

ـ ما هو مصيرنا ؟

فأجاب القبطان :

ـ لقد أبحرت المحيطات طولا وعرضا لكنى لم أقابل مثل هذه المخاطر ٠ اذا لم يبتلعنا البحر فسيصعقنا البرق وحتى اذا عطفت علينا الآلهة فقوة العاصفة قد تحمل السفينة بعيدا الى المحيطات الجنوبية ٠

وبعد أن سكب وابلا من الدموع أضاف القبطان :

ـ اننا نواجه كارثة بسبب اتباع سيد عديم الرحمة مثلك !

فصرخ اللود اوتسو قائلا ، وهو فزع من دوار البحر :

ـ لماذا تتهمنى بهذه المرارة ، الانسان يركب المحيطات تحت رعاية القبطان ، وكأنه يضع ثقته فى جبل عال جليل ٠

فأجاب القبطان :

ـ اننى لست الها ، ولا أستطيع السيطرة على كل شىء • عاصفة عظيمة تهب وأمواج ثائرة ، وصاعقة على وشك السقوط فوق رؤوسنا •• كل هـذا لأنك تريد أن تذبح تنينا • أنا متأكد أن هذا من عملك •• أتوسل اليك أن تصلى من أجل نجاتنا •

وصلى اللورد اوتسو ، مقسما آلاف المرات بأنه سيصرف نظره عن خطته فى سرقة حتى ولو شعرة واحدة من رأس التنين • وبعد وقت ليس بطويل ظهرت الدلائل بأن الآلهة قد سمعت صلاته ، فبرغم أن الريح كانت تهب بطريقـة أكثر عنفا الا أن الرعد قد توقف ووميض البرق اختفى تماما • وأثبتت الريح تعاطفها •• وفى غضون أربعة أيام تمكنت السفينة من الرجوع الى ساحل اليابان ••

وعندما عاد مرة أخرى الى اليابسة وجد اللورد اوتسو نفسه متعبا ومريضا بنزلة برد ، وتورمت عيناه وأصبحتا فى شكل برقوقتين حمراوين كبيرتين • **وعاد محاربوه فى الحال اليه قائلين :**

ـ الآن ، لقد عرفت بنفسك كم هو شاق أن تسرق جوهرة من رأس التنين •

فوافق اللورد اوتسو قائلا :

ـ انكم على حق • وأرحب بكم مرة أخرى فى خدمتى • بالتأكيد أن التنين يخص أسرة آلهة الرعد ، ومن يبتغى جوهرته لا بد أن تكون نهايته بائسة ، وانكم على صواب فى انكم لم تذهبوا وراءه • وليست كاكويا هيمى الا عذراء شريرة تحاول تحطيم الرجال • وانى أمنع أى واحد يقترب منها ثانية •

وهكذا حملت الغربان وصقور السمك الحبال المجدولة بخيوط الحرير من سطح القصر الجديد والقتها بعيدا ، بينما سخر الناس من وراء ظهر اللورد اوتسو مشيرين الى عينيه الوارمتين **قائلين :**

« الجوهرة من رأس تنين أو تنينين ••
قالوا أهلا بها !
وبدلا منها
أحضر برقوقتين حمراوين ! »

والآن الخاطب الخامس ، موروتاكا لورد مقاطعة ايسو الذى كانت مهمته الحصول على القوقعـة النادرة الموجودة فى عش طائر الخطاف أو عصـفور الجنة • فقد علم موروتاكا ان عددا كبيرا من طيـور الخطاف أو عصافير الجنة قد بنت أعشاشها فوق سطح أحد مبانى الحكومة ، لذا نصب سقالة ووضع بها عشرين رجلا لمراقبة الطيور • ومع ذلك ، خافت الطيور عند رؤية هذا العدد من الرجال وغادرت السطح فورا •

وبناء على نصيحة حكيم ، طرد لورد موروتاكا جميع خدمه ما عدا واحدا ، وبدأ مع هذا الخادم البحث ليل نهار عن القوقعة • كان وقت الانتظار مرهقا ، اذ قيل له أن القوقعة المسحورة يمكن العثور عليها فقط عندما يضع طائر الخطاف بيضة فى العش • وأخيرا ، فى احدى الأمسيات عند الغروب ، رأى موروتاكا خطافا يدور فوق عشه • فرفع خادمه ، بسرعة فى سلة الى السطح ، ولكن الخادم أفزع الطائر وعاد خالى الوفاض فتسبب فى غضب سيده الذى صرخ فيه :

ــ ان ارتباكك هو السبب • سأقوم بذلك بنفسى !

وبعد أن رفع لورد موروماكا الى السطح ، وضع يده فى العش ، فشعر بشىء منبسط ، فأمسك به باحكام ، ثم نادى على الخادم لانزاله الى الأرض فقبض الخادم مسرعا على الحبل وتسبب فى انفلاته ، فغطس موروتاكا فى جرة كبيرة من الماء كانت مقدمة كقداس لأحد الآلهة • ولما أفاق لورد موروتاكا من الصدمة ، وجد نفسه لا يستطيع الوقوف • ورغم جراحه ، كان موروتاكا منفعلا بعثوره على كنزه • وأقدح خادمه عندئذ نارا • وفى وهج النار اكتشف لورد موروتاكا أن كنزه لم يكن القوقعة النادرة ، ولكن صخرة عادية • حاول لورد موروتاكا جهده أن يخفى الحادث المؤسف عن الناس ، ولكنه فشل ، وانتشرت القصة فى الحال فى أنحاء البلاد • ومع جراحه واكتئابه النفسى ازدادت الحالة الصحية لموروتاكا سوءا ، ومات أخيرا من شدة المرض والحزن •

وفى الحال وصلت قصة كاكويا هيمى وخطابها الخمس الى أسماع الامبراطور نفسه • فأمر الامبراطور المفتون أحد رجال بلاطه بزيارة الفتاة وأن يأتى بتقرير عن أخلاق هذه الفتاة التى أجبرت الرجال على المعاناة ولم ترض بالزواج من أحدهم •

ورفضت ابنة قاطع الخيزران مقابلة ممثل الامبراطور • وغضب الامبراطور فى البداية ، ولكنه أخذ بعد ذلك رفضها على أنه رغبة منها فى اختباره • وبالتالى ، انتهز الامبراطور الفرصة فى أحد الأيام أثناء قيامه برحلة صيد ووقف عند قصر قاطع الخيزران •

وأمعن في النظر الى المنزل ، حيث رأى فتاة مشعة بالنور جالسة في حجرة · لن تكون هذه بالتأكيد سوى كاكويا هيمى الاسطورية · فأسرع الى الداخل · وأمسك الامبراطور بكم ردائها ، وجفلت الفتاة وانتحت لتخفى وجهها عنه ، ولكنه استطاع أن يلمح جمالها المشع · فطلب الامبراطور منها أن تصحبه الى قصره فى الحال · ولكن الفتاة اختفت فجأة · فبهت الامبراطور وامتلأ بالأسى مدركا أن كاكويا هيمى لم تكن من البشر ·

ـ أوه ، كاكويا هيمى ، عودى للظهور ثانية ، أتوسل اليك · دعينى أنظر الى جمالك مرة أخرى ، ثم أعود راجعا الى قصرى ·

وغمرت الامبراطور الفرحة عندما اتخذت الفتاة الشكل البشرى مرة أخرى · ولن تسعف الكلمات فى تصوير انتشاء الرجل وهو يتفرس فى ملامح الفتاة · وبعد أن أعد رجال البلاط وليمة فرح عظيمة عاد الامبراطور آسفا الى قصره ، تاركا قلبه فى قصر قاطع الخيزران العجوز ·

ومرت ثلاث سنوات ، وفى ربيع السنة الرابعة ، لاحظت الخادمات أن كاكويا هيمى كانت تراقب القمر بعيون مضطربة · فناشدتها احداهن أن تتوقف عن ذلك ، لأنه كان من الواضح أن الفتاة تزداد حزنا يوميا مع نوره · ومع ذلك فلم تتوقف كاكويا هيمى عن التحديق الى أعلى نحو القمر · وعندئذ أخبرت الوصيفات قاطع الخيزران العجوز بحالة كاكويا هيمى · فسأل الفتاة فى الحال عن سبب تعاستها · **فأجابته قائلة :**

ـ لا أستطيع أن أقول · يكفى القول بأن قلبى يزداد حزنا عندما احدق نحو القمر ·

ولم تكن كوكويا هيمى تبكى فى ليالى المحاق التى لا يظهر فيها القمر ·· ولكن مع عودة القمر هلالا يعود الحزن فى الحال · وعندما اقترب اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن ازدادت كاكويا هيمى تعاسة ، ولم تعد تحاول أدنى محاولة فى اخفاء دموعها · وتوسل تاكيتورى مرة أخرى للفتاة لتخبره عن سبب شقائها ·

ووافقت أخيرا ، وبدأت تقول :

ـ منذ فترة طويلة ، فكرت فى اخبارك بالحقيقة ، ولكننى لم أرغب فى ايذائك ·

وامتلأت عيون الفتاة بالدموع وهى تقول :

ـ أنا لا أنتمى لعالمكم · انى من عالم القمر ، ولقد أزف الوقت لكى أعود · وسينزل فى اليوم الخامس عشر من هذا الشهر رسل مبعوثون لاعادتى الى موطنى ·

فصرخ العجوز فى غضب ولوعة :

ـ هذا ما لا يصدقه العقل بالتأكيد · لقد عثرت عليك فى تجويف عود الخيزران ، ولم تكونى عندئذ أكبر من بذرة يانعة ·· ولقد ربيتك بعناية تكسر العظام · سوف أموت اذا أخذوك منى !

ـ ان هذه رغبتى · من يأمر بذلك هو سيد عالم القمر ، وعلى الامتثال ·

وفى الحال وصلت أخبار ورطة كاكويا هيمى الى الامبراطور ، فأرسل تابعا الى بيت قاطع الخيزران · لقد ضاعفت الأحزان سنين قاطع الخيزران العجوز ·· فأصبحت ذقنه فى بياض الثلج ، وانحنى ظهره واحمرت عيناه من البكاء الدائم · وطلب تاكيتورى من التابع ، وهو غارق فى دموعه ونحيبه ، أن يجعل الامبراطور يقوم بارسال جنود مقاتلين فى اليوم الخامس عشر من الشهر حتى يمكنهم أسر مبعوثى القمر ·

وفى فجر اليوم الخامس عشر ، بعث الامبراطور بقائد مع ألفين من المقاتلين تمركز بنصفهم على تل مجاور للقصر ، وأخذ الباقون مراكزهم على سطح المنزل نفسه · وأمر تاكيتورى خدامه العديدين بأن يسلحوا أنفسهم بالأقواس والسهام وينضموا الى الجنود المدافعين ·· وفى هذه الأثناء ، وضعوا كاكويا هيمى فى حصن منيع ، حيث أمسكت النساء بذراعيها · ووقف قاطع الخيزران خارج الباب شاهرا سلاحه ··

وصرخ تاكيتورى فى المحاربين الشجعان المتيقظين قائلا :

ـ اذا نزلوا فى كثرة قطرات الندى فحطموهم ·

ولكن كاكويا هيمى قالت :

ـ لن تحمينى الأبواب المحكمة ولا آلاف المقاتلين · ولا فائدة من الأقواس والسهام أمام الأسلحة السماوية · فأقوى الأقوياء من المدافعين سيفقد شجاعته عند قدومهم ·

وصاح تاكيتورى ردا عليها :

ـ أنذريهم ، سأمزق عيونهم ، وأنزع شعورهم ، وأشق ثيابهم ، وأذلهم أمام الناس ·

ولكن كاكويا هيمى أجابت :

ـ من الأفضل ألا يسمع أحد من الآخرين كلماتك هـذه ٠٠ لقـد شملتنى بحب ورعاية وأتوق الى أن أظل معك ومع أمى التى ربتنى فى سنين عمركما الأخيرة ٠ انى لا أرغب فى العودة لعالم القمر ، رغم أن الأسى لا يدخل تلك الأرض مطلقا ، ورغم أن كل الرعايا هناك يعيشون فى شباب خالد ، ويتمتعون بجمال الوجه والقوام ٠

فقال تاكيتورى بجسارة :

ـ لا تزعجى نفسك ، فليس عندى أدنى تعامل مع هؤلاء المبعوثين السماويين ، مهما كان جمالهم ٠

وعندما توغل الليل وأصبح القمر بدرا ، أخذ يكبر حتى وصـل حجمه عشرة أضعاف حجمه الطبيعى ، ولذلك ملأ نور أشعته منزل قاطع الخيزران ٠ وأخيرا امتلأت السماوات بحشد من المحاربين الأفذاذ راكبين قمم السحب العظيمة ، ونزلوا فى التو حيث اصطفوا صفا صفا على ارتفاع خمسة أقدام من الأرض ٠

وفقد المدافعون عن الفتاة شجاعتهم عند مشاهدتهم ٠ ولم البعض فيما بعد شعثهم مستجمعين قواهم وحاولوا أن يقاتلوا ، ولكن وجد كل واحد منهم يده مغلولة مخدرة لا تقدر على تصويب السهام نحو الهدف ٠ وتمكن واحد من بينهم كان موفور العضل ، راسخ الايمان أن يطلق كل سهامه ، ولكنها أخطأت مرماها ، وهكذا وقف الجميع بلا حول ولا قوة محملقين كالحمقى فى صفوت جنود القمر ٠ كان رداء المبعوثين من القمر جميلا جدا ليس له مثيل على الأرض حتى يمكن مقارنته به ، وكانت العربة التى جلبوها لتحمل كاكويا هيمى الى وطنها مغطاة بمظلة رائعة الجمال ٠

واتجه واحد منهم يبدو أنه قائدهم الى باب الحصن الذى حفظت فيه كاكويا هيمى ، فترنح تاكيتورى متهاويا فى الحال كأنه رجل مخمور بالساكى (١) ٠٠ وكما يقع النائم ، تعثر وسقط على الأرض ٠

وقال القائد :

ـ لقد سمحنا لكاكويا هيمى أن تبارك بيتك لفضيلة فيك ٠ وهى كانت قد أذنبت فى السماء منذ سنين مضت ٠٠ فنفيناها كعقاب لذنبها ،

---

(١) مشروب يابانى كحولى متخمر مصنوع من الارز ٠

للحظة وجيزة فى الأبدية بمسكنك المتواضع · وسيكون نهاية عقابها على يديك ، ولا فائدة من توسلاتك · انى آمرك بابرازها فى الحال ·

وأمر القائد القمرى باحضار العربة متجاهلا احتجاجات تاكيتورى ،

ونادى قائلا :

ـ تعالى بسرعة !

وانشق باب الحصن فى الحال وسحبت قوة غير مرئية كاكويا هيمى من أذرع وصيفاتها ··

وقالت وهى تتطلع الى أبيها كسير الفؤاد :

ـ انى لا أريد العودة للقمر ، لكن طالما أن هذا أمر حتمى ، فأرجوك أن تنظر الى وأنا ذاهبة ·

فتوسل العجوز منتحبا :

ـ خذينى معك !

فهزت الفتاة رأسها وناولته رساله كتبتها لتخفف عنه بعد ذهابها ·

وأحضروا لكاكويا هيمى ثوبا من الريش كالذى ترتديه المخلوقات القمرية ، مع كأس فيه اكسير الخلود · ورغم أنهم أمروها بالشرب الا أن الفتاة ارتشفت رشفة واحدة فقط من الكأس مصممة أن تترك اكسيرا كافيا للعجوز والامبراطور · وأعطى القائد القمرى موافقته كارها ، جاذبا فى نفس الوقت الثوب المجنح حول جسد كاكويا هيمى ·

وما كاد قماش القمريين يلمس العذراء حتى اختفى الحزن من قلبها · ولم تعد تندم على مغادرتها عالم الانسان · وصعدت العربة تلقائيـا ، بينما العجوز ينتحب ويترقب · وصعدت العذراء مع ألف مقاتل قمرى الى السماوات ·

عندما ذهبت كاكويا هيمى (حلوة الشمائل ومنيرة الظلام) ، فقد قاطع الخيزران كل رغبة فى الحياة ، ولم يرغب فى تذوق اكسير الخلود · ولم تمض فترة الا وفترت همته من المرض والندامة ، ورقد فى سريره ولم ينهض بعد ذلك مطلقا ·

وأخبر قائد جنود الامبراطور سيده بكل هذه الأحداث عند عودته الى القصر · وأحضر معه رسالة كاكويا هيمى والكأس الذى يحتوى على

اكسير الخلود · وكان قلب الامبراطور ثقيلا · وبعد لحظات طويلة من المعاناة نادى الامبراطور على مستشاريه ، وسأل الحكيم عن أى جبـال الامبراطورية يرتفع أقرب الى القمر ·

فأجاب المستشار :

ـ فى أقليم سورجا يوجد جبل بركانى يرتفع عاليا فى السماوات · هذا هو أقرب جبل الى القمر بالتأكيد ·

فأمر الامبراطور عندئذ بجلب الرسالة واكسير الخلود الى قمة الجبل والقائهما حيث تلتهمهما النيران ···

لأن الفوشى [الاكسير] قد احترق

فوق ذروة الياما [الجبل] العظيم ·

وهكذا سمى فيما بعد

فوشى نو ياما

والى هذا اليوم يقال أن الدخان ··

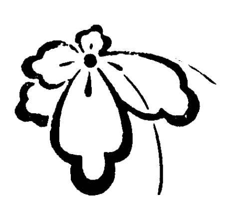
يتصاعد من الاكسير الذى ما يزال يحترق ··

يمكن أن يرى صاعدا من أعماق

جبل بركانى عظيم

وهذا الجبـــل

هو فوجى ياما



هويتشي مقطوع الأذنين (١)

من هياكومونوجاتارى [المائة حكاية]

لكاتب مجهول (القرن الثامن عشر)

كتبت هياكو مونوجاتارى (المائة حكاية) خلال فترة سلام فى التاريخ اليابانى • ساعد ازدياد أعداد المتعلمين بين الناس ، وظهور كتاب جدد لا يمتدحون النبلاء ، مع تطور الطباعة ، فى ظهور كتب ومؤلفات لجمهور أكثر اتساعا •

★ ★ ★

منذ قرون مضت ، كان يعيش فى أكاماجاسيكى رجل أعمى اسمه هويتشى • وكان مشهورا بالانشاد والعزف على البيوا (٢) • ولقد تدرب منذ طفولته على الانشاد والعزف ، ولقد تفوق على مدرسيه فى فترة صباه • وأصبح بيواهوشى (٣) مشهورا بصفة خاصة بانشاده لتاريخ أسرتى الهيكى والجينجى ، وقيل انه عندما غنى أغنية معركة دان ــ نو ــ أورا (٤) « فلم يعف حتى سجاد « الأبيسون » الفاخر من الدموع » !

كان هويتشى فى مطلع حياته العملية فقيرا جدا ، ولكنه وجد صديقا مخلصا ليساعده • كان قس اميداجى (٥) مغرما بالشعر والموسيقى، وكان غالبا ما يدعو هويتشى الى المعبد ليعزف وينشد • ولأن القس كان شديد الاعجاب بمهارة الصبى المدهشة ، فقد اقترح القس على هويتشى

---

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : لافكاديوهيرن •

(٢) آلة موسيقية يابانية مثل العود •

(٣) قس يابانى وعازف عود •

(٤) منظر لواقعة بحرية مشهورة فى عام ١١٨٥ ، التى فيها هزمت جماعة جينجى جماعة الهيكى الذين اندحروا مع أسرتهم •

(٥) معبد بوذى قرب أكاماجاسى ، مكان المعركة • لقد بنى ليهدىء أرواح أموات الهيكى الذين ، من المعتقد أنهم يسكنون البحر وشواطىء دان ــ نو ــ أورا •

أن يجعل المعبد بيتا له ، فقبل هذا العـــرض بامتنان كبير ٠ وأصبح لهويتشي حجرة فى مبنى المعبد ، وكان مطلوبا منه فقط مقابل الطعام والاقامة أن يرضى القس بالأداء الموسيقى فى أمسيات معينة ، لو كان غير مشغول بمهام أخرى ٠

وفى احدى أمسيات الصيف دعى القس خارج المعبد ، لأداء صلاة بوذية فى منزل رجل دين توفى أخيرا ، فذهب الى هناك مع مساعده ، تاركا هويتشي بمفرده فى المعبد ٠٠ كانت ليلة حارة ، ففكر الرجل الأعمى أن يجلس فى الشرفة الواقعة أمام حجرة نومه طلبا للجو اللطيف ٠ وكانت الشرفة تطل على حديقة صغيرة فى مؤخرة معبد الاميداجى ٠ وانتظـر هويتشي هناك عودة القس ، وحاول أن يخفف من وحدته بالتمرين على العزف على آلة البيوا ٠ وحل منتصف الليل ولم يظهر القس ٠ ولكن الجو كان لم يزل حارا فظل كما هو فى الشرفة ٠ وأخيرا سمع اقتراب خطوات من البوابة الخلفية ٠ وعبر شخص ما الحديقة ، وتقدم الى الشرفة، ووقف فجأة أمامه ٠٠ ولكنه لم يكن القس ٠ ونادى صوت عميق باسم الرجل الأعمى على نحو أبتر وبشكل تعوزه الكياسة ٠٠ انها طريقـــة الساموراى (٦) عندما يستدعى من هو أدنى منه مرتبة :

ـ هويتشي !

جفل هويتشي جدا وظل هكذا لحظة لا يجيب ، **فنادى الصوت ثانية فى نبرة آمرة خشنة :**

ـ هويتشي !

فأجاب الرجل الأعمى ، خائفا من نبرة التهديـد الواضحـــة فى الصوت :

ـ هاى ! اننى أعمى ! ٠٠ اننى لا أستطيع أن أعرف من ينادى !

فهتف الغريب ، متحدثا بلطف أكثر :

ـ ليس هناك ما تخشاه ، انى أقف قرب المعبد ، ولقد بعثت اليك برسالة ٠ ان مولاى الحالى شخص عالى المكانة رفيعها ، وهو الآن يقيم فى أكاماجاسيكى ، مع صحبة كبيرة من النبلاء ورغب فى مشاهدة منظـــر معركة دان ـ نو ـ اورا ، لأنه زار ذلك المكان اليوم ٠ وعندما سمع

---

(٦) عضو طبقة عسكرية بالوراثة فى عهد الاقطاع باليابان ٠

بمهارتك فى انشاد قصة المعركة ، أصبح يرغب الآن فى سماع أدائك : لذلك سوف تأخذ آلتك الموسيقية البيوا وتأتى معى فى الحال الى المنزل حيث ينتظر فيه المجلس المهيب !

وفى تلك الأيام كان أمـر الساموراى لا يرد • ارتدى هويتشى صندله ، وأخذ آلته البيوا وخرج مع الغريب ، الذى قاده برشاقة ، ولكن جعله يضطر الى أن يمشى بسرعة جدا •• وكانت اليد التى تقوده من حديد ، ودلت قعقعة مشية المحارب على أنه مدجج بالسلاح •• ربما كان حارس قصر ما يؤدى ذلك كجزء من وظيفته • وزال انزعاج هويتشى الذى انتابه فى البداية •• وبدأ يتخيل نفسه حسن الحظ ، من أجل تخيله تأكيـد التابع عن « شخص عالى المكانة رفيعها » ففكر فى أن هـذا المولى الذى يرغب فى سماع الانشاد لن يكون أقل من لورد من الدرجـة الأولى • وتوقف الساموراى عن السير ، وتنبه هويتشى الى انهما قد وصلا الى بوابة بمدخل فسيح ، وتعجب ، لانه لم يتذكر أية بوابة كبيرة فى هذا الجزء من المـدينة ، ما عـدا البوابة الرئيسـية لمعبـد أميدجى • **وقال الساموراى :**

ـ كايمون (٧) !

وسمع صوت فتح المزلاج ، ومر الاثنان • وعبرا فضـاء حديقة ، وتوقفا مرة أخرى أمام مدخل ما ، **وصرخ التابع فى صوت عال :**

ـ يا من بالداخل ! لقد أحضرت هويتشى !

ثم سمعت أصوات أقدام متعجلة ، وانزلاق حواجز « بارافانات » ، وأنفتاح أبواب وأصوات نساء يتبادلن الحديث •• وعلم هويتشى من لغة النساء أنهن لا بد أن يكن شغالات فى أحد قصور النبلاء ، ولكنه لم يستطع أن يتخيل لأى مكان قد قاده الساموراى • ولم يكن لديه الوقت للحدس • وبعد أن ساعدوه فى صعود عدة سلالم من الحجر ، قالوا له أن يترك صندله على آخر سلمة • وقادته يد امرأة فوق أرضية من ألواح الخشب المصقول المنبسطة بشكل لامتناه ، وحول أركان مدعمة بالعمدان الخشبية لايتذكر عددها من كثرتها ، ثم فوق امتدادات مذهلة من الأرضية المفروشة بالحصير الى أن وصل الى وسط غرفة فسيحة • وهناك اعتقد بوجود أناس عظماء كثيرين مجتمعين : وكان صوت حفيف الحرير مثل صـوت

(٧) صيغة يابانية مؤدبة تستخدم للاستئذان بالدخول من حارس يؤدى وظيفته •

أوراق الشجر فى الغابة • وسمع أيضا همهمة واسعة من أصوات تتحدث فى نغمات منخفضة ، وكان الحديث حديث قصور •

وقالوا لهويتشى أن يأخذ راحته ، ووجد وسادة ركوع معدة له • وبعد أن اتخذ مكانه عليها ، وضبط آلته ، وخاطبه صوت امرأة تكهن أن تكون « الروجو » ، أو القيمة المسئولة عن خدمة النساء ، **قائلة :**

ــ مطلوب منك الآن انشاد تاريخ الهيكى بمصاحبة آلة البيوا •

ولأن انشاد هذا التاريخ كله قد يتطلب العديد من الليالى ، **لذلك تجاسر هويتشى وسأل :**

ــ حيث أن القصة كلها لا تروى على مرة واحدة ، فما هو الجزء الذى ترغبون فى أن أرويه الآن فى جلال ؟

فجاء صوت المرأة بهذه الاجابة :

ــ انشد قصة معركة دان ــ نو ــ أورا ، لأن الرثاء عميق •

ورفع عندئذ هويتشى صوته ، وأنشد أنشودة القتال على البحر المر ، وجعل آلته تصدر صوتا يشبه صوت المجاديف واندفاع السفن وأزيز السهام ، وصياح وسحق الرجال ، واصطدام الصلب على الخوذات وارتطام المذبوح فى نهر الدماء •• واستطاع أن يسمع من عن يساره وعن يمينه فى وقفات عزفه ، أصواتا متمتمة بالمديح :

ــ يا له من فنان رائع !

ــ لم نسمع مطلقا مثل هذا العزف فى اقليمنا !

ــ لا يوجد فى الامبراطورية كلها مغن آخر مثل هويتشى !

وحلت به عندئذ شجاعة عذبة ، وعزف وغنى أفضل من قبل ، فانتشرت همسات الدهشة من حوله • ولكنه عندما جاء أخيرا ليروى قدر الأبرياء والعاجزين ، وهلاك النساء والأطفال الجديرين بالشفقة ، والموت المفاجىء لنى ــ نو ــ أما ، مع طفلها الامبراطورى الذى كانت تحمله بين ذراعيها ، عندئذ تفوه المستمعون كلهم سويا بصرخة كرب واحدة طويلة طويلة ، وبعدها بكوا وانتحبوا بصوت عال ومسعور حتى أن الرجل الأعمى أفزعه عنف الحزن الذى تسبب فيه • واستمر النشيج والعويل لبعض الوقت • ولكن ذبلت بالتدريج أصوات العويل والنواح ، ومرة ثانية ، سمع هويتشى فى السكون العظيم الذى أعقب ذلك ، صوت المرأة التى افترض أنها « الروجو » المسئولة عن خدمة النساء •

قالت :

ـ بالرغم من التأكيد لنا بأنك عازف حاذق على البيوا ، ولا تبارى فى الانشاد ، لم نعرف أنك بهذه المهارة التى أثبتها بنفسك الليلة . لقد سر مولانا ليقول لك بأنه ينوى أن ينعم عليك بجائزة مناسبة . ولكنه يرغب فى أن تقوم بالأداء أمامه مرة كل ليلة من الليالى الستة القادمة ، والتى بعدها من المحتمل أن جلالته سيقوم برحلة العودة . ولذلك فعليك أن تحضر مساء غد الى هنا فى نفس الوقت . وسنرسل لك التابع الذى قادك الليلة .. هناك موضوع آخر أمرت أن أبلغك به .. من المطلوب أنك لن تتكلم مع أى أحد عن زيارتك هنا ، أثناء فترة اقامة مولانا فى أكاماجاسيكى . وحيث انه مسافر متخفيا وباسم مستعار ، فهو يأمر بعدم ذكر هذه الأشياء ... انك حر الآن لتذهب عائدا الى معبدك .

وبعد أن عبر هويتشى عن شكره ، قادته يد امرأة الى مدخل المنزل ، حيث كان التابع نفسه الذى أرشده الى الطريق من قبل منتظرا ليأخذه الى محل اقامته . وقاده التابع الى الشرفة التى تقع فى مؤخرة المعبد ، وهناك حياه مودعا .

كان الوقت فجرا تقريبا عندما عاد هويتشى ، لكن غيابه عن المعبد لم يلاحظه أحد ، فالقس قد عاد فى ساعة متأخرة ، وافترض أنه نائم . واستطاع هويتشى خلال النهار أن يأخذ قسطا من الراحة ، ولم يقل شيئا عن مغامرته الغريبة . وفى منتصف الليلة التالية جاءه الساموراى مرة أخرى ، وقاده الى المجلس المهيب ، حيث قام بانشاد آخر بنفس النجاح الذى حصل عليه من أدائه السابق . ولكن غيابه عن المعبد خلال هذه الزيارة الثانية قد اكتشف بمحض الصدفة ، وبعد عودته فى الصباح طلبه القس لمقابلته ، **وقال له فى نبرة عتاب :**

ـ لقد قلقنا عليك أيها الصديق هويتشى . فمن الخطر أن يخرج أعمى وحيدا ، وفى ساعة متأخرة كهذه . لماذا خرجت دون أن تخبرنا ؟ لقد كان بامكانى أن أكلف أحد الخدم لمصاحبتك .. وأين كنت ؟

فأجاب هويتشى متخلصا :

ـ اغفر لى ، أيها الصديق الكريم ! كان على أن أقوم بعمل خاص ، ولم استطع ترتيب الأمر فى أى موعد آخر !

واندهش القس لتكتم هويتشى أكثر مما تألم : وشعر بأنه غير طبيعى ، وارتاب بوجود خطأ ما . وخشى أن يكون الغلام الأعمى قد سحرته

بعض الأرواح الشريرة أو ضللته · ولم يلق بمزيد من الأسئلة ، ولكنه أعطى تعليمات لخدام المعبـد الرجال أن يراقبوا تحركات هويتشى سرا ، وأن يتبعوه فى حالة مغادرته للمعبد بعد حلول الظلام ·

وفى الليلة التالية نفسها ، رأى الخدم هويتشى وهو يغادر المعبد · فأضاءوا مصابيحهم فى الحال ، وتبعوه · ولكنها كانت ليلة ممطـــرة ، ومظلمة جدا · وقبل أن يستطيع أهل المعبد الخروج الى الطريق العام ، كان هويتشى قد اختفى · ومن الجلى أنه قد سار مسرعا جدا ، وهذا شىء غريب ، آخذين عماه فى الاعتبار ، وحالة الطـــريق التى كانت سيئة للغاية · وأسرع الرجال عبر الشوارع ، مستفسرين من كل بيت كان هويتشى معتادا على زيارته ، ولكن لم يستطع أحد أن يعطيهم عنه أية أخبارا · وأخيرا ، عندما قفلوا راجعين الى المعبد عن طريق الشاطىء روعوا من صوت البيوا ، وهى تعزف بعنف ، فى جبانة مدافن اميداجى · وفيما عدا النيران الشبحية التى كانت توضع هنـاك فى الليالى المظلمة ·· فقد كان كل شىء غـــارقا فى ظلام حالك السواد · لكن الرجال أسرعوا فى الحال الى الجبانة ، وهناك ، وبمساعدة مصابيحهم ، اكتشفوا هويتشى ، جالسا بمفرده فى المطر أمام المقبرة التذكارية لانتوكو تينو (٨) جاعلا آلته البيوا تدوى عاليا ، ومنشدا بصوت مرتفع نشيد معركة دان ــ نو ــاورا · وكانت من خلفه ومن حوله ومن كل مكان فوق المقابر نيران الأمـــوات مشتعلة مثل الشموع · ولم يظهر مثل هذا الحشد لاونى بى (٩) من قبل مطلقا على مشهد من انسان بشرى ··

فصرخ الخدم : سان (١٠) هويتشى ! سان هويتشى ! انك مسحور ··· سان· هويتشى !!

فقال لهم مستنكرا :

ــ انه خطأ لا يغتفر ، أن تقاطعونى بهـذا الأسـلوب ، أمـام هذا المجلس المهيب ·

وعند ذلك ، ومع غرابة الأمر وكأنه من عالم الغيب ، لم يستطع الخدم كتم ضحكهم ·· لقد كان مسحورا بالتأكيد ، فقبضوا عليه الآن ،

---

(٨) طفل امبراطور الهيكى الذى غرق فى معركة دان ــ نو ــ أورا ·

(٩) نيران شيطانية ، هكذا يسميها الصيادون الذين يدعون بأن بحر دان ــ نو ــ اورا وشواطئه كانت مغطاة بالنيران الشبحية ·

(١٠) صيغة احترام يابانية لمخاطبة المذكر والمؤنث ·

وسحبوه وأوقفوه على أقدامه ، وأسرعوا به عائدين الى المعبد بالقوة ، حيث خلصوه فى الحال من ملابسه المبللة بأمر من القس ، وغيروا له ملابســه ، وأطعموه وأشربوه · وأصر القس بعد ذلك على تفسير كامل لتصرف صديقه العجيب ·

تردد هويتشى طويلا قبل أن يتكلم · ولكنه قرر فى النهاية عندما وجد أن سلوكه قد أزعج بالفعل القس الطيب وأغضبه ، أن يقلع عــن تحفظه ، وروى كل شيء ·· روى كل ما حدث منذ أول زيارة للساموراى·

فقال القس :

ـ هويتشى يا صديقى المسكين ، انك لفى خطر عظيم ! كيف لسوء الحظ لم تخبرنى بكل هذا من قبل ! ان مهارتك المدهشة فى الموسيقى قد ورطتك فى الحقيقة فى مشكلة غريبة · كان يجب أن تعى الآن بأنك لم تكن تزور أى منزل أو قصر ، بل كنت تقضى لياليك فى الجبانة ، بين مقابر الهيكى ، وكان ذلك أمام المقبرة التذكارية لانتوكوتينو حيث عثر عليك رجالنا الليلة ، جالسا تحت المطر · وكل ما كنت تتخيله لم يكن الا وهما ·· فيما عدا نداء الموتى · وبطاعتك لهم مرة ، وضعت نفسك تحت رحمتهم · واذا أطعتهم ثانية بعدما حدث بالفعل ، فسوف يمزقونك قطعة قطعة · ولكنهم قد يحطمونك ان آجلا أو عاجلا على أية حال ·· والآن سوف لا أستطيع أن أبقى معك الليلة ، اننى مطلوب لأداء خدمة أخرى خارج المعبد ولكن ، قبل أن أذهب ، فمن الضرورى حماية جسدك بكتابة النصوص المقدسة عليه ·

وقبل الفجر عرى القس ومساعده هويتشى : ثم رسما بفرشـــاة الكتابة على صدره وعلى ظهره ، وعلى رأسه ووجهه وعنقه ، وعلى أطرافه ويديه وقدميه ·· وحتى على باطن قدميه ، وعلى كل أجزاء جســمه ·· نص سونزا (١١) المقدس الذى يدعى هانيا ـ شينكيو · **وعندما تم ذلك نبه القس هويتشى قائلا :**

ـ يجب عليك الليلة ، بعد خروجى مباشرة أن تجلس فى الشرفـــة وتنتظر · سوف ينادون عليك · ولكن لا تجيب ولا تتحرك ، مهما حدث · لا تقل شيئا واجلس ساكنا ·· وكأنك « تتأمل » واذا تحركت أو أصدرت أى صوت فسوف تمزق اربا · لا تدع الخوف ينتابك ولا تفكر فى طلب

---

(١١) هى رسالات فى البوذية ، وهى مكتوبة شعرا ومبنية على الأحاديث الدينيـــة والفلسفية لبوذا ·

المساعدة ٠٠ لأنه لن تنقذك أية مساعدة ٠ اذا فعلت ما أخبرك به بالضبط، سيمر الخطر ، ولن يوجد ما تخشاه بعد ذلك ٠

وعند حلول الظلام خرج القس ومساعده من المعبد ، وأجلس هويتشى نفسه فى الشرفة ، طبقا للتعليمات التى أعطاها له القس ٠ ووضع آلة البيوا على الأرضية الخشبية بجانبه ، واتخذ وضع التأمل ، وبقى ساكنا تماما ، آخذا فى اعتباره ألا يسعل أو يتنفس بصوت مسموع ٠ ومكث هكذا لعدة ساعات ٠

وبعدئذ سمع خطوات قادمة من عند المدخل ٠ لقد مروا بالبوابة ، وعبروا الحديقة ، واقتربوا من الشرفة ، وتوقفوا ٠٠ أمامه مباشرة ٠

وناداه الصوت العميق :

ـ هويتشى !

ولكن الرجل الأعمى حبس أنفاسه وجلس بلا حراك ٠

فناداه الصوت للمرة الثانية بضراوة :

ـ هويتشى !

ثم مرة ثالثة بتوحش :

ـ هويتشى !

بقى هويتشى ساكنا كالحجر ٠ **فزمجر الصوت متذمرا** :

ـ انه لا يجيب ! ٠٠ هذا لا ينفع ! ٠٠ يجب أن نرى هذا الشخص ٠

وكانت هناك جلبة أقدام ثقيلة تصعد الى الشرفة ٠ واقتربت الأقدام بتأن ، ووقفت بجانبه ٠٠ ولدقائق طويلة ، أحس هويتشى خلالها أن جسمه كله يهتز لضربات قلبه ، وكأن هناك سكوت الموت ٠

وأخيرا تمتم الصوت الأجش بالقرب منه قائلا :

ـ ها هى البيوا ، ولكن بالنسبة لعازف البيوا فلا أرى ٠٠ سوى أذنين فقط ! ٠٠ وهذا يفسر سبب عدم رده : فليس لديه فم ليرد به ٠٠ ولم يعد باقيا منه سوى أذنيه ٠٠ والآن سآخذ هاتين الأذنين لمولاى ٠٠ كدليل على اطاعة الأوامر الجليلة ، على قدر الامكان ٠

وأحس هويتشى فى تلك اللحظة بأصابع حديدية تقضم أذنيه وتنزعهما ! ولم يبك رغم الألم العظيم ٠ وتقهقرت الخطوات الثقيلة على

طول الشرفة ، ونزلت الى الحديقة ، ومرت من المدخل ٠٠ وتلاشت ٠ وشعر الرجل الأعمى من كلا جانبى رأسه بقطرات سميكة دافئة تسيل ، لكنه لم يجرؤ أن يرفع يديه ٠

وعاد القس قبل شروق الشمس ٠ فأسرع فى الحال الى الشرفة فى الخلف ، ولكنه انزلق فوق شىء رطب ، فتفوه بصرخة رعب ، لأنه رأى ، على ضوء مصباحه ، ان هذه الرطوبة كانت دما ٠ ولكنه شاهد هويتشى جالسا هناك ، فى وضع التأمل ٠٠ ولا يزال الدم ينزف من جراحه ، فصرخ القس المرتعب :

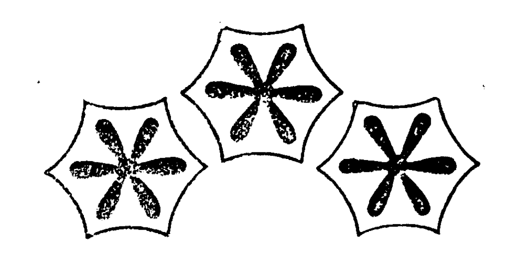
– هويتشى يا مسكين ! ما هذا ؟ ٠٠ لقد آذوك ؟

وشعر الرجل الأعمى بالأمان ، عندما سمع صوت صديقه ٠ فانفجر فى نشيج ، وروى مغامرته الليلية بالدموع ٠

فصاح القس :

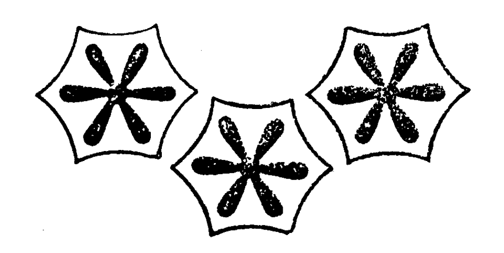
– مسكين يا هويتشى ، مسكين ! انها غلطتى ! ٠٠ غلطتى الفظيعة ! ٠٠ لقد كتبت النصوص المقدسة على كل مكان من جسمك ٠٠ ما عدا أذنيك ! لقد كلفت مساعدى أن يقوم بهذا الجزء من العمل ٠٠ وكان خطأ جسيما منى لأنى لم أتأكد بنفسى أنه قام بذلك ! ٠٠ حسن لا يمكن تغيير الوضع الآن ، ولكننا سنحاول فقط مداواة الجراح بأسرع وقت ممكن ٠٠ ابتهج يا صديقى ! ٠٠ لقد زال الخطر الآن ٠ ولن يزعجك هؤلاء الزوار مرة أخرى ٠

وشفى هويتشى من مصابه بمساعدة طبيب ممتاز ٠ وانتشرت قصة مغامرته الغريبة فى شتى الأنحاء ، وجعلته مشهورا فى الحال ٠ وذهب العديد من النبلاء الى اكاماجاسيكى يسمعونه وهو ينشد ، وأعطيت له منح كبيرة من المال ، ولذلك أصبح رجلا ثريا ٠٠ ولكن منذ وقت مغامرته ، عرف بين الناس بلقب : ميمى – ناشى – هويتشى : « هويتشى مقطوع الأذنين » ٠



القصة القصيرة

- صور من الجحيم
- أتوبيس الفحم
- قرع سيبى
- اللص
- الجندى



صور من الجحيم [1]

للكاتب
رايونوسوكى اكوتاجاوا

★ رايونوسوكى أكوتاجاوا (١٨٩٢ ـ ١٩٢٧) :

يسمونه أحيانا ادجار ألن بو اليابان · يعد من أشهر الكتـــاب اليابانين خارج اليابان · قضى معظم حياته فى الكتابة ، رغم أنه عمـــل كمدرس وكصحفى · أعاد الحياة للأساطير القديمة ، ولكنه عمقها بأبعاد سيكولوجية · كان نزاعا لمرتبة الكمال فى الأسلوب الذى خاض تجربته بشكل متكرر مع القصة القصيرة ، قالبه المفضل ·

ثم دمج قصتين من قصصه القصيرة ، « راشومون » : حكاية عن السرقة والموت ، و « فى الدغل » التى تروى حادثة فردية من وجهـــات نظر مختلفة ،ليصبحا الفيلم اليابانى ذائع الصيت « راشومون » ، فكان سبرا لطبيعة الأدراك الحسى والواقع ·



[١]

أشك فى أنه سيأتى انسان آخر شبيه للورد هوريكاوا ، وبالتأكيد لم يأت مثله أحد حتى الآن · يقول البعض بأن ملاكا حارسا ظهر لصاحبة العصمة والدته فى حلم قبل ولادته ، وعلى الأقل فمنذ يوم ولادته وهو أكثر الناس ، فى الحقيقة ، شذوذا ·· كان يجفـــل الناس ويروعهم بشكل دائم بسبب ما يفعله من خوارق الأعمال · وما عليك الا أن تلمح

---

(١) عن الترجمة الانجليزية ل و· هـ· هـ· نورمان ·

خطة من خطط هوريكاوا لتدرك عظمتها · ولن يحلم أى شخص عادى مطلقا بالجرأة والجسارة التى تمت بها ·

لكن ، بالتأكيد لم تكن نية سيادته مجرد أن يمجد ذاته ، لقـد كان كريما ، ولم ينس الطبقات الفقيرة ، وكان يريد امتاع البلد كلهـا عندما كان يفعل ذلك ·

وهناك قصة عن قصر كاوارا المشهور فى هيجاشى سانجو ، اذ قيل أن شبح وزير الميسرة ظهر هناك ليلة وراء ليلة ، الى أن تمكن سيادته من طرد الروح الشريرة بعد التعزيم عليها وتعنيفها · ولهذا كانت له هيبته فى العاصمة ، حتى كان يعتبره كل شخص ، رجلا كان أم امرأة، أم طفلا على أنه تجسيد لاله · وذات مرة أثناء عودته فى عربتـه من الاحتفال بازدهار الخوخ ، انفلت ثوره وأصـاب رجلا عجـوزا عـابرا ، لكنهم يقولون أن الرجل المصاب أطبق يديه سويا وانحنى احتراما حيث كان ممتنا بالفعل بأن ثور سيادته قد دهسه ·

وهكذا بدأت تحاك قصص طيبة كثيرة عن حياة سيادته · ففى احدى الحفلات قام بعرض ثلاثين جوادا أبيض ، وفى مناسبة أخـرى أعطى فتى أثيرا لديه ليصبح دعامة بشرية لجسر ناجارا · ولن توجـد نهاية اذا بدأت فى سردها جميعا ، ولكنى أشك ، رغم تعدد هـذه النوادر أن تضاهى احداها فى رعب قصة صنع ستار (٢) الجحيم الذى يعتبر من أقيم الكنوز الفنية فى القصر · لم يكن سيادته ينزعج بسهولة، ولكنه بدا عليه فى تلك المرة الاستفزاز · وكم ازداد فزعنا ، حينئذ ، نحن الذين فى خدمته ، لقد خفنا على أرواحنا نفسها · وبالنسبة لى ، فلقد خدمته لمدة عشرين عاما ، ولكنى شاهدت هذا المنظر المروع ،شعرت بأن مثل هذا لا يمكن أن يكون قد حدث من قبل على الاطلاق · ولـكى أروى هذه القصة ، يجب أن أحكى أولا عن يوشيهيدى الذى رسم صور الجحيم ·

[٢]

أتوقع أن يتذكر الكثيرون يوشيهيدى حتى اليوم · كان فى زمنه رساما مشهورا ، لم يتفوق عليه أحد من معاصريه · كان حينئذ فى حوالى

(٢) ساتر « بارافان » . وعادة ما يكون تحفة فنية ·

الخمسين من عمره ، على ما أعتقد · كان مشاكسا سيء الطبع ، لايسر ناظريه : قصير القامة ، كيس من الجلد والعظام ، وكانت شفتاه الحمراوان النضرتان تظهرانه أكثر شرا · وكأنه من احدى فصائل الحيوان ، كان بعضهم يقول ان ذلك بسبب وضعه لفرشة الألوان المحمرة بين شفتيه ، ولكنني أشك في ذلك · بينما قال آخرون أكثر قسوة بأن مظهره ، وحركاته توحي بالقرد ·· ويذكرني ذلك بهذه القصة · كانت يوزوكي الابنة الوحيدة ليوشيهيدي ، فتاة ساحرة في الخامسة عشرة ، لا تشبه أباها على الاطلاق ، وتعمل وصيفة في هوريكاوا في ذلك الوقت وكانت يوزوكي ، ربما لوفاة أمها وهي مازالت طفلة صغيرة ، رقيقة العاطفة وذكية ذكاء يفوق سنها ، وتحظى بتدليل صاحبة العصمة ، وأفراد حاشيتها بالتالي ·

وحدث في ذلك الوقت أن قدم أحدهم قردا أليفا من تامبا كهدية، فسماه اللورد الصغير العابث يوشيهيدي · وكان القرد حيوانا له مظهر كوميدي ، على كل حال ، ومع هذا الاسم ، لم يكن أحد في القصر يستطيع أن يقاوم الضحك عليه · بل فعلوا أكثر من ذلك ، فكانوا يضايقونه بهتافهم :

« يوشيهيدي ، يوشيهيدي ! » اذا تسلق شجرة الصنوبر بالحديقة أو لطخ الحصير أو قام بأي عمل آخر ·

وفي أحد الأيام كانت يوزوكي مارة في احدى القاعات الطويلة عندما ظهر القرد من خلف باب انزلاقي ، هاربا بأقصى ما في وسعه · كان من الواضح أن ساقه مصابة لأنه كان يعرج ، غير قادر ، على ما يبدو ، أن يتسلق عامودا برشاقته المعهودة · وجاء وراءه اللورد الشاب ملوحا بسوطه · وصائحا : « قف يالص ! يا سارق البرتقال ! » ترددت يوزوكي للحظة ، الشيء الذي أعطى الفرصة للقرد الهارب أن يتسلق جونلتها صارخا بشكل يستدر الشفقة · وفجأة أحست أنها لا تستطيع كبح شفقتها ، فمدت يدها فتأرجح كم الكيمونو البنفسجي في نصف دائرة ، والتقطت القرد برقة ثم انحنت أمام اللورد الشاب وقالت بحلاوة « التمس عفوك · انه مجرد حيوان · كن رحيما واعف عنه ، يا سيدي »·

فجاءها راكضا منفعلا ، وعبس ودق بقدمه مرتين أو ثلاث مرات وقال :

ــ لماذا تحمينه ؟ لقد سرق بعض البرتقال ؟!

فقالت مكررة :

ـ ولكنه مجرد حيوان ٠

ثم أردفت قائلة وهى تبتسم بحزن :

ـ وطالما أنك تناديه يوشيهيدى ، فكأنه أبى الذى يعاقب ٠ وهذا ما لا أستطع رؤياه ٠

فهزمت جرأتها السيد اللورد ، **الذى قال على مضض :**

ـ حسن ، اذا كنت تدافعين عن أبيك نفسه ، فسأعفو عنه ، ضد قرارى ٠

واستدار ، ملقيا بالسوط ، وعاد عبر الباب الانزلاقى الذى أتى منه ٠

[٣]

ومنذ ذلك اليوم أصبحت يوزوكى والقرد مخلصين لبعضهما البعض فعلقت جرسا ذهبيا ، كانت الأميرة قد اعطته لها ، وعلقته حـول رقبـة القرد بحبل أحمر لامع ، ولم يدعها القرد تفارق بصره ٠ فعندما أصيبت بالبرد مثلا ذات مرة وذهبت الى فراشها . تأثر القرد بشـكل واضـح وجلس بلا حراك بجانب وسادتها يقضم أظافره ٠

وشىء غريب آخر ، فمن ذلك الوقت لم يقم أحد بمضايقة القـرد بالشكل السىء كما كان يحدث من قبل ، بل على العكس ، بدأوا يدللونه وحتى اللورد الشاب فكان يلقى له ، من حين لآخر بثمر البرسيمون أو الكستناء ٠

ولقد غضب ذات مرة عندما أمسك بواحـــد من الساموراى (٣) يرفس القرد ٠ أما بالنسبة للورد الكبير ، فيقولون أنه عندما ســـمع بأن ابنه يحمى القرد من الأذى ، طلب يوزوكى لتمتثل أمامه والقرد بين ذراعيها ٠ ولابد أنه سمع فى هذه المناسبة لماذا قامت بتدليل القرد ، **فقال لها :**

ـ انك فتاة بارة ، وسأكافئك على ذلك ٠

---

(٣) رجل من الطبقة العسكرية بالوراثة فى عصر الاقطاع باليابان ٠

واعطاها كيمونو قرمزى اللون للاحتفالات الرسمية ، فانحنت شاكرة ، وقبلت الكيمونو بعظيم الاحترام والاذعان ، وقام القرد بتقليد حركاتها ، الشيء الذى دغدغ شعور سيادته بشكل كبير · وهكذا أصبحت الفتاة التى ناصرت القرد أثيرة عند سيادته ، لأنه أعجب ببرها وولائها لوالدها ·· لا ، كما تناولتها الاشاعة ، لأنه كان مغرما بها · وقد يكون هناك أساس لهذه الاشاعة ، وسأروى عن ذلك فيما بعد · أما الآن يكفى القول أن لورد هوريكاوا لم يكن من النوع الذى يقع فى حب ابنة فنان ، مهما كانت جميلة ·

وهكذا انسحبت ابنة يوشيهيدى من حضرته ، بعد تشريفها ، ولأنها كانت حكيمة وطيبة ، فلم تشعر الوصيفات الأخريات بالغيرة منها انما أصبحت هى وقردها محبوبين أكثر من ذى قبل ، وبصفة خاصة، عند الأميرة ، التى لم تعد تقدر على مفارقتها ، وبدأت ترافقها بشكل ثابت فى عربة مسراتها ·

ومع ذلك يجب أن نترك الابنة لفترة ونعود الى الوالد · فالبرغم من أن القرد أصبح مدللا من قبل الجميع ، الا أنهم جميعهم كرهوا يوشيهيدى العظيم · ولم يكن ذلك فى حدود أهل القصر فقط ، بل كان رئيس دير يوكوجاوا يكرهه ، فاذا ذكر يوشيهيدى يتغير لونه وكأنه واجه شيطانا· (كان هذا بعد أن رسم يوشيهيدى كاريكاتيرا لرئيس الدير ، طبقا لما تناقلته ألسنة الخدم ، وهو أمر لا يعدو أكثر من القيل والقال) · على أية حال ، كان الرجل غير محبوب عند أى شخص يقابله · واذا كان هناك البعض ممن لا يتحدثون عنه بسوء ، فكانوا لا يتعدون اثنين أو ثلاثة من زملائه الفنانين أو من الناس الذين يعرفون صوره ولوحاته ويقدرونها ، ولا يعرفون الانسان فيه ·

لم يكن يوشيهيدى مجرد شخص منفر فى مظهره : فالناس كانت تكرهه أكثر بسبب عاداته · ولا يوجد من يلام على عدم شعبيته الا نفسه ·

[٤]

كان شحيحا ·· كان سيء المزاج ·· كان صفيق الوجه ·· كان كسولا ·· كان شرها ، وأسوأ من كل شيء أنه كان متعجرفا بكل الازدراء ، متأكدا من أنه أعظم فنان فى البلاد ·

اذا كان فخورا بعمله فقط لما كان الوضع بهذا السوء · الا أنه كان يحتقر كل شيء · حتى عادات وتقاليد المجتمع · وعندما كان ينفذ صورة

لآلهة الجمال رسم صورة مومس فاجرة ، ولصورة فودو (٤) رسم خريج سجون خسيسا ، فكانت الموديلات التى يختارها مثيرة للاشمئزاز ، ولقد قال ببرود عندما أخذوه للعمل فيها : « سيكون من الغريب أن تعاقبنى الآلهة والبوذا وأنا الذى أمنحهم الحياة بفرشاتى » ٠

وكان الذين يتدربون على يديه يروعون عندما يفكرون فى المصير المرعب لما هو مدخر لهم فى مخزنه ، وكثيرون تركوا مرسمه ٠ انه الكبرياء ٠٠ كان يتخيل نفسه أعظم رجل فى اليابان كلها ٠

باختصار ، فبرغم كونه موهوبا بشكل استثنائى ، الا أنه يتصرف من برج عاجى ، وكثير من الفنانين الذين ليسوا على وفاق معه ، كانوا يؤكدون أنه دجال ، لأن رسمه وألوانه كانت غير مألوفة على الاطلاق ٠ انظر الى رسوم الباب لفنانى الماضى المشهورين ! تكاد تشم رائحة زهور الخوخ فى ضوء القمر ، تكاد تسمع صوت أحد رجال البلاط على « البارافان » وهو يعزف الفلوت ٠ وهكذا اكتسبوا شهرتهم بسبب الجمال الفائق ٠

أما صور يوشيهيدى فكانت مشهورة بأنها مشئومة وكئيبة دائما، فمثلا ، رسم « الأوجه الخمسة للحياة والموت » على بوابة معبد ريوجاى ، فكانوا يقولون بانك اذا مررت على البوابة فى الليل لأمكنك سماع تنهدات ونشيج الآلهة التى رسمها هناك ٠ وآخرون يقولون بأنك تستطيع أن تشم رائحة الجثث العفنة ٠ أو عندما رسم ، بأمر من سيادته صور بعض نساء أهل القصر ، ففى خلال ثلاث سنوات مرضت كل واحدة منهن ، وكأن روحها قد فارقتها ، ومتن جميعهن ٠ واعتبر هؤلاء الذين يتكلمون عن يوشيهيدى بالسوء هذه الواقعة دليلا أكيدا على أنه يستخدم السحر الأسود فى تنفيذ صوره ٠

ابتهج يوشيهيدى لشهرته بالانحراف والضلال ٠ وذات مرة عندما قال له سيادته هازلا :

ــ يبدو أنك تحب القبح !

فالتوت شفتا يوشيهيدى الحمراوان بشكل غير طبيعى فى ضحكة ذميمة وقال بازدراء :

ــ أجل ٠ فعادة لا يستطيع الرسامون فهم جمال الأشياء القبيحة !

---

(٤) فودو فى البوذية اليابانية هو اله الصلاح والاستقامة وقاهر الشياطين ٠

ولكن يوشيهيدى هذا الذى لا يوصف ، عديم الضمير ، كانت له خلة انسانية رقيقة ٠

[٥]

وكانت هذه الخلة هى عاطفته نحو طفلته الوحيدة ، التى أحبها حبا جما ٠ وكما قلت من قبل ، كانت يوزوكى رقيقة ومخلصة بعمق لأبيها ، وكان حبه لها لا يقل عن اخلاصها له ٠ أليس مما لا يصدق أن هذا الرجل الذى لم يقدم أى تبرع للمعبد يزود ابنته بمثل هذا الكيمونو ودبابيس الشعر هذه باستخفاف طائش بالتكلفة ؟

انما شعور يوشيهيدى نحو يوزوكى لم يكن أكثر من عاطفة ٠ فلم يقدح فكره مثلا فى اختيار زوج صالح لها ٠ ومع ذلك فقد يستأجر أجلافا لاغتيال أى شخص يقترب منها بسوء ٠ لذلك ، عندما أصبحت وصيفة فى هوريكاوا ، بأمر سيادته ، تقبل يوشيهيدى النبأ بشكل سىء جدا ، وحتى عندما امتثل أمام « الدايميو » (٥) عبس لبرهة ٠ وكان الظن الأكبر لمن لاحظ استياء يوشيهيدى تصديق اشاعة أن نيافة اللورد - منجذبا بجمالها - قد ذاق مباهجها ، نكاية فى أبيها ٠

وبالطبع ، حتى لو كانت الاشاعة كاذبة ، فكان من الواضح أن شدة عاطفته جعلت يوشيهيدى تواقا لأن تخسر ابنته مكانتها بين نساء سيادته ٠ وعندما أمر سيادته يوشيهيدى بأن يرسم مونجو اله الحكمة ، اتخذ غلام نيافته المفضل كموديل له ، فأثنى عليه لورد هوريكاوا كل الثناء ، لأنها كانت صورة جميلة ، وقال له بكرم :

- سأعطيك ما تتمناه كمكافأة ٠ فماذا تطلب ؟

فأبدى يوشيهيدى امتنانه ، ولكن ماذا تعتقد كان الطلب الجسور الذى طلبه ؟ أن تترك ابنته خدمة سيادته ! قد يكون من الوقاحة أن يطلب أحد السماح لابنته بالعمل داخل القصر ، ومن سوى يوشيهيدى يطلب اطلاق سراح ابنته ، مهما كان مدى حبه لها ! فحتى اللورد الكريم بدا متكدرا ، وراقب يوشيهيدى فى صمت لمدة طويلة ، ثم بصق ووقف فجأة قائلا :

- كلا !

وتكرر حدوث ذلك ٠ وأثناء استعادتى لهذه الذكريات الآن أجد أن نظرة سيادته ليوشيهيدى كانت تزداد برودة فى كل مرة ٠ ولعل

---

(٥) لقب يطلق على السيد الاقطاعى (هوريكاوا) ٠

يوزوكى أصبحت بسبب ذلك مهتمة بسلامة أبيها ، لأنها كانت كثيرا ما تجز على أكمامها ، وتنتحب عندما تكون فى عرفتها · وبدون شــك فهذا هو الذى جعل الاشاعات القائلة بأن سيادته قد وقع فى حب ابنة يوشيهيدى متداولة بين الناس · واحداها يقول أن وجود ستار الجحيم نفسه كان يعود الى حقيقة عدم اذعانها لرغباته ، ولكن هذا بالطبع لم يكن حقيقيا ·

فنحن نؤمن بأن سيادته لم يستغن عنها لأنه ببساطة يشــفق عليها · لقد شعر بالأسف لموقفها ، وبدلا من أن يتركها مع أبيها المتحجر أرادها فى القصر حيث لا يوجد أى أزعاج لها ·· ولم يكن هذا ســوى منة منه · وكان من الواضح أن الفتاة قبلت عطفه ، ومن المبالغة القول بأنها كانت خليلته · كلا ، فسيكون هذا افتراء تاما لا أساس لــه من الصحة ·

على أية حال ، فبسبب طلبه الخاص بابنته ، أصبح يوشيهيدى مكروها من قبل سيادته · وعندئذ أمر لورد هوريكاوا الفنان يوشيهيدى وألزمه برسم « بارافان » لدوائر الجحيم ·

[٦]

عندما أقول « بارافان » لدوائر الجحيم ، تبدو مناظر هذه الرسوم المخيفة تطفو أمام عينى · هناك رسامون آخرون رسموا صورا من الجحيم ولكن صور يوشيهيدى كانت مختلفة من أول « اسكتش » · ففى أحــد اركان اللوحة الأولى رسم الملوك العشرة (٦) وأسرهم بمقياس صغير ، والباقون كانوا عبارة عن دوامة مرعبة من النار حول غابة من السيوف التى تبدو مستعدة للانفجار لهبا · وفى الحقيقة ، فيما عــدا أرواب موظفى الجحيم ، التى كانت منقطة بالألوان الصفراء والزرقاء ، كان لون اللهب هو السائد ، وفى المركز ينبثق دخان فاحم السواد راقصــا ، وينطلق منه الشرر مثل الفحم المشتعل المتطاير ·

كانت لمسات الفرشاة لذلك فقط مدعاة للاندهاش ، ولكن معالجة المذنبين المتقلبين مرات ومرات فى نار الانتقام كانت لا تشبه أية صورة

---

(٦) حكام العالم السفلى فى الميثولوجيا اليابانية ·

عادية للجحيم · فمن أرفع نبيل الى أحط متسول · كل ما يمكن أن نتصوره من أشخاص كنت تراهم هناك · رجـــال بلاط فى الملابس الرسمية ، عذارى البلاط المغريات فى أرواب القصر ، قسس يدندنون فوق مسابح ابتهالاتهم ، علماء على منصات خشبية عاليـــة ، فتيات صغيرات فى قمصان بيضاء ، عرافون يلوحون بعصيهم الورقية ··· لن أذكرهم جميعهم · فجميعهم كانوا هناك ، مغلفين باللهب والدخان ، تعذبهم زبانية ذوو رؤوس ثيران وجياد : منتفخين مبعثرين فى شتى الاتجاهات مثل أوراق الشجر المتساقط فى عاصفة هوجاء ، وهم يفرون هنا وهناك · وكانت هناك العرافات بشعورهن المعلقة فى شوكات ، وأطرافهن موثوقة باحكام أكثر من أرجل العناكب · وأمراء صغار كانوا معلقين رأسا على عقب كالخفافيش ، صدورهم موخوزة بالرماح ، يضربون بسياط من حديد ، يسحقون بمثاقيل مهولة من الحجر الصلد ، ينقرهم طير مشئوم ، تفترسهم تنينات مسمومة · لا أدرى كـم مــن المذنبين مرسومين ولا أستطيع حصر كل أنواع وأشكال تعذيبهم ·

انما يجب أن أذكر منظرا مروعا كان يبرز من بين المناظر الأخرى ·· كانت ترعى قمم أشجار السيف الحادة كأنياب الحيوان ، أرواح متعددة تتكالب عليها ، باصقة اثنتين أو ثلاث مرات بعمق ·· وتهوى عبر الفضاء عربة تجرها ثيران تتطاير غمامات عيونها فتفتحها زعابيب الجحيم ، وفى داخلها محظية امبراطور فى أبهة فائقة الجمال ، وشعرهـا الأسود الطويل يصفق فى اللهب وتحنى رقبتها البيضاء وتتلوى فى كرب مبرح · لا شىء يجعل تعذيب جهنم المتقد أكثر واقعية مثل ظهور هذه المرأة فى عربتها المشتعلة · فرعب الصورة كلها كان مركزا فى هذا المنظر · كان انجازا ملهما لدرجة أن من ينظرون اليها يعتقدون سماع صراخات مرعبة فى آذانهم ·

آه ، ولهذه الصورة وقعت هذه الواقعة ! وبدونهـــا كيف حتى ايوشيهيدى أن يعبر بهذه الحيوية عن آلام جهنم المبرحة ؟ ولانجاز هذه الصور يلقى يوشيهيدى قدرا فى منتهى القسوة أودى بحياته · لأن هذا الجحيم الذى صوره كان الجحيم الذى سيسقط فيه أعقم رسام فى البلاد فى يوم ما ·· قد أكون متسرعا فى روايتى لهذه القصة الغريبة لصور من الجحيم ، أو لعلى قد سردت الطرف الخاطىء للقصة فى الأول · فلاعد الآن الى يوشيهيدى بعد أن أمره سيادة اللورد برسم صور للجحيم ·

لمدة خمسة أو ستة شهور كان يوشيهيدى مشغولا بالعمل فى هذه الصور حتى أنه لم يعد يراه أحد بالقصر على الاطلاق · أليس من الملفت للنظر أنه بكل عاطفته ، عندما انغمس فى رسمه ، لم يرغب حتى فى رؤية ابنته ؟ ··والمتدرب الذى اشرت اليه من قبل قال بأنه عندما ينشغل يوشيهيدى فى عمل ما ، فيكون كما لو أن ثعلبا (٧) قد سحره · وطبقا للقصص التى دارت فى ذاك الوقت فيوشيهيدى قد حقق شهرته بمساعدة السحر الأسود بسبب قسم كان قد أداه لأحد آلهة الحظ العظام · والدليل على ذلك ، انك اذا ذهبت الى مرسمه وأمعنت النظر فيه ، دون أن يدرى ، لأمكنك رؤية أطياف الثعالب تعج بالمكان من حوله وهكذا كان ، فعندما حدث وأمسك بفرشاته نسى كل شىء الى أن انتهى من الصورة · وكان يغلق على نفسه فى حجرة واحدة ليل نهار ، ولا يكاد يرى ضوء النهار · وعندما رسم صورا من الجحيم كان هذا الاستغراق كاملا ·

كان يحتفظ بمصراع النوافذ منسدلا أثناء النهار ، ويخلط ألوانه السرية على ضوء مصباح معلق على حامل ثلاثى القوائم · وجعل تلاميذه يرتدون ملابس فيها كل أنواع البهرجة رسمها وأعدها لهم بعناية فائقة · لم يكن عمله فى « بارافان » الجحيم سببا فى تصرفه هكذا ، بل كان يطلب ذلك فى كل صورة يرسمها · وفى الوقت الذى كان يرسم فيه « الوجوه الخمسة للحياة والموت » فى ريوجايجى ، تصادف ورأى جثة ملقاة بجانب الطريق · ورأى شخص عادى قد يشيح بوجهه ، أما يوشيهيدى فقد خطا من بين زمرة الناس ، وربض جالسا ، ورسم على راحته الوجه والأطراف شبه المتعفنة بالضبط كما كانت عليه ·

كيف لى أن أنقل لكم تركيزه العنيف ؟ بعض منكم سيظل يفشل فى ادراكها · وطالما لا أستطيع أن أرويها بالتفصيل ، فسوف أقولها بشكل اجمالى ·

كان التلميذ ، عندئذ ، يخلط الألوان ، فظهر يوشيهيدى فجأة وقال :

---

(٧) من المعتقد فى الفولكلور اليابانى أن الثعلب يقدر على سحر الناس واتخاذ الشكل البشرى ·

ـ أحب أن آخذ لى سنة من النوم ، ولكن أحلاما مزعجـــة كثيرة أخذت تزعجنى فى الآونة الأخيرة ٠

ولما كان هذا ليس بالشىء الشاذ ، **فأجاب التلميذ باقتضاب ولكن بأدب :**

ـ سمعا وطاعة يا سيدى !

قال هذا دون أن يرفع يده عن شغله ٠ **بينما قال الفنان فى وحشة واهتمام غريبين عليه :**

ـ أقصد أننى أودك أن تجلس بجانب وسادتى أثناء غفوتى ٠

فكر التلميذ وقال فى نفسه بأنه من غير الطبيعى أن ينزعج بالأحلام لهذه الدرجة من السوء ، ولكن الطلب كان بسيطا ، فوافق باذعان ٠ ولما كان يوشيهيدى مازال قلقا فقد طلب منه أن يأتى اليه فى الحال . **وقال له مترددا :**

ـ واذا جاء تلميذ آخر فلا تدعه يدخل الحجرة أثناء نومى ٠

وكان يقصد بالحجرة ، الحجرة التى يرسم فيها « البارافان » ٠ كانت الأبواب فى هذه الحجرة محكمة الاغلاق وكأنه ليل ، وعادة ما كان يترك ضـــوءا مشتعلا ٠ ويقف البارافان حول جوانب الحجرة ، وكانت الخطوط الأولية للتصميم بالفحم كاملة ٠ ووضع يوشيهيدى بمرفقـه على الوسادة مثل رجل مرهق تماما ، وسقط فى النوم بهدوء ٠ ولكن قبل مرور ساعة بدأ صوت بغيض بشكل لا يمكن وصفه يصـــل لآذان التلميذ ٠

[٨]

فى البداية لم يكن أكثر من صوت ، أما الآن فيسمع كلمات واضحة لرجل يئن أنينا وهو يغرق فى الماء ٠

ماذا ٠٠ أتنادينى ؟ أين ؟ الى أين ٠٠ الى الجحيم ؟ الى جحيم النار من هذا ؟ من فضيلتكم ؟ لو أعرف من ٠٠٠

وتوقف التلميذ بلا وعى عن خلط الألوان ، شاعرا بأنه قد أصبح متطفلا على أسرار خصوصية ، وتطلع الى وجه الفنان ٠ كان هذا الوجـه

متجعدا شاحبا ، تتناثر عليه قطرات كبيرة من العرق · وكانت الشفتان جافتين ، والفم بأسنانه القليلة كان فاغرا فى اتساع وكأنه يتلهف على نسمة هواء ·· وهذا الشىء المترجرج وكأنه معلق فى خيـــط كان لسانه !

ـ لو كنت أعرف من ··· أوه ، انه فضيلتكم ، أليس كذلك ؟ ماذا ! جئت للقائى · لهذا على أن آتى · أن أذهب الى الجحيم ! ابنتى تنتظرنى فى الجحيم !

فى هذه اللحظة هبط ظل غريب سديمى أو بدا كذلك على وجه انبارافان ، فأحس التلميذ بخرق للطبيعة · فهز فى الحال سيده بكل قوته ، ولكن يوشيهيدى كان لم يزل فى قبضة الكابوس ، مستمرا فى مناجاته ·· ومن الواضح أنه قد أصبح غير قادر على الاستيقاظ من نومه ·· وعلى ذلك أخذ التلميذ بجسارة ، الماء المخصص لفرشـــات الألوان وسكبه فوق وجه يوشيهيدى · فصاح قائلا :

ـ انها تنتظر : ادخلى هذه العربة · ادخلى هذه العربة وانزلى الى الجحيم ·

(وتغير صـوته وهو يقول هذه الكلمات ، كان لصوت رجل يختنق وفى النهاية فتح عينيه · وقفز فزعا كمن وخزته ابر · لابد أن أمور القدر المشئوم لهذا الحلم مازالت معه · كانت تجربته مرعبة ، ففغر فاه وأخذ يحملق فى الفضـاء · وبدا عنـــدئذ وكأنه اسـتعاد نفسـه) ، وقال باقتضاب :

ـ اننى بخير الآن · يمكنك أن تغادر الحجرة ·· !

ولما كان التلميذ سيوبخ توبيخا عنيفا اذا لم يطع ، لذا غادر الحجرة فورا · ولما شاهد ضوء النهار الجميل ، تنهد الصعداء كما لو كان قد استيقظ من حلم مزعج ·

لم يكن هذا أسوأ شىء · فبعد شهر طلب من تلميذ آخر ان يدخل عليه فى الحجرة الخلفية · كان يوشيهيدى يقرض فرشاته كالمعتـــاد فى الضوء المعتم لمصباح الزيت · وفجأة التفت الى التلميذ وقال :

ـ اريدك أن تتعرى مرة أخرى ·

ولما كان قد طلب منه فعل ذلك عدة مرات من قبل ، فأطاع التلميذ فى الحال · ولكن عندما شاهده هذا الرجل ، الذى لا يصح ذكره ، عاريا تماما أمامه أصبح وجهه مشوها بشكل غريب وقال ببرود ونفور :

ـ أريد أن أرى رجلا مغلولا بالسلاسل · أريدك أن تفعل مـــا أطلبه منك لفترة وجيزة ·

وكان التلميذ المتدرب شخصا جادا لا يعرف الهزل ، وكان من رأيه سابقا أن الامساك بالسيف أفضل بكثير من الامساك بفرشـــاة الألوان ، ولذلك أدهشه هذا الطلب · **وكما قال بعد ذلك :**

ـ بدأت أتساءل ترى هل أصيب استاذى فى عقله وســـــيقوم بقتلى ·

ومع ذلك ، جلب يوشيهيدى ، الذى زاد نفاد صبره مع تردد الآخر سلسلة حديدية خفيفة تصلصل فى يده ، وبدون اعطائه فرصة الطاعة أو الرفض قفز على المتدرب وجلس على ظهره ، ولوى ذراعيه وربطها من حوله عدة مرات · وكان الألم يكاد لا يحتمل ، لأنه شد نهاية السلسلة بوحشية ، ولذلك سقط التلميذ بصوت عال متدحرجا على الأرض ثـم رقد متمددا ··

[٩]

وقال أنه رقد هناك مثل جرة النبيذ المتدحرجة على جانبها · ولأن يديه وقدميه محنية وملوية بقسوة فلم يكن يستطيع أن يحرك سوى رأسه · كان سمينا ، ومع اعاقة دورته الدموية تجمع الدم ليس فى وجهه فقط بل فى كل مكان تحت جلده · ومع ذلك ، لم يزعج هـــذا يوشيهيدى على الاطـلاق ، وســار حول « جرة النبيـــذ » ·· وأخـذ يرسم « اسكتش » وراء « اسكتش » ·· ولست فى حاجة لأن أتوسع فى وصف معاناة التلميذ ·

ولو لم يحدث شيء ، لتأخر التعذيب وطال · ولكن لحسن الحظ·· أو ربما لسوء الحظ ·· جاء شيء مثل الزيت الأسود كالخط الرفيع ·· جاء متدفقا بشكل متعرج من خلف جرة فى ركن الحجرة · تحـــــرك فى البداية مثل المادة اللزجة ، ولكنها بعد ذلك انزلجت بنعومة أكثر حتى تحركت وهى تومض الى أن وصلت أنفه · فسحب نفسه وحبسه كرها ، **ثم صرخ :**

ـ ثعبان ! ثعبان !

وبدا أن كل الدم فى جسده سيتجمد فى الحال ، ولم يكن هـذا مستغربا · فبعد قليل سيلمس الثعبان رأسه بالفعل بلسانه البارد ،

رأسه الذى كانت تعضه السلاسل · حتى يوشيهيدى المجرد من المبادىء الخلقية لا بد وأن روعه ذلك · فالقى بفرشاته وانحنى مثل ومضة النور · وأمسك الثعبان من ذيله برشاقة ، ورفعه الى أعلى · ورأسه الى أسفل · فرفع الثعبان رأسه ، ولف نفسه فى دوائر ، ولوى جسده ، ولكنـــه لم يستطع الوصول ليد يوشيهيدى ·

وألقى يوشيهيدى التعبان فى الجرة التى فى ركن الحجرة وفك السلسلة التى تربط التلميذ على مضض ، وقال متشاكيا بشكل هجومى:

ـ لقد جعلتنى أضرب فرشاتى بطريقة خرقاء ·

وكل ما فعله هو أن حل وثاقه ، ولم يحصل المسكين الذى عانى طويلا على كلمة شكر · ومن الواضح أن يوشيهيدى قد اغتاظ لزلة فرشاته عن أن يدع الثعبان يعض تلميذه · وفيما بعد سمعوا أنه احتفظ بالثعبان هناك كموديل ·

قد تعطيكم هذه القصة فكرة عن جنون يوشيهيدى وعن انهماكه المشئوم · ومع ذلك أحب أن أصف تجربة أخرى فظيعة كادت أن تودى بحياة تلميذ صغير السن · كان فى الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة فى ذلك الوقت ·· غلام كالبنت أشقر الملامح · ناداه استاذه فجأة فى احدى الليالى من حجرته · وعلى ضوء المصباح رأى يوشـــيهيدى يطعم طائرا عجيبا ، فى حجم قط عادى ، قطعة لحم يغمرها الدم كان ممسكا بها فى يده · وكان للطائر عينان واسعتان مستديرتان فى لون الكهـــرمان ، وأذنان مثل الريش بارزتان من كل جانب لوجهه · كان يشبه القـــط بشكل غير طبيعى ·

[١٠]

كان يوشيهيد يكره دائما أى شخص يتدخل فيما يفعله · فكمـا كان الحال مع الثعبان ، فتلاميذه كانوا لا يعرفون مطلقا مـــا لديه فى حجرته · ولذلك فأحيانا كان يضع على منضدته طاسات فضية وأحيانا جمجمة أو قوائم مصقولة ذات جزع واحد ·· أشياء غريبة متعددة ، كموديلات لما يقـوم برسـمه ·· ولـكن لا أحـد كان يعرف أين يحتفظ بهذه الأشياء · بالتأكيد أن الاشاعة التى تقول ان اله الحظ العظيم كـان يمده بمساعدة سماوية قد ظهرت لهذه الأسباب ·

وعندما رأى التلميذ هذا الطائر الغريب على المنضدة ، وتخيل أنه من الأشـــياء التى يحتاجها الفنـــان من أجـــل « بارافان » الجحيم ، فانحنى وقال باحترام :

ـ ماذا تريد يا سيدى ؟

فلعق يوشيهيدى شفتيه الحمراوين ، وكأنه لم يسـمعه ، وهز ذقنه فى اتجاه الطائر ، فقال التلميذ :

ـ أليس هذا أليفا !

وشعر أثناء قوله ذلك بشعور غريب نحو هذا الطائر شبيه القط ذى الأذنين ·

وأجاب يوشيهيدى بسخرية :

ـ ماذا ! ألم تر طائرا مثل هذا ؟ هذه هى مشكلة من يعيش فى العاصمة · انها بومة ذات قرون · لقد أعطاها لى صياد منذ يومين أو ثلاثة · ولكنى لا أعتقد بوجود بومة أخرى مستأنسة مثل هذه !

وعندما قال ذلك رفع يده ببطء وضرب ظهر البومة التى انتهت لتوها من أكل اللحم بالطريقة الخاطئة · فأصدرت صرخة وحشية عالية، وطارت من المنضدة وأبرزت مخالبها وانقضت على وجه التلميـذ الذى أصيب بالهوس ورفع كمه ليقى وجهه · ولو لم يفعل ذلك لتمزق وجهه بشكل سىء ·

وأثناء صراخه أشاح بكمه ليطرد البومة بعيدا ، ولكنها صرخت واستغلت ضعفه وهجمت مرة ثانية فركض الغلام فى الحجرة الضيقة جيئة وذهابا محاولا الهرب ، وناسيا حضور الأستاذ ووقف مذهـــولا محاولا أن يصدها عنه ، ثم قبع جالسا ·· ليطردها بعيدا · فحـامت البومة النحس ودارت عاليا وفى ارتفـــاع منخفض وراء فريستها ، واثبة على عينيه متنبهة لأى فتحة ·

ويبدو أن الخفقات الصافقة لجناحيها كانت تستحضر شيئا خارقا للطبيعة له رائحة تشبه أوراق الشجر الميتة ، أو رزاز مساقط الماء · كانت شنيعة ومقززة للنفس · وكان لدى التلميذ احساس بأن مصباح الزيت المعتم هو ضوء القمر الغامض ، وأن الحجرة أصبحت مثل واد مغلق ، وأن الهواء نذير شؤم يهب بعنف على أحد الجبال البعيدة ·

ولم يكن فزع التلميذ راجعا لهجوم البومة ذات القرنين • فالذى جعل شعره يقف كالقنفد هو منظر الفنان يوشيهيدى • لقد وقف الأخير يراقب الصياح ببرود ، وفرد ورقة ببطء ، وبدا يرسم الصورة الرائعة للولد شبيه البنت ، والطائر المرعب يشوهه • وعندما شاهد التلميذ ذلك بطرف عينه ، انتابه فزع خال من المعنى ، لأنه فكر فى أنه سيقتل حقا من أجل الفنان •

(١١)

لا يمكنكم القول ان هذا يستحيل تصديقه • لقد نادى يوشيهيدى على التلميذ المتدرب متعمدا فى تلك الليلة لكى يطلق البومة وراءه ويرسمه وهو يحاول الهرب • لذلك عندما رأى التلميذ ما يرمى اليه الأستاذ خبأ رأسه فى أكمامه لا اراديا ، وبدأ يصرخ لا يدرى بماذا ، وخر جاثما على الأرض فى طرف الحجرة بجانب الباب الانزلاقى • وصاح يوشيهيدى عندئذ وكأنه مخبول بعض الشىء ووقف على قدميه ، وفى الحال ارتفع صوت ضربات جناحى البومة ، ثم جاءت الجلبة المروعة لأشياء تتفكك أو تنهار على الأرض ، فرفع التلميذ رأسه لا اراديا ليرى . برغم انه كان يرتعش بشكل خطير ، أن الحجرة أصبحت حالكة الظلمة ، وخرج منها صوت يوشيهيدى مناديا بخشونة على تلاميذه •

فرد واحد منهم من بعيد ، ثم جاء راكضا بعد دقيقة ومعه مصباح • فرأى على نوره الخابى المصباح الثلاثى القوائم مقلوبا ، والبومة ترفرف فى ألم باحدى جناحيها على الحصير الذى كان يسبح فى الزيت • وكان يوشيهيدى فى وضع شبه جالس خلف المنضدة ، وكان يبدو مذعورا متمتما بكلمات لا يمكن فهمها من قبل بشر • هذه ليست مبالغة • وكان هناك ثعبان أسود التف بجسمه بسرعة حول البومة محيطا برقبتها وبأحد جناحيها • فمن الواضح أن التلميذ عندما سقط على الأرض قلب الجرة ، فزحف الثعبان خارجها وقامت البومة بمحاولة ضعيفة للانقضاض عليه • وكان هذا هو الذى تسبب فى القعقعة والاضطراب • وتبادل التلميذان النظرات ووقفا ببساطة مصعوقين يرقبان هذا المنظر المشهود • ثم انحنيا ليوشيهيدى بدون كلام ، وانسحبا • ولم يكتشف أحد ما حدث للبومة ولا للثعبان •

وهذه الحادثة مماثلة لأحداث أخرى كثيرة • نسيت أن أقول أن يوشيهيدى تلقى الأوامر لرسم البارافان فى بداية الخريف • ومنذ

ذلك الوقت حتى نهاية الشتاء وتلاميذه كانوا فى حالة رعب دائم بسبب سلوكه الغريب · ولكن قرب نهاية الشتاء كان يبدو أن شـــيئا مـا بخصوص الصور كان يزعج يوشيهيدى ، حتى أنه أصبح مفهوما أكثر من المعتاد ، ويتكلم بجفاء أزيد · ولم يتقدم اسكتش « البارافان » الذى تم ثمانية أعشاره · وفى الحقيقة كانت لا تبدو هناك أية فرصة فى أن ينتهى من تلوين الخطوط الأولية ·

لا أحد يدرى ما الذى يعوق العمل فى « البارافان » · ولا أحد حاول اكتشاف ذلك · وهكذا كان التلاميذ مفتونين بكل شىء يحدث · لقد شعروا بأنهم محبوسين فى قفص واحد مع ذئب أو نمر ، ولكن منذ ذلك الوقت وهم يحتالون للابتعاد عن أستاذهم بقدر الامكان ·

(١٢)

وبالتالى ، فليس هناك الكثير الذى يستحق أن يروى عن هـذه الفترة · واذا كان لابد من قول شىء ، فسيكون عن هذا العجوز العنيد الذى كان ، ولأســباب غريبة ، ينفعل باكيا بسهولة ·· ويقولون ، أنهم كثيرا ما كانوا يجدونه والدموع فى عينيه ، عندما كان يعتقد بعدم وجود أحد بالقرب منه · وفى يوم ما ــ مثلا ــ ذهب أحد التلاميذ الى الحديقة لشأن ما · وكان يوشيهيدى واقفا فى الممر غائبا عن الوعى · محملقا فى السماء الواعدة بالربيع ، وعيناه تفيضان بالدموع ، فأحس التلميذ بالحرج وانسحب خلسة دون أن ينبس ببنت شفة · أليس هذا منظرا مشهودا للرجل المتعجرف الذى استخدم جثة متعفنة كموديل لصورة « الأوجه الخمسة للحياة والموت » أن يبكى هكذا كالطفل ؟

وبينما كان يوشيهيدى يرسم « البارافان » فى نوبة جنون لا يسبر غورها عاقل ، وبدا من الملاحظ على ابنتـــه أنها كانت قانطة ، وغالبـا ما تظهر وهى تغالب الدموع · وعندما يحدث هذا لفتاة شاحبة الوجه تصبح أهدابها ثقيلة ، وتظهـــر الظلال حول عينيها ويزداد وجهها حزنا · فى البداية قالوا أنهـــا تقاسى من قصة حب ، أو كانت تلوم أباها ، ثم شاع بعد ذلك أن اللورد هوريكاوا كان يريد أن يغويهـا ويفوز بها · ثم توقف كل الكلام عن الفتاة بشكل فجائى وكأن الكل قد نسيها ·

وحول ذلك الحين وفي وقت متأخر في احـــدى الليالى ، تصادف مروري بأحد الممرات ، عندما خرج القرد يوشيهيدى الى فجأة ٠ وبدأ يسحب أهداب ثوبى باصرار ٠ وحسب ما أذكر كانت الليلــة دافئة ، وكان القمر الشاحب مشرقا ، وزهور الخوخ تفوح بعبيرها ٠٠ وعــرى القرد عن أسنانه البيضاء ، وجعد من طرف أنفه ، وزعق بوحشـــية في ضوء القمر وكأنه معتوه ٠ فتكدرت وغضبت خوفا على ثوبى الجديد ، فرفست الهواء وكأنى أرفس القرد ، وكدت أمشى عندما تذكرت بأن اللورد الشاب قد استاء من الساموراى الذى ضرب القرد ٠ بالاضافة الى أن تصرفه بدا غير عادى ، لذلك مشيت أخيرا بضع خطوات فى الاتجاه الذى كان يشدنى اليه ٠

والتف الممر هناك مبديا ميــاه البركة بيضاء شاحبة فى ضــوء الليل ، خلف شجرة الصنوبر بفروعها المنحنية فى رقة ٠ وفى ذلك المكان سقط فى أذنى صوت أناس يتشاجرون من حجرة مجاورة ٠ وكان كل شىء من حولى ، ما عدا ذلك ، يغوص فى سكون تام ٠ ولم أستمع الى أصوات أخرى فى الضوء الخافت الذى لا هو ضبابى ولا هو ضــوء قمر ٠ ولم يكن هناك الا صوت الأسماك الواثبة فى البركة ٠ ومع هذا الضجيج الذى صم أذنى توقفت بشكل غريزى ٠ وكان أول ما فكــرت فيه أنهم بعض الأشــــخاص الشرسين ، فاقتربت من الباب الانزلاقى بهدوء ، ممسكة أنفاسى ، ومستعدة لاظهار شجاعتى ٠

(١٣)

ويبدو أن القرد قد فكر بأننى شديدة التردد ٠ فركض من حولى مرتين أو ثلاث وأخذ يصرخ وكأن هناك من يخنقه ، ثم وثب من الأرض الى كتفى مباشرة فتراجعت برأسى للخلف حتى لا تصـــيبنى مخالبه ، ولكنه تعلق بكمى ليتجنب الســـقوط على الأرض ، فترنحت للخلف خطوتين أو ثلاث ثم اصطدمت بالباب الانزلاقى بشدة ٠ وبعد ذلــك لم يعد هناك سبب للتردد ٠ ففتحت الباب فى الحال وكنت على وشــك التقدم داخل الحجرة فى الجزء الذى لا يقع تحت ضــوء القمر ، ولئن مر فى لحظتها شىء أمام عينى ٠٠ ما هذا ؟ ٠٠ فتاة جاءت تركض من طرف الحجرة وكأنها تنفلت من زنبرك ، فكادت أن تصطدم بى وتقع خارج الحجرة حيث ركعت لاهثة ، رافعة بصرها الى وجهى وهى ترتجف وكأنها لا تزال ترى شيئا مرعبا ٠

هل أحتاج لان أقول بأنها كانت يوزوكي ؟ بدت في تلك الليلة مفعمة بالحيـوية . وظهرت وكأنها شـخص مختلف · عيناها الكبيرتان تلمعان وخداها يضطرمان احمرارا ·· والكيمونـو والجـونلة مختلتـا الترتيب وتعطيانها سـحرا لا تمتلكه عادة · هل هذه هي حقا ابنـة يوشيهيدى المنطوية ؟ ·· واستندت على الباب الانزلاقي وأخذت أحدق في قوامها الجميل في ضوء القمر · ثم ، استدللت على اتجاه الخطوات الواجفة وهي تخفت مبتعدة · فتساءلت بعيني :

ـ ما هذا ؟

ولكنها عضت فقط على شفتيها . وهزت رأسها ولم تقل شيئا · كانت تحس بخزي غير عادى · ثم انحنيت فوقها ووضعت فمي في أذنها، وسألت في همس :

ـ من يكون ؟

ولكن الفتاة لا زالت تهز رأسها ، والدمـوع تفيض من عينيهـا وتتعلق بأهدابها الطويلة ، وعضت على شفتيها أشد من قبل · لقد كنت دائما انسانة غبية واذا لم يكن الشيء واضحا تماما ، فلا أستطيع فهمه · ولم أدر ما أقول ،ووقفت بلا حراك لبرهة وكأنني أنصت لضربات قلبها · ولكن كان ذلك لأنني شعرت بألا يجب أن أسألها وأضـيق عليها بالسؤال ·

لا أدرى كم دام ذلك · وفي النهاية أغلقت الباب الذى كنت قد تركته مفتوحا ، وعدت أنظر للفتاة ، التي يبدو أنها استعادت هدوءها ، وقلت بكل رقة ممكنة :

ـ من الأفضل أن تعودى الى حجرتك ·

ثم أزعجني احساس غير مريح بأني قد رأيت شيئا كان لا يجب أن أراه ، وعدت بهدوء الى حيثما أتيت · ولكن قبل أن أخطو عشر خطوات ، تعلق شيء ثانية بطرف جونلتي بشكل مهذب هذه المرة · فاندهشت وتوقفت ، والتفت حولي · ماذا تفكرون كان ذلك ؟ انه القرد يوشيهيدى ، وجرسـه الذهبي يجلجل ، ويداه مضمومتان كالانسان وينحني لي بكل أدب مرة تلو مرة ·

وبعد حوالى أسبوعين جاء يوشيهيدى الى القصر وطلب مقابلة لورد هوريكاوا فى الحال · وكان يعتبر من الطبقات الدنيا ولكنه كان ذا منزلة خاصة ، وسيادة اللورد الذى عادة يصعب الوصول اليه منح ليوشيهيدى حق الامتثال فى الحال · وسجد الأخير أمام السيد الاقطاعى باحترام وحذر ، وبدأ يتكلم بصوته الأجش :

ـ منذ زمن مضى يا سـيدى طلبت « بارافان » الجحيم · فعملت ليل نهار ، وتحملت آلاما كثيرة ، والآن يمكن رؤية النتيجة : فالتصميم أوشك على الانتهاء ·

ـ تهانينا · اننى راض ومسرور ·

ولم يكن فى نبرة صوت سيادته اقتناع ، ولا حمية ·

فأجاب يوشيهيدى وعيناه منخفضتان بحزم ، وكأنه يبدو غاضبا :

ـ كلا ، فالتهانى لم يأت أوانها بعد · انها انتهت تقريبا ، انما هناك جزء واحد فقط لا أستطيع أن أرسمه ·· حاليا !

ـ ماذا ! لا تستطيع أن ترسم جزءا منها ·· ؟!

ـ كلا يا سيدى ، لا أستطيع أن أرسم أى شىء ليس له موديل · حتى لو حاولت ، فالصورة سينقصها الاقناع · أليس هذا كأننى لا أستطيع رسمه ؟

عندما سمع اللورد هذا مرت ابتسامة مزمجرة على وجهه ·

ـ اذن لكى ترسم « بارافان » الجحيم يجب أن ترى الجحيم . هيه ؟ ·

ـ أجل يا سيدى ، منذ سنوات شاهدت فى حريق كبير لهبا عن قرب يشبه النيران العارمة للجحيم · واللهب الذى فى رسمى هو الذى رأيته عندئذ · ونيافتك على معرفة بهذه الصورة على ما أعتقد ،

فقال اللورد وكأنه لم يسمع يوشيهيدى وتبعت كلماته كلمات الفنان دون توقف ·

ـ ماذا عن المجرمين ؟ انك لم تر مسجونين ، أليس كذلك ؟

ـ لقد رأيت رجالا مربوطين بسلاسل من حديد · ونسخت تفاصيل لرجال تهجم عليهم طيور عجيبة · وهكذا لا أستطيع القول بأنني لم أشاهد معاناة المجرمين تحت وطأة التعذيب ·

أما بخصوص المساجين ···

وابتسم يوشيهيدى ابتسامة منفرة ، ثم أضاف قائلا :

ـ لقد رأيتهم أمامى مرات كثيرة فى أحلامى · رؤوس جياد ، عفاريت بثلاثة وجوه وست أذرع ، مصفقين بأياد لا تحدث صوتا ، وأفواه فاغرة لا صوت لها · وتأتى كلها لتعذيبى · اننى لا أبالغ عندما أقول أننى أراها كل يوم وكل ليلة ·· ما أرغب وأود أن ارسمه ولا استطيع ، ليس أشياء كهذه !

لقد دهش سيادة اللورد تماما · ولبرهة طويلة حملق فى يوشيهيدى بانفعال ، قوس حاجباه بحدة واستفسر قائلا :

ـ ما هو الذى لا تستطيع أن ترسمه ؟

فقال يوشيهيدى ، ولأول مرة يتطلع بتمعن فى وجه سيادته :

ـ فى منتصف « البارافان » أريد أن أرسم عربة هاوية عبر السماء !

وعندما كان يوشيهيدى يتكلم عن الصور ،سمعت أنه يبدو كالمجنون وبالتأكيد بدا مجنونا وهو يقول هذا :

ـ وفى العربة سيدة قصور فاتنة ، شعرها مضطرب فى النار المتأججة ، يتلوى لوعة فى نوبة النشيج والبكاء · وجهها يلفه الدخان ، حاجباها مسحوبان ، انها تتطلع الى سقف العربة · وأثناء تشبثها بالستائر وحجب البامبو ، تحاول أن تتقى الشرر المنهمر رذاذا عليها ·· وطيور جارحة غريبة ، عشرة أو عشرين ، تطير حول العربة فى صراخ يوقف القلوب · آه · هذا الجمال فى العربة · ربما لا أستطيع رسمها ·

ـ حسنا ، وماذا أيضا ·

ولغرض ما وجد سيادته متعة غريبة فى حث يوشيهيدى على الاستمرار · وتحركت شفتا الفنان الحمراوان المحمومتان ، وعندما تكلم كان كرجل غارق فى حلم · وأجاب :

ـ كلا ، لا أستطيع رسمها !

ثم قال فجأة مزمجرا :

ـ فلتحرق عربة لى ـ آه لو أمكنك ٠٠ !

اظلم وجه سيادته ، ثم انفجر ضاحكا ٠ **وقال وهو يختنق مـن عنف ضحكه :**

ـ سأفعل ما ترغب تماما ٠ ولنترك امكانية تنفيذ ذلك جانبا ٠

وعندما سمعت هذا شعرت باثارة غريبة من الفزع ٠ ربما كان هاجسا خفيا ٠٠ وتغير سـيادته ، وكأنه أصيب بعـدوى من جنـون يوشيهيدى ، وتجمع زبد أبيض على شفتيه ، وومض الرعب كالبرق فى طرفى عينيه ٠ وتوقف بغتة ثم انفجرت ضحكة عظيمة من حنجرته ٠

ـ سوف أحرق عربة لك ٠ وسـيكون بها جمال فتان فى ثيـاب سيدة جميلة ٠ وستموت المرأة فى نوبة صراع وهى تقـاوم اللهب والدخان الأسود ٠ ان الرجل الذى فكر فى رسم ذلك لابد وأن يكون أعظم فنان فى اليابان ٠ سوف أثنى عليه ٠ أجل سوف أثنى عليه !

وعندما سمع يوشيهيدى كلام سيادة اللورد ، أصـبح شاحبـا وحرك شفتيه وكأنه يلهث ٠ ولكن جسده تراخى فى الحال ، ووضـع كلتا يديه على الحصير وانحنى بأدب ، **وقال بصـوت خفيض يكاد لا يسمع :**

ـ يا له من قدر رحيم !

ربما كان هذا لأن كلمات « الدايميو » قد جلبت ، رعب خطته مفعما بالحيوية ، أمام عينيه ٠

وكان هذا هو الوقت الوحيد الذى أشفقت فيه على يوشيهيدى ٠٠

[١٦]

وبعد هذا بيومين أو ثلاثة أحاط سيادة اللورد يوشيهيدى بأنه جاهز لتنفيذ وعده ٠ بالطبع لم تكن العربة سـتحرق فى هوريكاوا ، انما فى المنزل الريفى خارج العاصمة ، الذى يسميه عامة الناس يوكيجى وبالرغم من أنه كان مقر اقامة أخت اللورد الصغيرة سابقا ، فلم يكن

يقطنه أحد لسنين عديدة • كانت به حديقة واسعة تركت حتى توحشت وأرجع الناس اهمالها لأسباب كثيرة : فمثلا ، قالوا انه فى الليالى غير القمرية لا تزال أخت الاقطاعى الميتة تسير وهى مرتدية جونلة قرمزية غريبة ، بين الممرات ودون أن تلمس الأرض •• كان القصر مهجورا مكفهرا تماما أثناء النهار ، ولكن فى الليل كان مخيفا تماما وتسمع فيه أصوات طرطشة الغدير المخفى ، وطيور مالك الحزين الليلية مهـــولة الأشكال وهى تطير فى ضوء النجوم •

كانت تلك الليلة عديمة القمر وسوداء كالقار • وسطع ضــــوء مصابيح الزيت على سيادة اللورد ، المتدثر بأثواب صفراء باهتة وازار أرجوانى غامق مطرز برسوم عرف الديك • كان جالسا فى الشرفة على وسادة من القش المجدول ، وذات أهداب حريرية بيضاء مطرزة • ولا حاجة لى أن أضيف بأنه قبل كل شىء ، كان يقف على يساره وعلى يمينه خمسة أو ستة من الخدم باحترام • واختيار واحد منهم كان له مغزاه ••• كان ساموراى قويا ممن أكلوا اللحم البشرى ليسدوا به جوعهم فى معركة ميتشينوكو ، ويقولون انه منذ ذلك الحين وهو يستطيع أن يفصل قرنى غزال حى ، ويبرز سيفه الطويل من خلفه مثل ذيل طائر النورس ، كان يقف بشكل منفر تحت الشرفة • وضوء المصابيح المتقطع يومض ثم يخبو فينعكس على المنظر • وهكذا كان الرعب مخيفا علينا حتى أننا كدنا لا ندرى ان كنا فى حلم أم حقيقة •

لقد جروا العربة داخل الحديقة • انها تقف هناك وسقفها الثقيل يرهق الظلمة •• لم يكن هناك ثور موثوق بها ، ويرتاح طرف لسانها الأسود على حامل صغير • وعندما رأينا أجزاءها المعدنية المذهبة تتلألأ كالنجوم شعرنا بلسعة برد ، رغم أنها ليلة ربيع • كانت العربة مغلقة وتنسدل عليها ستائر زرقاء كثيفة موشاة الأطراف حتى أننا لم نكن نقدر أن نعرف ما بداخلها • ووقف حولها خدم بالمشاعل فى أيديهم ، يجركون باستمرار الدخان المنحرف فى اتجاه الشرفة وينتظرون بشكل له مغزاه •

ركع يوشيهيدى مواجها للشرفة بمسافة قليلة . كان يبدو ضئيلا وزريا أكثر من المعتاد ، يبدو أن السماء ذات النجوم تثقل عليه • وكان الرجل الجاثم خلفه أحد تلاميذه بلاشك • وكان الاثنان على مسافة منى وأسفل الشرفة ، لذلك لم أستطع التأكد من لون ملابسهما •

لابد أن منتصف الليل كان قد اقترب وبدت الظلمة التى كانت تغلف الغدير تراقب تنفسنا بالذات · ولم يكن هناك الا الحركة الخافتة لريح الليل التى كانت تحمل الينا الرائحة السخامية لمشاعل الصنوبر · ولبرهة من الوقت راقب فيها سيادة اللورد المنظر فى سكون ، وتحرك للأمام قليلا ونادى بحدة :

– يوشيهيدى !

– لابد أن الأخير قد أجاب بطريقة ما ، رغم أن ما سمعت كان صوتا يشبه الأنين ·

– يوشيهيدى ، الليلة طبقا لطلبك ، سوف أحرق لك هـذه العربة !

وألقى سيادة اللورد نظرة خاطفة لمن بجانبه ويبدو أنه قد تبادل ابتسامة ذات مغزى مع واحد أو اثنين ، أو ربما تخيلت ذلك ·· ورفع يوشيهيدى رأسه فى خوف وتتطلع ببصره الى الشرفة ، ولكنه لم يقـل شيئا ولم يتحرك من حيث ربض ·

– أنظر · تلك هى العربة التى كنت استخدمها دائما · أنت تعرفها ، أليس كذلك ؟ ·· سوف أحرقها وأريـك الجحيم المضـطرم نفسه ·

وسكت سيادته ثانية لفترة ، ثم غمز لخدمه · وفجأة أصـبحت نبرته ممجوجة :

– فى تلك العربة ، بأمرى ، امرأة داعرة · لذلك عندما تشتعل سيشوى لحمها ، وستحترق عظامها ، وستموت فى نوبة آلام قصوى · ولن تجد ثانية مثل هذا الموديل لاكمال صورك ، ولا تجفل عن النظر الى البشرة البيضاء كالثلج وهى تتأجج بالنار ، وانظر جيدا الى شعرها الأسود الذى سيقفز راقصا فى الشرر ·

وسكت سيادته عن الكلام للمرة الثالثة · لم أدر ما هى الأفكار التى كانت فى رأسه ، ولكن كتفيه اهتزتا بضحك صامت ، ثم قال :

– ان الأجيال القادمة كلها لن ترى شيئا مثلها · سأشاهدها من هنا · هيا ، هيا ، ارفعوا الحجب وأسفروا ليوشيهيدى عن المرأة التى بالداخل ·

ومع كلمة « الدايميو » ذهب أحد الخدم ، ممسكا عاليا بشعلته الصنوبريه في احدى يديه ، وسار الى العربة بدون لغـــط ، ومديده الحرة ورفع الحجب · واحترقت الشعلة الخفاقة بجلبة وقرقــــعة حادة ، واضاءت بشكل ساطع الجزء الداخلي من العربة ، فظهرت امرأة تجلس على مقعدها مربوطة بالسلاسل بقسوة ·· من كانت ؟ آه ، لا يمكن !!·· كانت ترتدى عباءة مطرزة برسم الكرز في بهاء وروعة ·· وشـــعرها الأسود كان منسدلا بشكل مغر الى أسفل في استقامة ونعــــومة ، ودبابيس الشعر الذهبية موضوعة في زوايا مختلفة تومض في جمال ولكن كانت هناك كمامة فوق فمها مربوطة خلف رقبتها ·· الجسد الصغير النحيل ، المنظر الجانبي « البروفيل » البسيط ·· كان الملبس فقط مختلفا ·· انها يوزوكى · وصرخت بصوت مرتفع !

وفي تلك اللحظة نهض الساموراى المقابل لى على قدميه بسرعة ووضع يده على سيفه · لا بد أنه يوشيهيدى الذى حملق فيــه · وفي فزعى نظرت مسرعة الى الفنان · كان يبدو شبه مصعوق بما رآه ·

وفجأة وثب ومد ذراعيه أمامه ، ونسى كل شيء آخر ، وبدأ يركض نحو العربة · ولسوء الحظ ، كما قلت من قبل ، كان على مسافة منى في الظل ، ولم أستطع رؤية التعبير الذى كان مرتسما على وجهه · ولكن ذلك كان خطفا ، لأننى الآن أراه بلالون على الاطلاق ، وظهر شكله كله مخترقا الظلمة مفعما بالحيوية أمام أعيننا في الضوء الخافت ·· كان معلقا في الفضاء ، على ما يبدو ، من قبل قوة غير مرئية رفعته من الأرض ثم بناء على أمر سيادة اللورد :

— اشعلوا النار !!

سبحت العربة مع راكبتها في ضوء المشاعل التى قذفت عليهــا وانفجرت في لهب مستعر ··

[١٨]

وأثنــاء مشاهدتنا ، غلفت ألسنة اللهــب العـــربة ، وتأرجحت « الشرابات » الأرجوانية المتدلية من أركان السقف وكأنها في ريــح صرصر عاصفة ، ودار الدخان من تحتها كالدوامة البيضاء تلمع في سواد الليل · كانت مخيفة جدا حتى أن حجب البامبو والستائر والحليات المعدنية بالسقف بدت طائرة مع رزاز الشرر القافز · أما السنة اللهب التى كانت تلعق الحجب من أسفل الى أعلى ، وتلك المتراصة المنطلقة

نحو السماء بدت وكأنها لهب سماوى سقط من الشمس الى الأرض ٠ لقد صرخت من قبل ، أما الآن فقد شعرت بأنى غارقة مصعوقة تماما ، وبفم فاغر ، لم استطع فعل شيء سوى مشاهدة المنظر الرهيب ٠ أمـا الأب ٠٠ يوشيهيدى ٠٠

مازلت أذكر التعبير على وجهه ٠ لقد اتجه مذعورا بشكل لا ارادى نحو العربة ، ولكن عندما توهجت النار فى ارتفـاع توقف ، مفـرود الذراعين ، وراقب بعينين ثاقبتين الدخان والنار وهما يغلفان العـربة وكأنه سينفذ اليها ٠ وأضاء الوهج وجهه المتجعد بكل وضوح حتى شعيرات رأسه كان يمكن رؤيتها تماما ٠٠ بل كان الوهج محفـورا بوضوح فى أعماق عينيه الواسعتين المحملقتين ، وفى شفتيه المسحوبتين المشوهتين ، وفى وجنتيهالمنتفضتين حزنا ورهبة وارتباكا يتغلغل عبر روحه ٠ قد لا يبدو مرتكب الجرائم الشنعاء الذى على وشك الاعدام شنقا أو طعنا أمام محكمة الملوك العشرة ، أكثر تعذيبا ولوعة ٠ حتى ذلك الساموراى الضخم تغير لونه ونظر برهبة الى لورد هوريكاوا ٠

ولكن الأخير ، دون أن يرفع بصره عن العربة ، كان يعض على شفته فقط أو يضحك بشكل بغيض من وقت لآخر ٠ أما بخصوص العربة وراكبتها ، تلك الفتاة ٠٠ فاننى لست جريئة بما فيه الكفاية لأروى كل ما رأيت ٠ كان وجهها الأبيض مختنقا فى الدخان ينظر الى أعلى ، وشعرها المتحرر الطويل يرفرف فى الدخان ، وعباءتها الموشاة بألوان الكرز ٠٠ كم كانت جميلة كلها ! وياله من منظر مرعب ! ٠٠ ولكن عندما سقطت ريح الليل وانسحب الدخان بعيـدا فى الجانب الآخر ، حيث يبدو غبار الذهب وقد تناثر فوق ألسنة اللهب الحمراء، وعندما قضمت الفتاة كمامتها وهى تتلوى حتى بدت السلاسل وكأنها ستنفجر لا محالة ٠٠ وأنا ، وحتى الساموارى الضخم ذاته تساءلنا ترى هل كنا نشاهد عذابات الجحيم نفسه ، واقشعرت أبداننا ٠

ثم اعتقدنا مرة أخرى أن ريح الليل قد حركت قمم أشجار الحديقة ولما مر هذا الصوت فوق السماء ، رقص شيء أسود لم يلمس الأرض ولم يطر عبر السماء مثل الكرة وأخذ يثب من سطح المنزل الى العربة المتوهجة ٠ وسقط على الحجب المتقوضة الملطخة باللون الآحمر الزاهى، واضعا ذراعيه حول الفتاة المكبلة وصرخ صرخة حادة وطويلة فى الدخان صرخة مثل صوت تمزق الحرير ٠ كررها مرتين أو ثلاث مرات ، وعندئذ نسينا أنفسنا وصحنا سويا ٠ وكان يوشيهيدى ، يوشيهيدى القرد الذى كانوا قد تركوه مقيدا فى القصر ، ظـاهرا من بين ستائر اللهب الشفافة متعلقا بكتف الفتاة !

[١٩]

ولكننا رأيناه للحظة فقط ، ثم تسلق الشرر مثـــل ورقة شـجرة ذهبية على ستارة بنية الى السماء ٠ واختفى القرد ويوزوكى فى دخان أسود ، بينما توهجت العربة بعيـدا فى طرف الحديقـة فى ضـــوضاء رهيبة ٠ وأصبحت عامـــودا من نار ٠٠ وكأن ذلك اللهب كان يطعن السماء ذاتها ٠

ووقف يوشيهيدى أمام العامود مترنحا وكأن له جذور فى الأرض٠ ثم ومن المدهش القول ، انه مرت على وجه يوشيهيدى هذا المتجعد ، الذى يبدو انه قد عانى فى مناسبات سابقة عذاب الجحيم ، نشوة انجذاب صوفى فثنى ذراعيه ووقف مراقبا ناسيا حتى وجود سيادة اللورد ٠ كان وكأنه لم ير ابنته تموت فى العذاب ٠ بل يبدو وكأنه مبتهج بلـون اللهب الجميل وشكل المرأة فى العذاب ٠

لم تكن مراقبة موت ابنته طربا ، بل كانت تبـــدو مراقبة صارمة لا مكان فيها للانسانية ، مثل غضب أسد منوكى فى حلم من الأحـلام ٠ وأخذت أسراب طيور الليل تصيح وتصخب مندهشة بالنار وبدت أكثر عددا ٠٠ وربما كان هذا من خيالى ٠٠ فحول رأس يوشيهيدى ، رأيت هذه الطيور تبدو كما لو كانت مجدا غريبا أو مثل هالة من النور حول رأس هذا الرجل ٠

واذا كانت الطيور قد انجذبت ، فلقد كنا نحن منجـذبين أكثر بكثير ، وكنا مع الخدم مملوئين بشعور تعبد غريب ونحن نشـــاهد يوشيهيدى ٠٠ لقد تزلزلنا من الداخل ، لقد أمسكنا بأنفاسنا ، لقـد راقبناه مثل بوذا وهو يميط اللثام ٠ فزئير النار الذى يملأ الهواء ، ويوشيهيدى ، وروحه مأخوذة أسيرة به وهو يقف هناك بلا حراك ٠٠ يالها من رهبة تلك التى شعرنا بها ، يالها من لذة انفعالية متوترة عند هذا المنظر ٠ وجلس نيافة اللورد فى الشرفة وكأنه مجرد كائن مختلف٠ لقد ازداد شحوبا وتجمع الزبد على شفتيه ، وضـم ركبتيه المغطـاتين بالازار الأرجوانى بكلتا يديه وجلس متلهفا كحيوان متعطش ٠٠

[٢٠]

ودار الخبر بأن سيادة اللورد قد أحرق عربة فى يوكيجى تلك الليلة ٠٠ وبطبيعة الحال لم يقل أحد أى شىء ٠٠ وقيلت آراء متنوعة عديدة ٠٠ وكانت أول وأكثر اشاعة روجت أنه قد أحرق ابنة يوشيهيدى حتى الموت مقابل استيائه من مقاومتها لحبه ٠٠

ولكن كان هناك غرض فى قلب « الدايميو » ، بلا شك ، لمعاقبة ضلال الفنان ، الذى كان يرسم صورا من الجحيم ، ويقدم حتى على قتل انسان ما لانحاز ذلك · فى الحقيقة ، لقد أخبرنى سيادة اللورد نفسه بذلك ·

ثم كان هناك كثير من الحديث عن الجمود الحجرى لقلب يوشيهيدى الذى رأى ابنته تموت فى اللهب أمام عينيه ومع ذلك اراد أن يرسم « البارافان » · فسماه البعض وحشا كاسرا فى شكل بشر ، مصورا الحب الانسانى العاجز بسبب صورة · **وكان رئيس ديـر يوكـوجاوا غالبا ما يقول :**

ـ قد تكون عبقرية الانسان عظيمة جدا بعظمة فنه ، ولكن لابد من تفهم الفضائل الخمس (٨) لخلاصه من الجحيم ·

ومع ذلك بعد حوالى شهر تمت صور الجحيم على « البارافان » · وأخذها يوشيهيدى فى الحال الى القصر وأراها مع دفاع عظيم للورد هوريكاوا · وتصادف أن كان رئيس الدير فى زيارة اللورد فى نفس الوقت ، وعندما نظر اليها ، لابد وأنه ارتعب من عاصـــفة النار التى احتدمت عبر قبة السماء فى احدى الصور · وصعر وجهه لها وحملق فى يوشيهيدى ، **ولكنه قال بالرغم منه :**

ـ عمل متقن !

ولازلت أذكر الضحكة المفتعلة التى حيا سيادته بها ذلك ·

ومنذ ذلك الوقت ، لم يتكلم أحد بسوء عن يوشيهيدى ، على الأقل فى القصر · وأى شخص كان يرى الصور ، حتى ولو كان كارها للفنان من قبل ، فانه يقف مشدوها فى وقار ، لأنه كان يحس وكأنه يجـرب عذابات الجحيم بكل جلالها ·

ولكن لم يعد يوشيهيدى فى عداد الأحياء · لقد شنق نفسه على عامود خشبى فى مرسمه فى الليلة التالية لانتهائه من الصور · لقد شعر بلا شك ، بأنه لا يستطيع تحمل الحياة فى فراغ بعدما سبقته ابنته الوحيدة · ولا تزال رفاته راقدة ضمن أطلال منزله · ولقد جللت الأطلال ورياح عشرات السنين الحجر الصغير الذى كان شاهدا على موضع قبره وغطته طحالب النسيان ··

---

(٨) الفضائل الخمس: [illegible] الحكيم الصينى [illegible] ٤٧٨ [illegible] على خمس فضائل أساسية : [illegible] عدل [illegible] حكمة [illegible] واخلاص [illegible]

أتوبيس الفحم (١)

للكاتب
ماسوجي ابوسي

★ موسوجي ابوسي (١٨٩٨ –)

ولد فى مقاطعة هيروشيما والتحق بجامعة طوكيو لدراسة الفن والأدب الفرنسى ، ولكنه توقف عن الدراسة الجامعية وأصبح كاتبا ٠٠ وكتب عددا من الروايات بعضها تاريخى ، والبعض الآخر معاصر بكل ما فى الكلمة من معنى ٠ لم تذع شهرته خارج اليابان ربما لأن جذوره تمتد الى حد بعيد فى التربة اليابانية ٠

كان يقول : « ان المفتـــاح الى انسانيتنا التى نشترك فيهـــا جميعا ، لا يمكن أن يوجد ـ هناك فى طوكيو ـ فى عمـــوميات أى موسوعة ٠ يجب أن نبحث عنه فى مكان عند ينابيع النهر قريبا من ينابيع خيالنا الخاص ، ولغتنا الحاسمة » ٠

ان أسلوبه يمزج رقة الفكاهة الخصبة بلمسة من الشجن أشبه بقطرة من خمر من شأنها أن تسكر قلوب الشعراء ٠

★★★

ركبت مرة أخرى ، فى الآونة الأخيرة أتوبيس خط بينـان ٠ وفى الحقيقة لم أحظ بركوب هذا الأتوبيس سوى مرة واحدة أيام الحرب(٢) ٠ ومع ذلك فمازلت أذكرها جيدا ٠

---

(١) عن الترجمة الانجليزية لـ : ايفان موريس ٠

(٢) الحرب العالمية الثانية ٠

كانت جميع أتوبيسات البلد أثناء الحرب متداعية الى حد ما . ولكن الأتوبيس الذى يعمل على خط بينان كانت له منزلته الخاصة ٠ فقد كان من النادر أن يسير بدون سلسلة من التعثر : أولا قد تنثقب عجلة من عجلاته ، ثم قد يتعطل محركه ، وعندما ينتهى أخيرا اصلاح ذلك كله فقد تبدأ مشاكل علبة التروس ٠ وكانت النوافذ كلها تقريبا محطمة ، وكانت بعض الفتحات مغطاة بورق السيلوفان ، وبعضها الآخر بألواح خشبية ٠

والآن ، مرت خمس سنوات بعد الحرب ، ومازال الأتوبيس يسير بالفحم ٠ برغم أن الهيكل قد تم طلاؤه وتم اصلاح معظم النوافذ ٠ وكان السائق شابا تعرفت عليه من أيام الحرب ، عندما كان محصلا ٠ ومن الواضح أنه تبادل مكانه مع الرجل ذى الشارب الذى كان يحتل مقعد القيادة من قبل ٠ ولا أدرى ان كان هذا له مدلول معين ، **وقلت لامرأة تجلس فى المقعد الذى بجانبى :**

ـ ألم يتبادل السائق والمحصل مهنتيهما ؟ بالتأكيد هذا المحصل كان السائق ٠ ترى هل ارتكب حادثا ، أو شيئا ما يجعله لا يقود الأتوبيس ثانية ؟

فقال مرافق المرأة :

ـ كلا ، لقد أصبح غير محبوب أثناء الحرب وكان لا بد من انزاله درجة ٠ كان صارما أكثر من اللازم مع الركاب ٠ وعندما انتهت الحرب ، بدأت الناس يكتبون شكاوى للشركة عن سلوكه قائلين بأنه يجب التخلص منه ٠ حسن ، سننزل هنا !

وحيانى الاثنان برأسيهما وغادرا الأتوبيس ٠

وأخذ مكان المرأة بجانبى رجل عجوز يرتدى زى الفلاح كان ينصت للمحادثة ، **فقال عندما جلس :**

ـ كل هذا على ما يرام ، ولكن المحصل سيعود الى حيث كان من قبل ، تأكد من كلامى ٠ كان ، بالطبع ، غير محبوب بعد الحرب لدرجة أنهم أبعدوه عن القيادة ولكن فى أيامنا هذه يعود المبعدون ثانية الى كسب العطف ، فهم مثله سيعودون للقيادة الآن ٠

وأومأ العجوز برأسه **وتمتم وكأنه يتكلم مع نفسه :**

ـ أجل ، هكذا تسير الأمور هذه الأيام ٠

وحملقت فى المحصل ٠ لازلت أتذكر هذا الشارب الصغير جيدا ! كان واقفا الآن فى مؤخرة الأتوبيس يتطلع من النافذة ٠ لقد عبرنا جسرا يعلو نهرا جافا ، وكان يمكننى أن أرى وراء حقول الأرز منحدرات جبال تبدو جرداء ٠ وعندما مررنا على معبد شينتو (٣) على جانب الطريق ، رفع المحصل قبعته ومسح العرق من على جبهته ٠ وعنـــدما فعل ذلك انحنى برأسه قليلا ، وتساءلت اذا كانت هذه علاقة احترام مقصودة للمعبد ٠ لقد غدت مثل هذه الحركة التبجيلية غير مستخدمة بعد الحرب ولكنها تعود الآن بالتدريج لأنها مستساغة فى الذوق العام ٠٠ كانت ايماءة المحصل غامضة عن قصد ٠

وكانت ذكرياتى عن الرجل فى غير صالحه ٠ فأثناء فترة خدمتـــه الطويلة كسائق لأتوبيس خط بينان لم يفتقد فرصة مطلقا لارهاب الشاب الذى كان يعمل محصلا عندئذ ٠ وكان عادة ما يوجه اساءته الى الركاب زاعما أنهم أشرار ٠٠ وكانت من بين نقاط هجومه المفضلة حقائب الظهر ٠٠ فقد اعتاد أن يزأر على المحصل **قائلا :**

ـ حقائب الظهر ممنوعة داخل الأتوبيس ٠ أخبر الراكب ان ينحى حقيبة ظهره اذا سمحت ٠ أنت تعلم جيدا أنها غير مسموح بها ٠ ما الذى تنتظره ؟ اجعله ينزل ٠٠ !

كانت هنـــاك فى الحقيقة قاعدة أن كل قطعـــة من الأمتعة ، شاملة حقائب الظهر يجب أن يدفع لها تذكرة وتكوم أعلى الأتوبيس ٠ وأحيانا قد يوقف رجال الشرطة الأتوبيس عند تقاطع الطرق ويفحصون الأمتعة بحثا عن سلع السوق السوداء ، مثل الأرز والحطب ٠ واكتشافها كـــان معناه المصادرة مع دفع الغرامة ٠ وازاء الظروف فضلنا أن نأخذ أمتعتنا معنا وندفع بها تحت المقاعد ، ولكن كانت مثل هذه المحـــاولات تحبط بشكل ثابت من قبل السائق ذى الشاربين الكبيرين ٠ وكان ، من جهة ثانية لا يتردد فى نقل كميات كبيرة من الجزر والبازلاء والسلع المهربة المحظورة الأخرى فى صندوق العدة الذى يوجد بجانب مقعده ٠

---

(٣) الديانة الوطنية لليابان كانت فى الأصل شكلا من عبادة الطبيعة والأسلاف ٠

ولم أكن أنا ولا الركاب العاديين الآخرين ننظر اليه كانسان متنمر بغيض فقط ، بل نحتقره لعدم كفاءته في تشغيل الأتوبيس · وكانت الأعطال والتأخير الدائم لا يقلقه على الاطلاق ، فعندما يتعطل المحرك ، كان يعلن بنبرته الجهيرة :

ـ جميع الركاب ينزلون ! وابدأوا في دفع الاتوبيس للامام !

وعندما ندفع الأتوبيس خمسين أو ستين ياردة يدور المحرك عادة فيأمرنا بالصعود ·

ومع نهاية الحرب ، أصبحت هذه الأعطال الدورية أكثر جدية ، وآخر مرة ركبت فيها الأتوبيس (قبل تدمير هيروشيما بقليل) ساعدت في دفعه أربعة أميال تقريبا · كنت قد ذهبت لصيد السمك في مجرى مائي بالجبل وبعد أن قضيت الليل في أحد الفنادق غادرته مبكرا في صباح اليوم التالي واتجهت الى موقف الأتوبيس عند جسر أوتاكي · وكان هناك حوالي أربعين رجلا ينتظرون قبلي · ومر وقت طويل ولم يظهر الاتوبيس في موعده المعتاد ·· ويأس بعض الناس في الحال وغادروا الموقف ، ونفس آخرون عن ضيقهم بسب السائق ولعنه ، وهذه متعة لن يسمحوا لأنفسهم بها بالتأكيد لو كان السائق على مدى السمع · وبقي حوالي نصفنا فقط عندما وصل الأتوبيس أخيرا بعد تأخير امتد أكثر من ساعتين ·

وأعطيت المحصل تذكرة عودتي مع تذكرة الأمتعة ، وناولته حقيبة ظهري وصعدت · وكانت هناك مقاعد لنا جميعا · وعندما انتهى المحصل من تزويد موقد المحرك بالفحم ، ضغط السائق على زر التشغيل · ولم يحدث شيء · وضغطه ثانية عدة مرات ، ولكن المحرك ظل لا يشتغل · كان هذا بالطبع حدثا طبيعيا جدا ، وبدون الانتظار ليقول لنا ، نزلنا جميعا خارج الأتوبيس ·· جميعا ، أجل ما عدا شاب وشابة بقيا في مقعدهما بلا مبالاة · كانا من الواضح أنهما على غير علم بأتوبيس خط بينان ·

وفي ائتلاف واحد بدأنا عملية الدفع · ولما كان الموقد المتخم بالفحم في الخلف شديد الحرارة انقسمنا الى مجموعات على كل جانب · ووجد أحد الركاب المغامرين لوحا خشبيا طويلا فاستخدمه في دفع الموقد ·· وقفز المحصل نازلا أيضا وبدأ يدفع معنا · وكان الطريق هنا منحدرا قليلا فتحرك الاتوبيس سائرا بدون مجهود كبير من ناحيتنا · وجلس السائق في مقعده بهدوء وهو يمسك بيديه عجلة القيادة ·

ودفعنا الأتوبيس مسافة ثلاثمائة أو أربعمائة ياردة بدون أن يشتغل المحرك مرة واحدة ، عندما سمعنا فجأة صوتا هستيريا من داخل الاتوبيس ·· كان صوت السائق الذى لاحظ الشابين لتوه بوضوح ، **فزأر قائلا :**

ـ هاى ·· يا من تجلســـان فى الخلف ! ·· ألا يمكنكما أن تريا الآخرين وهم يدفعون الأتوبيس ؟ · انزلا فورا وساعدا الآخرين ولا تجلسا مستريحين هكذا ·· !

فاجاب صوت الرجل بهدوء :

ـ لا تصيح فى هكذا لو سمحت ، قد لا أكون كثير السفر ·· ولكنى أعتقد أن الأتوبيسات تسير بمحركاتها !

فقال السائق :

ـ أعلم ذلك ·· ولكنك لست أفضل من غيرك ، ايه ؟ ·· دعنى أخبرك شيئا : فأنا لا يهمنى ان كنتم تقضيان شهر عسل أم لا ، واذا لم تنزلا فورا للمشاركة فى الدفع مع الآخرين فعليكما اللعنة !

فاجاب الرجل :

ـ اذا كنت تريد الاستمرار فى المحادثة فمن الأفضل أن تخاطبنى بأدب !

وكانت هناك فترة سكوت قصيرة · وبعدها بقليل ، عندما مررنا فى الطريق عبر أيكة هادئة ، **حطم صوت السائق السكون ثانية قائلا :**

ـ هاى ، يا من تجلسان هناك فى الخلف ! لا تكونا عنيدين هكذا عليكما اللعنة ! ·· كيف تستمران فى الجلوس هناك فى راحة بينما الآخرون يتصببون عرقا على الطريق ؟ اننا سنصعد التل · انزلا وساعدا !

فقال الشاب بصوت عال :

ـ لماذا لا تنتبه أنت للمحرك ؟ انك أنت العنيــد ! انك مهتم جدا بأن تجعلنا ننزل وندفع وأنت ولا حتى تحاول تشغيل المحرك · ركــز عقلك فى عملك مثل السائقين الآخرين ! انك عار على نظام النقل العام !

فقال السائق :

ـ اخرس !

ثم أضاف فى نغمة أكثر اعتدالا :

ـ انتبه يا سيد ، اننا سنصعد تل سامبون الآن • وأنت لا تريد أن تدع الآخرين يقومون بكل العمل ، أليس كذلك ؟ انظر اليهم فى الخلف يتصببون عرقا !

كان تل سامبون عبارة عن نفق غير مسقوف شديد الانحدار الى أعلى ، وكانت جوانبه عبارة عن حوائط من الطين • وبذلنا كل قوتنا لتحريك الاتوبيس •• ومن قمة هذا النفق كان الطريق ينزل بانحدار ، واذا لم يشتغل المحرك هناك ، فمن الصعب معرفة متى يتم ذلك • ووقفنا جميعنا عند القمة وراقبنا الأتوبيس جامحا بسرعته وهو يجرى هابطا ، ومر بخزان ماء كبير على جانب الطريق واختفى خلف مجموعة أشجار • وأطرقنا بآذاننا لصوت المحرك ، بينما ركض المحصل هابطا التل خلف الاتوبيس •

وجاءنى رجـل يرتدى قميصـا برقبة مفتوحة وغطـاء رأس له حافة مدببة وبنطلونا منتفخا مضموما من أسفل الركبة ومتسخـا ببقع من الطلاء ، **وقال :**

ـ هل تستطيع سماع صوت المحرك اذا دار ؟

فأجابت البنت التى كانت ترتدى بنطلونا فضفاضـا والواقفـة بجانبى :

ـ اعتقد أنه تحرك • أظن أنى أستطيع سماع صوت المحرك ••• ولكن ربما كان هذا مجرد خيالى !

وقال الرجل :

ـ لا أستطيع سماع شىء •• كم عدد الأميال الباقية على المدينة ؟

فقالت البنت :

ـ حوالى أربعة ونصف • ولكن بعد حوالى ميلين سنصل الى مفترق طرق ، حيث يمكننا العثور على أتوبيس يشتغل •

فقال الرجل :

ـ وسآخذ ذلك الأتوبيس لبقية الطريق • لقد سئمت من بدعـة الفحم هذه !

وظهر عندئذ المحصل عند سفح التل • وقف هناك ملوحا بذراعيه ويهز رأسه قبل أن يختفى ثانية فى أكمة الأشجار •

وقالت البنت ونحن نبدأ فى نزول التل مغمومين :

ـ لم ندفع مطلقا هذه المسافة من قبل • لقد ازعج هذان الشابان السائق فانتقم منا نحن ••

فقال الرجل بغضب :

ـ أجل ، أراهن بأنه سيجعلنا ندفع الأتوبيس طول الطريق الى نهاية الخط •• ليس أمامنا الا شئ واحد لنفعله •• أن نظهر التعب •• يجب أن نجعله يؤمن باننا على آخر نفس ، لعله يغير رأيه •

وسحب قميصه خارجا من بنطلونه ليعطى لنفسه منظرا غير مرتب •

وأخيرا رأينا الاتوبيس واقفا عند منزل ريفى بجانب الشجر • وكان السائق واقفا بجانبه بذراعين مطويتين ، بينما كان المحصل مشغولا فى تعبئة الموقد بالفحم •• واستطعت أن أرى فتاة فى ثوب أخضر تسحب ماء من بئر ، **فسألت :**

ـ أليست هذه الفتاة التى كانت معنا فى الأتوبيس ؟

فقال رجل ذو وجه حصان ، فى حلة عسكرية قديمة :

ـ هذا صحيح • عندى احساس بأن هناك خطأ ما • انظر ، الفتاة تحمل جردلا الى الاتوبيس •

فنادى على السائق :

ـ هاى ، ماذا حدث لك ؟ ماذا تفعل •• ولماذا تقف هناك وتتطلع الى السماء ؟ •• هل قررت الاقلاع عن القيادة أم ماذا ؟

فقال السائق بارما شاربه بأصابعه :

ـ هذا صحيح ، لقد استقلت !

فقال الرجل ذو وجه الحصان :

ـ ماذا تقصد بانك استقلت ؟

– هذا الاحمق العنيد الذى يجلس بداخـــل الاتوبيس لم يخرج ويدفع معكم عندما طلبت منه ذلك · لذلك سأضربه ، لكنى استقيـــل أولا ، لأن الموظفين غير مسموح لهم بضرب الركاب · وعنـــد استقالتى أكون مواطنا حرا وأجلده جلدا يستحقه ·

فقال الرجل ذو وجه الحصان :

– اسمع هنا ، لقد تجاوزت الحدود هذه المرة · ومن تظنه سيقود اذا لم تفعل أنت ·

فهز السائق كتفيه ، ونظر باحتقار الى الركاب المتجمعين بجـانب الأتوبيس **وكرر بعناد قائلا :**

– أقول لكم لقد استقلت !

وفى هذه اللحظة خرج عجوز طويل فى تـــؤدة من المنزل الريفى **وصاح فى السائق قائلا :**

– لقد سمعت ما فيه الكفاية ، ورأيت كل شيء حدث ، رأيتك تهاجم هذين المسالمين · ماذا تقصد بسلوكك هذا أمام منزلى ؟

فقال السائق :

– اننى مواطن حر ، وعندى الحق الكامل فى ضرب أى شخص أريد ·

فقال المزارع العجوز :

– لا تتكلم كلام الحمقى· وابعد أتوبيسك عن منزلى من فضلك ·· سأساعد فى دفع هذا الملعون بدلا من عرسان شهر العسل اذا كان هذا هو الذى يزعجك · وزوجتى العجوز تستطيع أن تساعد فى الدفع أيضا · اصعد انت على عجلة القيادة !

وتبعنا العجوزين خلف الأتوبيس ، وعنـدما مررت على احـــدى النوافذ ، حملقت بداخلها ، فكان الشاب راقدا فى مقعده فى الخلف شاحب اللون ، حاشيا ثقبى أنفه ببعض المناديل الورقية ، واحدى عينيه حمراء ومتورمة · وكانت الفتاة المرتدية ثوبا أخضر قد انتهت من مســح وجهه ، وأخذت الجردل الى خلف الاتوبيس وناولته الى أحد الركاب ، الذى أعاده الى البئر ·

وقف السائق وذراعاه معقودتان ورفض أن يصعد الى المقود · وبدأ العجوزان يدفعان الأتوبيس بكل قوتهما ، ولكنـه لم يتزحزح · **فصاح العجوز :**

ـ هاى ، كلكم ياناس ساعدونا !

فقال الرجل ذو وجه الحصان وهو يركض الى خلف الاتوبيس :

ـ معك حق ·

وأخذ وضع الاستعداد ، ثم صاح :

ـ تعالوا كلكم ، ادفعوا بقوة ! هيله ·· هوب ·· هيله !

ودفعنا جميعنا · وبدأ الاتوبيس يتحرك · وفتح السائق عينيه فى اندهاش ، **وصاح قائلا :**

ـ هاى ، انتظروا لحظة ، لا تكونوا مجانين · انتظروا حتى أمسك بالمقود ·

وركض وراء الاتوبيس وقفز على سلم السائق ، وأمسك بالمقود حتى قبل أن يجلس · ودفعنا عندئذ بنشاط مضاعف مدفوعين بشعور بأننا أخذنا الأمور فى ايدينا ، على الأقل بشكل مؤقت ·· وكان الطريق مستقيما وجرى الاتوبيس بسرعة ثابتة ·

وصاح الرجل ذو وجه الحصان قائلا :

ـ هاى ، يا سائق ، ألا تستطيع تشغيل المحرك ؟ هل انت متأكد من انك لا تتعمد ذلك ؟

فأجاب السائق :

ـ لا تكن شكاكا هكذا · انها ليست غلطتى انه لا يشتغل · المحرك مهترىء ، والبطارية لا تشحن جيدا أيضا · ولكنكم ياناس لا تعرفـون شيئا بالطبع عن مثل هذه الأشياء ·

فقال رجل يرتدى قميصا أصفر فاتح اللون ورداء كهنوتيا أبيض منقوشا بأدعية بوذية :

ـ هذا صحيح · نحن أناس بسطاء لانصلح الا فى الدفع · ادفع ولا تلقى أسئلة ! هذا على مايبدو هو شعار شركة الأتوبيس هذه ·

فقال الرجل ذو وجه الحصان :

ـ أجل ، لقد زادت عن حدها · ما علينا الا أن ندفع سواء أردنا أم أبينا ، ولا يوجد من يهتم باخبارنا ما هو الخطأ فى الأتوبيس الملعون · انى انتهيت !

التفت السائق حوله وفى فمه سيجارة ، وقال للعروسين الشابين :

ـ هاى ·· أنتما يامن تجلسان هناك · هل سمعتما ما قاله الراكب الآن ؟ انه تعب · انهم تعبوا جميعهم بسبب أنانيتكم الملعونة ! ألا تخجلان من نفسيكما ؟ ·· انصتا الى صوت الجمهور الذين بالخلف هناك ! انزلا الآن فورا وساعدا فى دفع الأتوبيس !

قال الشاب :

ـ أمازلت قلقا بسببنا يا أحمق يا مسكين ؟ لقد أخبرتك من قبل أن تتركنا وحدنا ، وركز على المحرك أو البطارية أو أيما كان · فى البداية تحصلون التذاكر وهى مرتفعة السعر ، ثم تجعلوننـا نقوم بدفع كثير لا طائل منه · سيكون لدى ما أقوله عن كل هذا عندما نصل ، أحذرك !

فزار المحصـل :

ـ ما هذا يا ابن السفاح ، هل ترغب فى « علقة » أخرى ؟

فاجاب الشاب بهدوء :

ـ تقول لى أن أنصت لصوت الجمهور ، حسـنا ، انى أحتج على ذلك وسأحاول أن أجعل احتجاجى ينفذ الى أذنك هذه المرة ·

فصرخ السائق وهو يهتز غضبا :

ـ اذن لازلت تعتقد بأنك ذكى ، أليس كذلك ؟ لازلت تعتقد أنك أفضل من أى واحد آخر ؟ وهو كذلك ، سوف أريك ! لقد طلبتها بنفسك!

ووقف على قدميه ·

فصاح الرجل ذو وجه الحصان الذى أصبح الآن المتحدث بالنيابة عنا :

ـ اجلس ، اجلس ! لاتترك المقود !

ثم التفت الينا وقال :

ـ هيا ، ادفعوا أقوى ! لاتدعوا السائق يترك المقود ، هيا ادفعوا !

ودفعنا أقوى من أى وقت وتحرك الأتوبيس بسرعة على طول الطريق الضيق المستقيم . وكان على اليسار جدار حجرى منخفض تظهر من ورائه حقول الأرز ؛ وعلى اليمين كان هناك نهر ضحل ، ويمكن للسائق أن يدع الأتوبيس ينحرف فى أى اتجاه . ولاحظت عن بعد سيارة تقترب .

فصاح السائق :

ـ قفوا لحظة واحدة ، لابد أن أعطى هذا الغبى « علقة » أخرى .

فقال الرجل ذو وجه الحصان :

ـ أوه كلا ، لن تفعل . هيا ، كل واحد يدفع بقوة ! دعونا نحرك هذا الصندوق القديم !

ودفعنا .. فى الحقيقة ألقينا بأنفسنا بعنف فى ظهر الأتوبيس . وفى انفعالنا نسينا أن السـائق يمكنه ايقاف الأتوبيس وقتما يريد باستعمال « الفرامل » ببساطة . وكنا جميعنا مقطوعين النفس ، ولكن هذا لم يثنينا عن مواصلة الدفع . وصاح السائق :

ـ هاى ، ما العيب الذى فيـكم كلكم ؟ لماذا تقفون من أجـل ابن السفاح الوقح هذا ؟ .. انها غلطته هو التى تجعلكم متعبين هكذا .

فقال الرجل ذو وجه الحصان :

ـ لاتقلق علينـا ، امسك المقود فقط ! اذا تركت هذه العجلة ، فسيكون لديك ما تقلق عليه بالفعل .

وأضاف الرجل ذو الرداء الكهنوتى الأبيض :

ـ هذا صحيح ، ستكون مع أسلافك قبل أن تعرف .

وفى هذه اللحظة اقتربت شاحنة مقفلة من الاتجاه المقابل . وارتج الأتوبيس فى وقفة مفاجئة أفقدتنا توازننا تقريبا ؛ وأدركنا أن السائق قد استخدم « الفرامل » فتبادلنا نظرات احباط يائسة .

وعلق الرجل ذو وجه الحصان قائلا :

ـ حسنا ، على الأقل لقد وصلنا عند مفترق الطرق . لقد دفعناه أربعة أميال حتى الآن . ياله من انجاز رائع ! ولكن يكفى هذا . وسآخذ الأتوبيس السليم من هنا .

وأعطى المحصل تذكرة أمتعته وحمـل حقيبته على ظهره ، وبدأ يسير نحو تقاطع الطرق الثلاثة · وقررت أنا أيضا أن آخذ الأتوبيس الآخر ، وهكذا فعل الرجل الذى يرتدى بنطلونا منفوخا ، والفتاة ذات البنطلون الفضفاض وبعض الركاب الآخـرين ·· وقال البـاقون انهم سيستمرون فى دفـع الأتوبيس ·· بعضـهم لأنهم كانوا مقتنعـين بأن الأتوبيس كان على وشك البدء فى الانطـلاق ، وآخرون لأنهـم كانوا لايريدون أن يفقدوا أجور تذاكرهم · وقرر العروسـان العنيدان البقاء فى الأتوبيس · وذهب الرجـل الذى يرتدى البنطلون المنفوخ ليحضر أمتعته ولحق بنا عند تقاطع الطرق وأخبرنا قائلا :

ــ انهما يجلسان هناك يتناولان وجبة الغداء ، انهما يخرجان علبة « بلوبيف »

ــ وما أخبار السائق ؟

ــ يبدو أنه سيتركهما فى سلام ليستمتعا بطعامهما ·· لقد أحضرا زجاجة ويسكى أيضا ·

ونظرت خلفى الى اتوبيس الفحم · كان السائق قد فتح غطاء المحرك وأخذ يسمكر فى المحرك بمفتاح ربط كبير ، مجرد اجراء شكلى لا غير ، كما أتخيل · ووضع المحصل بعض الفحـم فى الموقد وبدأ يدير المنفاخ بعنف · كان يبدو أن لديه ثقة لاحد لها فى المحرك · ولاحظت أن المزارع العجوز وزوجته كانا يسيران مجهدين عائدين الى بيتهما ··



قرع سيبي (١)

ناويا شيجا

★ ناويا شيجا (١٨٨٣ ــ ١٩٧١) :

برغم أن حياته كانت طويلة الا ان اعماله ليست كثيرة ، لانه صاحب اسلوب فى المقام الأول وشديد التدقيق فيه ٠ وكان يبذل جهدا كبيرا فى كل عمل ينشره ٠ ويعتبر النقاد أعظم رواياته هى (رحلة ليلة مظـلمة) وهى مكتـوبة فى جزئين خلال الفترة من ١٩٣١ ــ ١٩٣٧ ٠ وهى عمل كله كآبة وتشاؤم عميق ٠ وكان حذقه والمعية اسلوبه من الأسباب التى جعلت ترجمة أعماله أمرا صعبا ٠٠ ولهذا السبب يقل صيته خارج اليابان كثيرا عن صيته فى وطنه ٠

★ ★ ★

هذه هى قصة الغلام الصغير الذى يسمى سيبى وقرعه ٠ لقد أقلع سيبى فيما بعد عن القرع ، ولكنه وجد شيئا آخر يحل محله : بدأ يرسم لوحات زيتية ٠ ولم تمر فترة طويلة الا وانهمك سيبى فى لوحاته كما كان منهمكا ذات مرة فى قرعه ٠

لقد عرف والداه أنه غالبا ما كان يخرج ليشترى لنفسه قرعا ٠ كان يشتريهـا بسن (٢) أو اثنين وفى الحال أصبحت لديه مجمـوعة ضخمة ٠ وعندما كان يعود الى البيت ، كان أول كل شىء يثقب ثقبا نظيفا فى قمـة القرعة ويستخرج منهـا البذور ٠ يلى ذلك استخدامه لأوراق الشـاى للتخلص من رائحة القرع غير المحببة ٠ ثم يأتى بالساكى (٣)

---

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : ايفان موريس ٠

من العادات المعروفة فى اليـابان الاهتمام بأنواع القرع المختلفة وجمعه على سبيل الهواية ، وهو عبارة عن الثمرة الصلبة لبعض النبـاتات المعترشة ٠ وتستخدم هذه الثمرات الجافة كزجاجات وقنينات للزينة ٠

(٢) عملة يابانية ضئيلة القيمة ٠

(٣) مشروب يابانى كحولى مختمر مصنوع من الأرز ٠

الذى يجمعه من الثمالة الباقية فى كأس أبيه ويلمع بها السطح ، فى حرص ٠

كان سيبى مغرما بالقرع بأنواعه ٠ وفى أحد الأيام عندما كان يتمشى على طول الشاطىء ، مستغرقا فى موضوعه المحبب ، روعه منظر غير عادى : لقد لمح بصورة خاطفة صلعة رأس رجل عجوز مستطيلة كان يخرج مسرعا من احدى عشش الشاطىء ، ففكر سيبى :

ـ يالها من قرعة رائعة !

واختفى الرجل العجوز وهو يهز قرعته الوردية الصلعاء ٠ وعندئذ فقط تحقق سيبى من خطئه ووقف هناك ضاحكا لنفسه بصوت مرتفع ٠ وضحك طوال الطريق الى البيت ٠

وعندما كان يمر على بقال أو محل تحف ، أو حلوانى أو أى مكان يبيع القرع ، كان يقف منتصبا لدقائق ، وعيناه متسمرتان فى فترينة المحل يقيم الثمرة الثمينة ٠

كان سيبى صبيا فى الثانية عشرة من عمره ولايزال فى المدرسة الابتدائية ٠ وبعد المدرسة ، كان عادة يتجول فى البلدة باحثا عن القرع، بدلا من أن يلعب مع الأولاد الآخرين ٠ وعندما يأتى المساء كان يجلس معقود الساقين فى ركن من أركان حجرة الجلوس مشغولا بثمرته التى حصل عليها حديثا ٠ وعندما ينتهى من معالجتها يسكب فيها قليلا من الساكى ، ويغلقها بسدادة اخترعها هو بنفسه ، ويلفها فى فوطة ، ويضعها فى صفيحة يحتفظ بها خصيصا لهذا الغرض ، وأخيرا يضع كل هذا على مدفأة الأقدام ٠ وعندئذ يذهب الى سريره ٠

وعندما يستيقظ فى اليوم التالى ، كان يفتح الصفيحة ويفحص القرعة ٠ وقد يجد أن القشرة رطبة تماما بسبب المعالجة الليلية ٠ ويحملق سيبى فى كنزه مبهورا قبل أن يضع خيطا حول منتصفها لتعليقها فى الشمس لتجف ٠ وعندئذ يخرج الى المدرسة ٠

كان سيبى يقطن فى مدينة بحرية لها ميناء ٠ وبالرغم من أنها كانت مدينة بصفة رسمية ، الا أنه يمكن قطعها من أولها الى آخرها فى حوالى عشرين دقيقة ٠ وكان سيبى دائم التجوال فى الشوارع وأصبح يعرف كل مكان يبيع القرع ويتعرف على كل قرعة تقريبا فى السوق ٠

لم يكن يهتم كثيرا بالقرع العجوز ، كثير الالتواء ذى التشكيل العجيب المحبب عادة من قبل هواة الجمع والاقتناء • كان النوع الذى يستهوى سيبى هو المستوى المتناسق •

وقال صديق لوالده كان قد جاء فى زيارة :

ـ يبدو أن ابنكم يحب النوع العادى منها •

وأشار الى الولد الذى كان جالسا فى الركن مشغولا فى تلميع قرعة مستديرة منبسطة •

فقال أبوه ملقيا على سيبى نظرة اشمئزاز :

ـ فتى خيالى يقضى وقته عابثا هكذا بالقرع !

فقال الصديق :

ـ اسمع يا سيبى يا بنى ، ليست هناك فائدة من مجرد جمع كميات من هذه الأشياء • فالكمية لاتهم ، أنت تعرف • والذى عليك أن تفعله هو أن تعثر على واحدة أو اثنتين غير عاديتين فعلا •

فقال سيبى :

ـ اننى أفضل هذا النوع !

وبدأ والد سيبى وصديقه يتحدثان عن القرع ، فقال والده :

ـ هل تذكر قرعة باكين التى عرضوها فى المعرض الزراعى فى الربيع الماضى ؟ كانت قطعة من الجمال حقا ، أليس كذلك ؟

ـ أجل ، اذكر ، تلك القرعة الكبيرة الطويلة ••

كان سيبى يضحك داخليا أثناء سماعة لمحادثتهما • لقد أحدثت قرعة باكين ضجة بالفعل فى وقتها ، ولكنه عندما ذهب ليراها (ليس عنده فكرة ، طبعا ، من يكون باكين الشاعر العظيم هذا) فوجدها شيئا يبدو غبيا وترك المعرض وخرج ، لذلك قاطعهما سيبى قائلا :

ـ اننى لم أعجب بها • انها مجرد شىء ضخم غير رشيق •

ففتح والده عينيه فى دهشة وغضب وصاح قائلا :

ـ ما هذا ؟ عندما لاتدرى ما تتكلم عنه ، فمن الأفضل أن تسكت !

ولم يقل سيبى أية كلمة أخرى •

وفى أحد الأيام عندما كان يمشى فى شارع خلفى لم يكن معتادا أن يمشى فيه ، عثر على امرأة عجوز عنـدها كشـك لبيع الفاكهـة . وكانت تبيع فواكه مجففة مثل البرسيمون والبرتقال . وكانت تعلق على مصراع منزلها خلف الكشك مجموعة كبيرة من القرع .

فقال لها سيبى :

ــ هل أستطيع أن القى نظرة ؟

وركض فى الحال خلف الكشك وبدأ يتفحص القرع . وفجأة وقع بصره على واحدة كان طولها حوالى خمس بوصات . وتبدو لأول وهلة عادية تماما . ولكن شيئا ما فيها جعل قلب سيبى يدق بسرعة أكثر ، **فسألها وهو ينطق الكلمات لاهثا :**

ــ بكم هذه القرعة ؟

فقالت السيدة العجوز :

ــ حسن ، حيث انك لا زلت صغيرا ، سأعطيها لك بعشرة سن .

فقال سيبى فى استعجال :

ــ فى هذه الحالة ، احجزيها لى من فضلك ، هل ممكن ؟ سوف أحضر النقود وأحضر حالا .

واندفع الى البيت وعاد بسرعة الى الكشك واشترى القرعة وأخذها الى البيت .

ومنذ ذلك الحين لم يفترق مطلقا عن قرعته الجديدة . بل أخذها معه الى المدرسة ، واعتاد أن يلمعها تحت درجه أثناء وقت الدرس . ولم تمر أيام كثيرة حتى ضبطه أحد المدرسين وهو يفعل ذلك ، فثار وسخط بصفة خاصة لأنه كان يدرس عندئذ درسا فى علم الأخلاق .

جـاء هذا المدرس من منطقة أخـرى من اليابان واعتبرها شـيئا مهينا جدا أن ينغمس الأطفال فى جمع القرع ، مضيعين الوقت فى العادة المتخنثة هذه . كان مؤيدا دائمـا أبدا لمبـادىء الساموراى بتقاليدها القديمة . وعندما جاء كومويمون شاعر الربابة المشهور فى جولة وأنشد الأعمال الشـجاعة للأزمان القديمة ، كان يحضر كل عرض . وكان لايعترض مطلقا أن يغنى طلابه قصائد شاعر الربابة مهما كان صوتهم أجش وخشنا . وعنـدما وجد سيبى يلمع قرعته فى صمت **ارتعش صوته من الغضب وصاح قائلا :**

ـ انك أبله ! ليس هناك أى مستقبل بالتأكيد لولد مثلك ٠

وعندئذ صـــادر المدرس القرعة التى أنفق سيبى هذه الساعات الطويلة فى معالجتها ٠ وحملق سيبى أمامه فى ثبات ولم يبك ٠

وكان وجه سيبى شاحبا ، عندما عاد الى البيت ٠ وبدون كلمة واحدة وضع قدميه فى المدفاة وجلس متطلعا الى الحائط ٠

وبعد برهة وصل المدرس ٠ ولما كان والد سيبى لم يعـد بعد الى البيت من محل النجارة حيث يعمــل ، فوجه المدرس هجومه الى والدة سيبى ٠ **فقال فى صوت صارم :**

ـ هذا النوع من التصرفات مسئوليــة الأسرة ٠ ان من واجب والديك ألا يسمحوا بحدوث ذلك ٠

وفى نوبة من الارتباك تفوهت أم سيبى ببعض الاعتذارات ٠

كان سيبى ، فى تلك الأثناء ، يحاول أن يجعل نفسه غير مرئى فى الركن الذى يجلس فيه ، على قدر الامكان ٠ وتطلع فزعا الى مدرسه الحقود والى الحائط الذى خلفه مباشرة حيث يوجد صف كامل معلق من القرع المجهز ٠ ماذا سيحدث لو التفت المدرس ورآهم ؟

جلس مرتعدا فى الداخل ، منتظرا ما هو أسوأ ، ولكن المدرس تخلص أخيرا من كلماته الخطابية التى أفرغها وخطا غاضبا خارج المنزل ٠ فتنفس سيبى الصعداء ٠

كانت أم سيبى تتنهد برقة ، وبدأت توبخه فى أنين وهى متبرمة ، وفى وسط هذا ، عاد والده من دكانه ٠ وعندما سمع ما قد حدث ، أمسك بولده من ياقته وأعطاه « علقة » ساخنة ، **وزعق فيه قائلا :**

ـ لا فائدة منك ! لن يكون لك شأن فى الدنيا بالطريقة التى تعيش بها ٠ اننى أفكر بأن ألقى بك فى الشارع حيث تنتمى !

ولفت القرع المعلق على الحائط انتباهه ، فأحضر مطرقة ، وبدون كلام ، نزل عليها واحدة واحدة وحطمها جميعا ٠٠ وامتقع وجه سيبى لكنه لم يقل شيئا ٠

وفى اليوم التالى أعطى مدرس سيبى القرعة المصادرة لبواب عجوز كان يعمل بالمدرسة ، **وقال له ، وكأنه يناوله شيئا غير نظيف :**

ـ هيا ، خذ هذه !

أخذ البواب القرعة معه الى البيت وعلقها على حائط غرفته الصغيرة الملوثة بالهباب ·

وبعد ذلك بحوالى شهرين وجد البواب نفسه فى حاجة للمال ، فقرر أن يأخذ القرعة الى محل بيع تحف قريب ليرى اذا كان يستطيع الحصول على أى مقابل لها · تفحص صاحب المحل القرعة بعناية ، ثم قال بنبرة شخص غير مهتم وهو يناولها للبواب ثانية :

ـ يمكن أن أعطيك خمسة ين مقابلها ·

اندهش البواب ، ولكنه كان رجلا عجوزا داهية ، فأخفى اندهاشه وأجاب ببرود :

ـ بالتأكيد لا أبيعها بذلك ·

فرفع صاحب المحل عرضه فى الحال الى عشرة ين ، ولكن البواب كان كمن قدمن الصخر ·

وفى النهاية كان على صاحب المحل أن يدفع خمسين ينا مقابل القرعة · وترك البواب المحل سعيدا بحظه · فلم يحدث كثيرا أن يعطى المدرسون هدية مجانية لأحد تساوى أجر سنة ! وكان حاذقا فلم يذكر الموضوع لأى أحد · ولم يسمع سيبى ولا المدرس بما حدث للقرعة ·

نعم كان البواب حذقا ·· لكنه لم يكن حذقا بما فيه الكفاية : فهو لم يتخيل أن هذه القرعة نفسها يمكن أن يبيعها صاحب المحل الى هاو ثرى فى المنطقة بستمائة ين !

والآن أصبح سيبى منهمكا فى صوره · ولم يعد يشعر بأية مرارة تجاه مدرسه ، ولاتجاه أبيه الذى حطم كل قرعه الثمين ·

ومع ذلك فقد بدأ والده بالتدريج يعنفه من أجل رسم الصور !

اللص (١)

جونيتشيرو تانيزاكي

★ جونيتشيرو تانيزاكي (١٨٨٦ ـ ١٩٦٥) :

من أهم الروائيين اليابانيين المحدثين . وكان ادجار الان بو ، واوسكار وايلد ممن يعجب بهم من كتاب الغرب ، فتأثر بهما واتضح ذلك في أعماله الأولى . وبعد كارثة الزلزال التي وقعت في طوكيو عام ١٩٢٣ ، تركها تانيزاكي وانتقل الى كيوتو عاصمة اليابان القديمة . وكانت هذه الانتقالة أكثر من انتقالة جغرافية ، اذ أن أعماله قد انتقلت أيضا من تحت ظل الأدب الغربي عائدا الى يابان التقاليد . ومن أشهر رواياته « الاخوات ماكيوكا » (١٩٤٦ ـ ١٩٤٨) ، وهي عمل طويل يصور بايجاز تاريخ حياة أسرة وحياة عصر بأكمله . ويتسم عمل تانيزاكي بعين لاقطة لما هو ثانوي من الأمور مع سرد التفاصيل . كما يتسم بكونه مجسا سيكولوجيا عجيبا .

★ ★ ★

كان هذا منذ سنوات ، في المدرسة حيث كنت أتأهل لدخول جامعة طوكيو .

واعتدت أنا وزملائي في الحجرة بالسكن الداخلي أن نقضي وقتا طويلا فيما كنا نسميه « دراسة ضوء الشموع » (حيث كانت الدراسة قليلة جدا) ، وفي احدى الليالي بعد اطفاء الأنوار بفترة طويلة كنا أربعتنا نفعل نفس الشيء ، نجتمع جاثمين حول الشمعة نتحدث ، ونتحدث .

---

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : هوارد هيبت .

وأذكر أننا كنا نتبادل احدى مناقشاتنا المضطربة الحارة عن الحب ·· تلك المشكلة التى كانت عظيمة الشأن عندنا فى تلك الأيام · وبعد ذلك ، مع مجرى التطور الطبيعى للأمور ، تحولت المناقشة الى موضوع الجريمة : فوجدنا أنفسنا نتحدث عن أشياء مثل الاحتيال والسرقة والقتل ·

وقال واحد منا :

ـ من أكثر الجرائم احتمالا أن نقترفها من كل الجرائم ، هى جريمة القتل ·

قال هذا هيجوتشى وهو ابن أستاذ مشهور ·· وأضاف قائلا :

ـ ولكنى لا أعتقد أنى أسرق مطلقا ·· لمجرد أنى لا أقدر على فعل ذلك · وأظن أننى أستطيع أن أصادف أى نوع من الأشخاص ، ولكن اللص ··· يبدو أنه ينتمى الى جنس بشرى مختلف ·

وغيمت سحابة نفور على ملامحه الجميلة · وأكد هذا العبوس وسامته ·

وهذه المرة كان هيراتا الذى تكلم وتساءل :

ـ أسمع أن هناك سلسلة متلاحقة من السرقات فى السكن مؤخرا أليس كذلك ؟

والتفت الى ناكامورا زميل حجرتنا الآخر ·

ـ أجل ، ويقولون ان اللص واحد من الطلبة ·

فسألت :

ـ كيف عرفوا ·· ؟

فأخفض ناكومورا صوته الى همس سرى قائلا :

ـ حسنا ، اننى لم أسمع كل التفاصيل ·· ولكنها بشكل متكرر ، لابد أنها عملية داخلية ·

فوضح هيجوتشى قائلا :

ـ ليس ذلك فقط ، فأحد الزملاء فى الجناح الشمالى كان داخلا الى حجرته فى ذلك اليوم عندما دفع شخصا ما الباب وفتحه من الداخل وأمسك به وصفعه بشدة على وجهه ، وركض مبتعدا عن القاعة ونزل · وركض

وراءه ولكن في الوقت الذى نزل الى نهاية السلم كان الآخر قد اختفى عن البصر · ولما رجع الى حجرته وجد درجه وأرفف الكتب فى حالة فوضى وكان ذلك من فعل اللص · · ·

ــ هل رأى وجهه ؟

ــ كلا لقد وقع كل شيء بسرعة كبيرة ولكنه يقول انه يشبه واحدا منا ، في طريقة ارتدائه ملابسه · من الواضح انه ركض نازلا من القاعة وسترته مشدودة فوق رأسه · الشيء الأكيد أن سترته عليها شعار زهرة الوستارية (١) ·

فقال هيراتا :

ــ شعار زهرة الوستارية ؟ لا يمكنك اثبات أى شيء بذلك ·

ربما كان ذلك من خيالى فقط ، ولكنى اعتقدت أنه أومض بنظرة شك نحوى · وفى نفس اللحظة شعرت أننى نحيت وجهى بشكل غريزى · حيث ان شعار أسرتى هو تصميم زهرة الوستارية · ولكنى بالصدفة لم أكن مرتديا سترتى ذات الشعار فى تلك الليلة ·

فقلت محاولا أن أتغلب على ارتباكى بسبب هذه اللحظة من الضعف :

ــ اذا كان اللص واحدا منا ، فلن يكون من السهل القبض عليه · ولا أحد يريد أن يصدق بوجود لص بيننا ·

فقال هيجوتشي مؤكدا :

ــ كلا ، سوف يمسكونه فى يومين ·

ولمعت عيناه وهو يقول :

ــ هذا سر ، ولكنهم يقولون انه عادة ما يسرق أشياء من غرفة الملابس بالحمام · والمراقبون يقومون بعملهم منذ يومين أو ثلاثة · انهم يختبئون فوق وينظرون الى أسفل عن طريق فتحة صغيرة ·

فسأل ناكامورا :

ــ أوه ؟ من أخبرك بذلك ؟

ــ واحد من المراقبين · ولكن لا تدور وتتحدث بذلك ·

---

(١) زهرة تسمى الحلوة · من نبات متعرش له زهر عنقودى أزرق أو أبيض أو ارجوانى ·

فقال هيراتا ، وهو يبدو مشمئزا :

ـ اذا كنت قد عرفت كل هذا ، فمن المحتمل أن اللص يعرف هذا أيضـــا !

وهنا يجب أن أفسر بأن هـيراتا وأنا لم نكن على وفاق تام · فى الحقيقة ، كنا فى ذلك الوقت بالكاد يتحمل أحدنا الآخر · أقول « نحن » ، ولكنه هيراتا الذى اتخذ موقف الكراهية الشديدة نحوى · وطبقا لما قاله أحد أصدقائى ، انه قال ذات مرة بازدراء بأننى لست كما يعتقد كل الناس ·· وانه سيجد فى يوم ما الفرصة ليكتشفنى · وقال أيضا :

ـ لقد مللت منه · انه لن يكون صديقا لى أبدا ·· انى أتعامل معه على سبيل الشفقة !

قال مثل هذه الأشياء من وراء ظهرى ، ولم أسمعها منه مباشرة مطلقا ، رغم أنه كان من الواضح أنه ينفر منى · ولكن لم يكن من طبيعتى أن أطلب تفسيرا · وقلت فى نفسى :

ـ اذا كان هناك عيب ما فى ، فيجب أن يقول ذلك · واذا لم يكن كريما ليخبرنى بما هو ، أو اذا كان يعتقد أننى لا أستحق الاهتمام ، اذن فلن أفكر فيه كصديق أيضا ·

وشعرت بشىء من العزلة عندما فكرت فى احتقاره لى ، ولكننى لم أقلق فعلا لذلك ·

كان هيراتا نموذجا للرجولة وله قوام رياضى جميل ، كانت مدرستنا تفتخر به · أما أنا فقد كنت نحيفا شاحبا عصبى المزاج ·· كان هناك شىء ما أساسى متنافر بيننا · ويجب أن أسلم بحقيقته وهى أننا نعيش فى عالمين منفصلين · كان هيراتا خبير جودو رفيع المستوى وكان يستعرض عضلاته وكأنه يقول :

ـ انتبه ، والا أعطيتك « علقة » !

ربما يبدو جبنا منى أن أتخـذ هذا الخنوع تجاهه ، وكنت بدون شك أخشى قوته الجسمانية ، ولكن لحسن الحظ كنت لا أبالى بأمور الهيبة أو الكبرياء التافهة ·

ـ لا أهتم بازدراء الشخص الآخر ، طالما أستطيع الاستمرار فى الايمان بنفسى فلن أحتاج الى الشعور بالمرارة نحوه ·

هكذا كان تفكيرى ، ولذلك كنت قادرا على مقابلة غطرسة هيراتا بشهامتى الباردة • بل قلت لأحد الأولاد :

– انى لا أستطيع أن أجبر هيراتا على أن يفهمنى ، ولكنى أقدر آراءه على كل حال !

وبالفعل أومن بذلك • انى لم أعتبر نفسى جبانا أبدا • بل وكنت مغرورا بعض الشىء ، ومعتقدا بأننى لا بد أن أكون شخصا ذا ميزات نبيلة لكى أستطيع أن أمدح هيراتا من صميم قلبى •

– شعار زهرة الوستارية ؟

فى تلك الليلة عندما ألقى هيراتا نظرته المباغتة على ، لقد أثارت أعصابى النظرة الماكرة فى عينيه • ماذا كانت تعنى هذه النظرة ؟ هل كان يعرف أن شعار عائلتى هو زهرة الوستارية ؟ أم أننى شعرت بذلك بسبب أحاسيسى الخاصة ؟ اذا كان هيراتا يشك فى . فكيف لى أن أتناول الموقف ؟ ربما يجب أن أضحك بشكل طبيعى وأقول :

– اذن فأنا فى مجال الشك أيضا لأن هذا الشعار شعار عائلتى ••

فاذا ضحك الآخرون معى ، كنت على ما يرام • ولكن افترض واحدا منهم ، هيراتا مثلا ، بدأ ينظر مجهما أكثر وأكثر •• ماذا اذن ؟ •• عندما تصورت هذا المنظر لم أستطع التكلم جيدا باندفاع •

كان يبدو من الحمق أن أقلق بهذا الخصوص ، ولكن أثنـاء هـذا السكوت القصير ، تسابقت جميع أنواع الأفكار عبر ذهنى •

– فى هذا الموقف بالذات ما الفرق بالفعل بين رجل برىء ومجرم حقيقى ؟

وشعرت عندئذ بأنى أخوض اضطراب وانعزال مجرم • لقد كنت واحدا من أصدقائهم حتى لحظة مضت ، واحدا من الصفوة فى مدرستنا المشهورة • ولكن الآن ، حتى ولو كان ذلك فى خيالى ، فقـد أصـبحت انسانا منبوذا • كان شيئا منافيا للعقل ، ولكنى عانيت من عدم قدرتى على الثقة فيهم • لقد كنت غير مرتاح ازاء حالة هيراتا النفسية •• هيراتا الذى كان من المفروض أن يكون ندا لى •

لقد قال هيجوتشى ربما بشكل اعتيادى جدا :

– يبدو أن اللص ينتمى الى جنس مختلف •

ولكن هذه الكلمات ترن صداها فى عقلى بشكل منذر بالسوء ٠

ـ ينتمى اللص الى جنس مختلف ٠٠٠

لص ! يا له من اسم مقيت ! اعتقد أن الذى جعل اللص مختلفا عن الآخرين ليس فعله الاجرامى نفسه فحسب بل أكثر منه مجهوده فى اخفائه مهما كلفه ذلك ٠ والجهد فى حالة التـــوتر بابعاده عن تفكيره ، والمخاوف المظلمة بأنه لا يمكن أن يعترف مطلقا ٠ والآن بدأت أتدثر بهذه الظلمة ٠ كنت أحاول ألا أصدق بأننى موضع شك ، كنت قلقا بخصوص مخاوف لا يمكننى الاعتراف بها لأقرب صديق ٠ بالطبع لأن هيجوتشى كان يثق بى ، فأخبرنى بما سمعه من المراقب ٠ لقد قال :

ـ لا تدور وتتحدث بذلك ٠

وكنت سعيدا ٠ وفكرت ٠ لكن لماذا أشعر بالسعادة ؟ على كل ، فان هيجوتشى لم يشك فى أبدا ٠ وبدأت بشكل ما ، أتساءل عن الباعث الذى من أجله أخبرنا بذلك ٠

لقد جال بخاطرى انه حتى لأكثر الناس طهرا فلا بد أن تكون له ميول اجرامية ، وربما لست وحدى الذى يتخيل امكانية أن أكون لصا ٠ وربما كان الآخرون يجربون قليلا من نفس الانزعاج ونفس التيه ٠ اذا كان الأمر كذلك ، فلا بد أن هيجوتشى الذى شاركه المراقب لوحده بسره ، شعر بالفخر الشديد ٠ وكان هو من بيننا نحن الأربعة ، أكثرنا محلا للثقة ، وأقلنا احتمالا أن ينتمى الى « الجنس المختلف » ٠

واذا كان قد كسب هذه الثقة لأنه جاء من أسرة غنية وكان ابنا لبروفسير مشهور ، اذن فمن الصــعب ألا أحسده ٠ وكمــا أن حالته الاجتماعية حسنت من أخلاقه ، فكذلك جذوره الاجتماعية ٠٠٠ كنت خجلا بالفعل من كونى طالب منحة ، وابن مزارع فقير ٠٠٠ فحط ذلك من أخلاقى ٠ ولكى أشعر بنوع من الأسى فى حضوره ليس له دخل سواء أكنت لصا أم لا ٠ اننا ننتمى بالفعل لجنسين مختلفين ٠ وأحسست أنه كلما ازداد ثقة فى ، مع صراحته ، وموقفه الواضح ، كلما تعمقت الفجوة بيننا ٠ وكلما حاولنا أن نكون أصدقاء مخلصين نضحك مع بعضنا فى ود ظاهر ، وننهمك سويا فى القيل والقال ، ازدادت المســافة بيننا ٠ ولا يوجد شيء أستطيع فعله ازاء ذلك ٠

وترددت بعد ذلك لمدة طويلة فى ارتداء سترتى التى عليها « شعار زهرة الوستارية » ٠ ربما اذا ارتديها بغير اكتراث فلن يلتفت اليها أحد ٠ ولكن نفترض أنهم نظروا نحوى وقالوا :

– آه ، انه يرتديها !

فقد يرتاب البعض فى ، أو يحاولون أن يكتموا شكوكهم فى ، أو يشعرون بالأسف من أجلى لأننى كنت موضع شك • واذا ارتبكت وشعرت بعدم الارتياح مع جميع الطلبة لا مع هيراتا وهيجوتشى فقط ، واذا شعرت عندئذ مضطرا بأنى يجب أن أخفى سترتى بعيدا ، فان ذلك سيزيدهم شكا •• وما كنت أخشاه ليست الحقيقة المجردة بأن أكون موضع شك ، بل كل العواطف غير السارة التى قد تتحرك فى الآخرين • واذا كنت سأتسبب فى غرس الشك فى عقول الآخرين فسأخلق حاجزا بينى أنا نفسى وبين هؤلاء الذين كانوا أصدقائى دائما • وحتى السرقة نفسها لم تكن بقبح الشكوك التى قد تنشأ بسببها • لا يريد أحد أن يفكر فى كلص : طالما لم يثبت ذلك ، انهم يريدون أن يستمروا فى المزاملة معى بحرية كما كانوا دائما ، مجبرين أنفسهم على أن يثقوا فى • والا فما معنى الصداقة ؟ سواء لص أولا ، فقد أكون مذنبا باثم أسوأ من السرقة من صديق : اثم افساد صداقة • وزرع بذور الشك عن نفسى تعد جريمة • انها أسوأ من السرقة • واذا كنت لصا حصيفا ماهرا – كلا ، لا يجب أن أقولها بهذه الطريقة – اذا كنت لصا ليس عندى أى ذرة ضمير أو اعتبار للناس الآخرين ، فسأحاول أن أحافظ على صداقتى غير ملطخة . أحاول أن أكون صريحا مع أصدقائى ، أعاملهم باخلاص ودفء لا أخجل منهم أبدا ، بينما أستمر فى سرقاتى فى السر ربما سأكون ما يسمونه الناس « لص صفيق » ، ولكن اذا نظرت اليها من وجهة نظر اللص ، فهى أشرف طريقة تتخذ ، **وقد يقول مثل هذا الرجل :**

– حقيقة أننى أسرق ، ولكن من الحقيقة أيضا أننى أقدر أصدقائى !

وهذا نموذج جيد للص ، ولهذا فهو ينتمى الى جنس مختلف •

على أية حال ، عندما بدأت التفكير بهذه الطريقة ، لم أستطع مقاومة اتساع المسافة بينى وبين أصدقائى • وكنت أشعر وكأننى أصبحت لصا ناضجا •• !

وفى أحد الأيام جمعت شجاعتى وارتديت السترة ذات الشعار داخل ملاعب المدرسة • وتصادف وقابلت تاكامورا ، وبدأنا نمشى سويا ، **فقلت:**

– على فكرة ، اسمع انهم لم يمسكوا باللص بعد •

فأجاب تاكامورا ، وهو يتطلع بعيدا :

– هذا صحيح •

ـ لم لا ؟ ألم يستطيعوا صيده فى الحمام ؟

ـ لم تحدث سرقات هناك مرة أخرى ، ولكن ما زلنا نسمع عن سرقة أشياء كثيرة فى أماكن أخرى . يقولون ان المراقبين نادوا هيجوتشى ذلك اليوم وأنبوه لافشاء خطتهم .

ـ هيجوتشى ؟

فشعرت وكأن اللون يتصفى من وجهى .

فتنهد قائلا فى ألم :

ـ أجـــل !

وتدحرجت دمعة على خده وهو يضيف قائلا :

ـ أرجو أن تغفر لى ! لقد كتمت عنك الخبر حتى الآن ، ولكن أعتقد انك يجب أن تعرف الحقيقة . انك لن تحب ذلك ، ولكنك أنت الشخص الذى يشك فيه المراقبون . اننى أكره أن أتحدث بذلك ... اننى لم أشك فيك مطلقا للحظة واحدة . اننى أومن بك . ولأنى أومن بك فكان لزاما على أن أخبرك . آمل ألا تأخذها ضغينة ضدى .

ـ شكرا على اخبارى . اننى ممتن لك .

كانت الدموع فى عينى أنا أيضا ولكن فكرت فى نفس الوقت :

ـ لقد جاءت أخيرا ! على قدر ما كنت أخشاها . لقد كنت متوقعا هذه اللحظة أن تأتى .

وقال ناكاهورا ليخفف عنى :

ـ فلنغير الموضوع . اننى أشعر بالراحة اننى قد أخبرتك .

ـ ولكننا لا يمكن أن نلغيها من أذهاننا لمجرد أننا نكره أن نتكلم عنها . اننى أقدر كرمك ، ولكنى لست الوحيد الذى أصيب بالخزى ... لقد جلبت العار عليك أيضا ، كصديق لى . مجرد حقيقة أنى موضع شك تجعلنى غير جدير بالصداقة . على أية حال تنظر اليها ،فسمعتى تحطمت. أليس كذلك ؟ .. أتصور أنك ستدير لى ظهرك !

فبدا ناكاهورا منزعجا لنبرتى اللائمة فقال :

ـ أقسم انى لن أفعل ذلك ... ولا أعتقد أنك جلبت أية عار على . ولا حتى هيجوتشى . لقد قالوا انه فعل ما فى وسعه ليدافع عنك أمام المراقبين . لقد أخبرهم بأنه يشك فى نفسه قبل أن يشك فيك .

ـ لكنهم ما زالوا يشكون فى ، أليس كذلك ؟ لا فائدة من أن تخاف على أحاسيسى · أخبرنى بكل ما تعرفه ، فهذا أفضل لى ·

عندئذ قال ناكامورا مفسرا فى تردد :

ـ حسن ، يبدو أن المراقبين عندهم كل التفاصيل · ومنذ أن تكلم هيجوتشى كثيرا تلك الليلة ولم تحدث أية سرقات بالحمام ، ولهذا السبب قد شكوا فيك ·

ـ ولكنى لم أكن الوحيد الذى سمعته !

لم أقل ذلك ، ولكن الفكرة طرأت لى فى الحال ، وجعلتنى أشعر بالوحدة والبؤس أكثر ·

ـ ولكن كيف عرفوا أن هيجوتشى أخبرنا ؟ لم يكن يوجد الا أربعتنا فقط تلك الليلة ، فاذا لم يعرف ذلك أى أحد آخر ، واذا كنت أنت وهيجوتشى تثقان فى ···

فقال ناكامورا مع نظرة متوسلة :

ـ عليك أن تستنتج بنفسك ، انك تعرف من هو · انه يخطىء فى الحكم عليك ، ولكنى لا أريد أن أنتقده ·

وانتابتنى برودة مفاجئة · وشعرت وكأن عينى هيراتا تحملقان فى عينى ·

ـ هل تكلمت معه عنى ؟

ـ أجل ··· ولعلك تدرك أن ذلك ليس سهلا ، حيث اننى صديقه وصديقك أيضا · فى الحقيقة لقد حدث بيننا نقاش طويل الليلة الماضية ، ويقول انه سيترك السكن · وهكذا سأخسر صديقا على حساب آخر ·

فامسكت بيد ناكامورا وضغطت عليها بشدة وقلت :

ـ انى ممتن لأصدقاء مثلك وهيجوتشى ·

وانهمرت الدموع من عينى ، وبكى ناكامورا أيضا · وشعرت لأول مرة فى حياتى أننى أخوض تجربة دفء الحنو الانسانى بالفعل · وهذا ما كنت أبحث عنه عندما كنت أتعذب باحساس العزلة اليائسة · ولا يهم كم أنا لص أثيم ، فلا أقدر مطلقا أن أسرق أى شىء من ناكامورا ·

وقلت بعد فترة :

ـ أقول لك الحقيقة ، اننى لا أستحق الازعاج الذى أسببه لك . انى لا أستطيع أن أقف صامتا وأراكما أنتما الاثنين تخسران صديقا طيبا من أجل واحد مثلى . وحتى رغم أنه لا يثق فى فلا زلت أحترمه . انه أفضل منى بكثير . اننى أقدره كما يقدره كل شخص . لذلك لماذا لا أترك أنا السكن بدلا منه ، اذا وصـــل الأمر لذلك ؟ أرجوك ـ دعنى أذهب ، وتبقون ثلاثتكم تعيشون ســويا . وحتى لو كنت وحـدى ، فسأشعر بشعور أفضل .

فقال ناكامورا وصوته مشحون بالعاطفة :

ـ ولكن ليس هناك سبب لتترك السكن . اننى أقدر مزاياه أيضا ، ولكنك أنت الشخص المضطهد .. اننى لن أقف بجانبه والا لن أكون منصفا . واذا تركت فيجب أن نترك أيضا . أنت تعرف كم هو عنيد ... فاذا عقد العزم على الذهاب فلن يغيره . فلماذا لاتدعه يفعل مايرضيه ؟ ونحن بالتالى ننتظره ليعود الى عقله ويعتذر . ولن يستغرق ذلك وقتا طويلا على أية حال .

ـ لكنه لن يعتذر أبدا ، سيستمر فى كراهيتى الى الأبد .

ويبدو أن ناكامورا افترض أنى أشعر بامتعاض نحو هيراتا **فقال بسرعة :**

ـ أوه ، لا أعتقد ذلك ، أنه سيلتزم بكلمته .. وهذه هى قوته وضعفه فى نفس الوقت ... ولكن عندما يعرف أنه على خطأ سيأتى ويعتذر وينفض الموضوع تماما .

فقلت مفكرا :

ـ سيكون جميلا اذا فعل ... ربما يعود اليك ، ولكنى لا أعتقد أنه سيعيد الصداقة معى ثانية ... ولكنك على حق ، فهو جدير بأن يحب . أتمنى فقط أن يحبنى أيضا .

وضـــع ناكامورا يـده على كتفى وكأنه يريد أن يحمى صـــديقه المسكين ، بينما كنا نتهادى بفتور على الحشائش الخضراء . كان الوقت مساء وكان هناك ضباب خفيف معلق فوق ملاعب المدرسة : فكان يبدو وكأننا فى جزيرة محاطة ببحار رمادية لا نهاية لها . ومن حين لآخر يرمقنى بعض الطلبـة السائرين فى الطريق الآخر ويستمرون فى طريقهـم . ففكرت ، أنهم يعرفون الحكاية ، فهم ينبذوننى . وشعرت بعزلة ساحقة .

وبدا فى تلك الليلة أن هيراتا قد غير رأيه ، فلم يبد أى نية لترك السكن · ولكنه رفض أن يتكلم معنا ··· حتى مع هيجوتشى وناكامورا ·

وقررت ، حتى بالنسبة لى أن أغادر فى هذه المرحلة ··· كان شيئا مستحيلا · لن أبدو فقط بأننى أتجاهل كرم أصدقائى بل سأظهر اتهامى بنفسى أكثر · فيجب أن أنتظر لبعض الوقت ·

وكان صديقاى يقولان لى دائما :

– لا تقلق · فعندما يمسكونه سيتضح كل شيء ·

ولكن حتى بعد مرور أسبوع آخر ، والمجرم ما زال فى غيه والسرقات متكررة كما هى · وأخيرا حتى ناكامورا وهيجوتشى فقدا بعض النقود وبضعة كتب ·

وأذكر نظرة هيراتا التوبيخية **وهو يلقى بتعليقه الساخر :**

– حسن ، لقد أصابتكما السرقة أنتما الاثنين أخيرا ؟ولكن عندى احساس بأن بقيتنا لن تمس

وبعد العشاء ، كان ناكامورا وهيجوتشى عادة يذهبون الى المكتبة ، ويتركانى أنا وهيراتا نواجه بعضنا البعض · فوجدت هذا غير مريح على الاطلاق ، لذلك بدأت بقضاء الأمسيات بعيدا عن السكن ، اما بالذهاب الى المكتبة أيضا ، أو التجوال · وفى احدى الليالى عدت حوالى التاسعة والنصف من تجوالى ودخلت حجرة دراستنا والغريب أن هيراتا لم يكن هناك ، ولا يبدو أن الآخرين قد عادا أيضا · فذهبت لأنظر فى حجرة نومنا ، ولكنها كانت خاوية أيضا ، فعدت ثانية الى حجرة الدراسة واتجهت الى درج هيراتا · وبسرعة فتحته وقلبت فى الخطاب المسجل الذى جاء له من البيت منذ أيام · كان فى داخل الخطاب ثلاث حوالات بريدية كل منها بعشرة « ينات » فنزعت واحدة منها ووضعتها فى جيبى · وأغلقت الدرج مرة ثانية ومشيت الهوينى خارجا الى الصالة ، ثم نزلت الى الساحة ، عابرا ملعب التنس ، متجها الى التجويف المظلم ذى الأعشاب حيث أدفن دائما الأشياء التى أسرقها · **ولكن فى تلك اللحظة صرخ احدهم :**

– لص !

وانقض على من الخلف وطرحنى أرضا بضربة على راسى · **لقد كان هيراتا ·**

ـ هيا ، اعطنا ما لديك ! دعنا نرى ما حشرته فى جيبك !

فاجبت بهدوء ، مبتسما له :

ـ وهو كذلك ، وهو كذلك ، لا داعى أن تصيح هكذا · اعترف أننى سرقت حوالتك البريدية · واذا طلبتها ، فسأعيدها لك ، واذا قلت لى أن آتى معك فسأذهب معك الى أى مكان تقوله · وهكذا نحن متفاهمين · أليس كذلك ؟ ماذا تريد أكثر من ذلك ؟

بدا التردد على هيراتا ، ولكنه فى الحال بدأ يمطر ضرباته على وجهى بغضب · ولسبب ما لا أدركه لم يكن الألم بغيضا كلية · ولقد شعرت فجأة بالارتياح من الحمل المرهق الذى كان على عاتقى ، وقلت :

ـ لا جدوى من ضربى هكذا ، وأنا ساقط فى مصيدتك من أجلك · لقد اقترفت هذا الخطأ لأنك كنت متأكدا من نفسك ··· فكرت ، لماذا لا أستطيع أن أسرق منه ؟ ولكنك الآن كشفتنى ، وهذا كل ما فى الموضوع · وسنضحك فيما بعد سويا على ذلك ·

وحاولت أن أصافح هيراتا بشكل طبيعى ، ولكنه قبض على من الياقة ، وسحبنى الى حجرتنا · كانت هذه هى المرة الوحيدة التى بدا هيراتا فيها وضيعا فى نظرى ·

وأخذ هيراتا يختال فى غرفتنا ويدفع بى أرضـــا أمام ناكامـورا وهيجوتشى ، اللذين عادا من المكتبة وهو يقول :

ـ هاى ، أيها الزميلان ، لقد قبضت على اللص ! لايمكنكما أن تقولا انى خدعت فيه · وجاء الأولاد الآخرون ، عند سماعهم للاضطراب وأخذوا يحتشدون حول مدخل غرفتنا ·

وقلت لصديقى ، وأنا ألتقط نفسى من فوق الأرض :

ـ هيراتا صادق ! أنا اللص !

حاولت أن أتكلم بنبرة صوتى العادية ، وكأننى طبيعى ، ولكننى تحققت من أن وجهى كان شاحبا ، وقلت لهما :

ـ اعتقد انكما تكرهانى ، أو على الأقل تخجلان منى ··· كلاكما شريف ، ولكنكما سهلا الانخداع بكل تأكيد · ألم أقل لكما الحقيقة مرات ومرات ؟ بل وحتى قلت : « اننى لست الشخص الذى تظنونه · هيراتا

هو الثقة . انه لن ينخدع أبدا » .. ولكنكما لم تفهما .. لقد أخبرتكما : « حتى لو أصبحتما على وفاق مع هيراتا مرة أخرى ، فلن يصادفنى أنا أبدا ! » . بل وقلت أيضا « اننى أعرف أفضل من أى شخص كم أن هيراتا شخص ممتاز ! » ألم يكن هذا ما قلت ؟ اننى لم أكذب عليكما ، أليس كذلك ؟ قد تسألون لماذا لم أعلن وأقول لكما الحقيقة الكاملة . من المحتمل انكما تظننان بأننى كنت أخدعكما . ولكن حاولا أن تنظرا للموضوع من موقفى .. أنا آسف . ولكن السرقة شيء لا أستطيع التحكم فيه . ومع ذلك ، لم أحب أن أخدعكما ، لذلك قلت لكما الحقيقة بطريقة ملتوية . لم أستطع أن أكون شريفا أكثر من ذلك .. أنها غلطتكما أنكما لم تاخذا بتلميحاتى . ربما تظنون أنى لست الا ضالا ، ولكنى لم أكن أكثر جدية مطلقا . وقد تسألوننى لم لا أترك السرقة اذا كنت قلقا بهذا الشكل لأكون أمينا . لكن هذا ليس بسؤال عادل . لقد ولدت لصا ، ولقد حاولت أن أكون مخلصا قدر ما أستطيع تحت هذه الظروف . لم يكن هناك شيء آخر أستطيع عمله . وحتى آنئذ ، أزعجنى ضميرى ... ألم أطلب منكما أن أغادر السكن بدلا من هيراتا ؟ لم أكن أحاول خداعكما ، أردت فعلا أن أفعل ذلك من أجلكما . صحيح أننى سرقت منكما ولكن من الصحيح أيضا أننى صديقكما . أناشد صداقتكما : أريدكما أن تفهما أن حتى اللص له أحاسيس .

وقف ناكامورا وهيجوتشى هناك فى صمت ينظران بدهشة .

ـ حسنا ، أرى أنكما تعتقدان أننى جرىء أكثر من اللازم . انكما لا تفهماننى . وأظن أنه لا علاج لذلك ، طالما أنكما من جنس مختلف . وابتسمت لأخفى مرارتى ، **وأضفت قائلا :**

ـ ولكن طالما أنا صديقكما ، فسأحذركما بأنها ليست المرة الأخيرة لحدوث مثل هذا . لذلك خذا حذركما ! فقد أقمتما صداقة مع لص بسبب سهولة انخداعكما . ومن المحتمل عندما تخرجان لمعترك الحيـــاة أن تصطدمان بالعناء . ربما درجاتكما أفضـــل فى المدرسة ، ولكن هيراتا أفضل منكما . لا يمكنكما خداعه !

وعندما أفردت له ثناء ، صعر هيراتا خده وتتطلع بعيدا . فى هذه اللحظة بدا مرتبكا بشكل غريب .

لقد مرت سنوات كثيرة على ذلك . ولقد أصبحت لصا محترفا ، وكنت دائما خلف القضـــبان ، ومع ذلك لا أنسى تلك الذكريات ...

خصوصا ذكرياتى عن هيرتا · وعندما أكون على وشك اقتراف جريمة ، أرى وجهه أمامى · أراه يختال متعاليا كما هو دائما ، يسخر منى قائلا :

ـ تماما كما ظننت !

أجل ، كان رجلا له شخصية واعدة · ولكن العالم ملىء بالألغاز · فالتنبؤ بأن هيجوتشى الساذج « سيصدم بالعناء » كان خطأ : فلقد شق طريقه بنجاح ، الى حد ما ، عن طريق نفوذ أبيه ··· وسافر للخارج ، ونال درجة الدكتوراة ، والآن يحتل منصبا كبيرا فى وزارة السكة الحديد· بينما لا يدرى أحد ما قد حدث لهيراتا · فلا غرابة فى أن أظن الحياة شيئا لا يمكن التنبؤ به ·

وأؤكد لقارئى أن هذه القصة حقيقية · ولم أكتب كلمة واحدة كاذبة هنا · وكما آملت من ناكامورا وهيجوتشى ، آمل أن تصدق أنه يمكن لهذه الحيرة الأخلاقية الدقيقة أن توجد فى قلب لص مثلى ·

ولكن ربما لن تصدقنى أيضا · الا اذا بالطبع (مع معذرتى لاقتراح ذلك) حدث وانتميت الى جنسى ··



الجندى (1)

كاتاى تاياما

★ كاتاى تاياما (١٨٧١ - ١٩٣٠) :

اصبح تاياما مغرما بالكتب منذ صـــغره . فقرأ بنهم فى الأدب اليـــابانى والغربى بدون دراســة اكاديميـــة ســابقة ٠ وبدأ بكتــابة عــدد من الروايات وفشــلت ، ولكنه شق طريقه ، وبزغ نجمه بعد الحرب اليـــابانية الروســية (١٩٠٤ - ١٩٠٥) التى خدم فيهــا كمراسل صحفى ٠ وخرج من تجــاربه فيهــا بكتابة اعظم اعماله الأدبية بالطريقة المتســمة بالمذهب الطبيعى التى كانت شــائعة فى ذلك الوقت ، مع تأكيـد على الصراحة والتفصيل الدقيق ٠ وظهرت قصة « الجندى » فى عام ١٩٠٨ ، وهى نمط لأفضل اعماله ٠ واهم ما يميزها موقفها المعــادى للحرب فى وقت ازدهار سياسة التوسع الاقليمى باليابان ٠

★ ★ ★

وعاد للمشى ثانية ٠

كانت البنــدقية ثقيلة ، وكان الحمل ثقيلا ، كذلك كانت ساقاه ثقيلتين ٠٠ وكانت زمزميته الألمنيوم تتخبط فى « سونكى » بندقيته فى جلبة ٠ وكان الصوت يصر فى أعصابه المتوترة بشكل فظيع ، وحاول أن يسكتها بطريقة وأخرى وثالثة ، ولكن القرقعة استمرت على ما هى عليه ٠ واستسلم ٠

---

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : ج٠ و٠ سارجنت ٠

لم يكن الاعياء قد ذهب عنه في الحقيقة . وكان يتنفس بصعوبة ·
ومرت عبر هيكله نوبات قشعريرة وتقلصات سخونة وبرودة ثلجية
بدون توقف · واشتعل رأسه كالنار ، ونبض صدغاه · ما الذى جعله
يغادر المستشفى ، انه يتعجب ؟ لماذا ·· عندما طلب منه الطبيب
العسكرى أن يبقى ·· لماذا اذن غادر المستشفى ؟ سأل السؤال . ولكنه
لم يشعر بأى ندم على قراره · كان هناك خمسة عشر منهم ، كانوا
مرضى · وجرحى · راقدين على ألواح خشبية جرداء فى غرفة صغيرة ،
فى جزء من منزل متهدم تركه العدو المتقهقر · لقد تحمل ولمدة عشرين
يوما ·· العفن والقذارة ، والأنين ، وضيق المكان القابض للصدر ،
وأسراب الذباب المرعبة · وبالنسبة للطعام ، كان عندهم عصيدة نخالة
الأرز مع مجرد ذرة ملح ، ولقد عرف قرصات الجوع · وشعر الآن
بالغثيان وهو يسترجع ذكرى المرحاض الذى كان يقع فى مؤخرة
المستشفى كانت الجور ضحلة ، ومحفورة فى عجلة ، فتلسع النتانة
عينيك وأنفك بشكل جبرى ·· ويحوم الذباب حولك ، ذباب قذر
وأسود كالفحم ·

كان أى شىء أفضل من ذلك ·· وهنا فى هذا السهل العريض
المكشوف ملاذ أفضل ·· كانت سهول مانشوريا فسيحة قاحلة الا من
حقول قصب السكر الطويل اليانع · ولكن الهواء كان نقيا ونظيفا ·
توجد شمس تشرق ، توجد سحب ، توجد جبال ·· وفجأة سمع
جلبة صاخبة ، فتوقف والتفت فى اتجاهها · كان نفس القطار الذى قد
شاهده من قبل ، لا يزال فى مساره · ومئات من الحمالين الصينيين
يحتشدون حول الوحش المسخ الطويل الذى بلا غلاية وبلا مدخنة ،
يتدافعون بجنون مثل النمل العائد الى عشه بفريسة عملاقة ، وأشعة
شمس المساء المائلة عبر المنظر تعطيه وضوحا مصطنعا ·

وكان ضابط الصف الذى لاحظه من قبل ما زال راكبا القطار ·
ها هو ، الذى يقف بمفرده فوق عربة الشحن مع أعلى حمل لأجولة الأرز
فصاح فيه قائلا :

ـ اننى مريض · لا أستطيع المشى · هل تسمح لى بالركوب حتى
أنشان ؟

كان الزميل يضحك عليه وهو يقول له :

ـ ان هذا ليس قطارا للجنود · ليس عندى أية تعليمات تقول
بوجوب ركوب المشاة فوق القطارات ·

ـ انني مريض · ألا ترى أنني مريض ؟ انه البرى برى (٢) · اذا استطعت الوصول الى أنشان فستكون وحدتى هناك ، أنا متأكد · والجنود يجب أن يساعدوا بعضهم بعضا ، أنت تعلم · خذنى معك ، أرجوك !

وأخذ يتوسل اليه ، ولكن الزميل لم يكن ينصت · **كان يسخر فقط :**

ـ ما زلت جنديا نفرا ، ايه ؟ حان الوقت لتحصل لنفسك على بعض الشرائط ! ان الذين فازوا فى معركتى تشن تشو ، وتيلى سو ، هم الجنود ·· أليس كذلك ؟ يا أحمق ! يا بهيم !

وفجأة مر أمام عينى رأسه قطار مختلف ·· القطار الذى سافر فيه للحرب (٣) من الثكنات فى تويوهاشى · وكانت المحطة كتلة من الأعلام · وعادت الهتافات تعلو ـ بانزاى ! بانزاى (٤) ! وبدون انذار سابق ، وجد نفسه يحملق فى وجه زوجته · لم يكن الوجه المخضب بالدموع الذى ودعه عند البوابة ، لكنه الوجه الجميل المبتسم منذ لحظات ·· انه لا يذكر الوقت ولا المكان بالضبط ·· عندما قد جال فى جماله الحبيب بكل قلبه · والآن كانت أمه تهزه من كتفه · كانت تقول انه وقت الاستيقاظ · فقد يتأخر عن المدرسة · وانزلق خاطره بطريقة ما عائدا الى أيام مدرسته · والآن تلمع شمس المساء على صلعة قبطان المركب فى الخليج خلف منزله · كان القبطان يوبخ مجموعة من الأطفال، وكان هو أحد هؤلاء الأطفال ·

كانت هذه الظلال القادمة من الماضى والحقائق المؤلمة التعسة للحاضر متباينة الاختلاف بشكل واضح ولكن لا يفصلهما الا عرض شعرة · وكانت البندقية ثقيلة ، والحمل ثقيلا وساقاه ثقيلتين · وربما كان من وسطه الى أسفل رجلا آخر ، ولا يكاد يعرف ان كان هو الذى يمشى أم شخص آخر · وكان يمتد أمامه على مدى البصر الطريق البنى

---

(٢) مرض منتشر فى دول آسيا يسببه نقص فيتامين ب ومن أعراضه الهزال الشديد والاسهال والقىء ·

(٣) الحرب اليابانية الروسية عامى ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ ·

(٤) هتاف يابانى وطنى ·

بسطحه الطيني الجاف الذى حفرت فيه بعمق وبعثرته الأحذية الثقيلة والصنادل القش وعجلات جرارات المدافع التى غاصت فيه فى يوم ما ٠ كان يكن حبا قليلا نحو طرق مانشوريا هذه ٠ ما هى المسافة التى يجب أن يسيرها قبل أن ينتهى هذا الطريق ؟ والى متى يحتاج السير فيه ؟ أين الطرق الممهدة بالحصى الصغير فى الحى الذى فيه بيته ؟ والطرق الرملية الممتدة على طول شاطىء البحر ، مبتلة بعد المطر ٠٠ كم هو مشتاق لهذه المسطحات الناعمة السارة ٠

ان هذا طريق رئيسى كبير عريض ولكن لا ترى فيه قطعة ممهدة ناعمة ٠ وبعد مطر يوم واحد يصبح فى لزوجة جص الحائط المبتل فتغوص فيه بحذائك حتى ساقيك الى منتصفهما ٠ لقد سار مجهدا فى الظلام فى الليلة السابقة للمعركة فى تا ــ شيه ــ تشاو عبر عشرة أميـــال من المستنقعات الموحلة ٠ فتجمعت لطخ منها واتخذت أشكالا متراصة عـلى ظهر قميصه بل حتى على الشعر الذى ينبت خلف رأسه ٠ كان ذلك فى الوقت الذى بدأ فيه الجنود فى حمل عربات المدافع ٠ لقد غاصت العربات فى الوحل ولا تريد أن تتزحزح بوصة واحدة ، وأخذوا يدفعون ويدفعون ليعيدوا العربات للتحرك مـرة أخرى ٠ واذا فشلت الفـرقة الثالثة للمدفعية فى التحرك واتخاذ مواقعها فلن يكون هناك هجوم ٠ وبعد عمل استغرق طوال الليل هناك تمت المعركة بعدها فى اليوم التالى حيث أطلقت سيول لا متناهية من القنابل ، لهم وللعدو مرت من فوق الرؤوس باندفاع منتحب مقرف ٠ وشمس منتصف النهار الحارة تشيط هابطة مباشرة من أعلى ٠ وأصبحوا على نحو متلاحم مع مدفعية العدو بعد الساعة الرابعة ٠ وكانت هناك فرقعة نيران البنادق الحادة مثل فرقعة فشار الذرة فى المقلاة ٠ وكانت من حين لآخر تندفع احدى الطلقـــات محدثة أزيزا ملاصقا لأذنه ٠ ولقد لهث شخص فى خط القتال القريب، فالتفت من حـوله مذعورا ، فرأى الجندى ينقلب ناحيـة الأمام والدم يسيل ببطء من جـرح رصاصة فى معدته ، كان دما أحمر لامعـا فى شمس المساء الدافئة ٠٠ لقد كان ذلك الجندى من النوع الطيب : كان مبتهجا ، لا يشرب الخمر ، ويندمج فى أية جماعة بسرعة ٠ وبعد الانزال خرجا سويا فى مهام جمع المؤن ، ولقد اقتادوا الخنازير سويا ٠ ولكن ذلك الرجل قد ولى من عالم الأحياء ٠ كان من المستحيل التفكير فى ذلك لكن من المستحيل انكاره ٠

وعلى طول الطريق البنى الذى كان يسير فيه جاء رتل من العربات المحملة بامدادات الجيش ٠ كان بعضها يجره الحمير ، والبعض الآخـر يجره البغال ، وأنصت الى الصيحات الحادة للسائقين الصينيين ــ واهواء

وأهوا ، هوى !! ·· والى فرقعات السياط الطويلة وهى تومض فى شمس المساء · وكان الطريق مليئا بالمطبات العميقة حتى كانت العربات تتحرك فى سلسلة من الترنحات غير المريحة ، مثل المراكب عندما تتحطم وسط الأمواج · لقد شعر بالضعف ، وكان تنفسه صعبا كما هو دائما · ولم يعد يستطيع المواصلة على هذه الشاكلة · فبدأ يجرى خلف العربات ليطلب توصيله ·

وعادت « الزمزمية » الى القعقعة كلانج ·· كلانج !! وكانت تصر بشكل مزعج · وكانت النفايات فى حمله الذى على ظهره وجيوب الذخيرة التى تطوق خصره تصلصل فى ضجة الى أعلى والى أســفل · ويضرب أحيانا كعب بندقيته فى فخذه فيكاد يثب من الألم ·

ـ هيه ! هيه !

لا يستطيعون سماعه ·

ـ هيه ! هيه !

وضع كل قوة بدنه فى صياحه ، لقد سمعوا ، بالطبع ، ولكن لم يلتفت أحد منهم · لابد أنهم على يقين من أنهم لن يحصلوا على نقـــود مقابل التفاتهم · وكان يبطىء من خطوته من لحظة الى أخرى ·· وأخـذ يركض ثانية من خلفهم ، الى أن اقترب هذه المرة من آخـــر عربة فى الصـــف ·

كان حمل بالات القطن يطل من فوقه كالجبل · ورأى الرجـــل الصينى يلقى نظرة عاجلة خلفه · كان وجهه سمينا كريها ــ ولكنـه لم يعط الرجل فرصة أن يقول نعم أو يقول لا ·· وقفز فوق العربة ولهث فى ألم محاولا التنفس ، وثبت نفسه بين الأجولة · وحث الرجل الصينى بغاله ، مروضا نفسه لمعاناة هذا المتطفل ،والعربة ترتطم وتتمايل فى طريقها ·

وكان فى رأسه دوار ·· وبدت السماء والأرض تدوران من حوله ·· وكان صدره يوجعه وجبهته تنبض · انه سيصاب بالغثيان · وهاجمه احساس بالتعب وتوجس بالشر فى كل ركن من كيانه باصرار مخيف · وفى نفس الوقت عندما بدأ الترنح ثانية أخذت تهمس جميـــع أنواع الأصوات داخل رأسه ، وتقترب من حول أذنيه ·· لقد خاض نوبات مشابهة من قبل ، ولكن لم تكن احداها بهذا القدر من السوء ··

لابد أنهم قد تركوا السهل المفتوح ودخـــلوا قرية ، فتموجت صفصافة خضراء بظلها الكثيف من فوقه · وكانت أشعة شمس المساء تخترق الخضرة وتفشى عن كل ورقة شجر دقيقة بكل وضوح · ورأى أسطحا منخفضة قبيحة كانت تبدو مرتعشة ، وهم يمرون ، وكأن زلزالا عنيفا يهزها · وفجأة أدرك أن العربة قد توقفت ·

كانوا فى طريق تظلله أشجار الصفصاف · لقـــد أحصى خمس عربات تقف الواحدة تلو الأخرى ·

وأمسك به أحدهم من كتفه ·· وكان عريفا يابانيا :

ـ أنت هنا ، ماذا تفعل فوق العربة ؟

ورفع بصعوبة بدنه الموجوع ··

ـ ماذا تفعل بركوبك هذه العربة ؟

كانت مشكلة كبيرة ليقوم بشرح ظروفه · بل لقد فقد الرغبة فى أن يتكلم ·

ـ لا يمكنك أن تركب هنا · وحتى لو كان ذلك مسموحا ، فالحمل من قبل ثقيل · انك من الفرقة الثامنة عشرة ، ألست كذلك ؟

فأومأ بالموافقة ·

ـ ما هى الحكاية ؟

ـ لقد كنت بالمستشفى حتى أمس ·

ـ هل أنت أفضل الآن ؟

فأومأ ثانية ، ولكن بلا معنى محدد ·

ـ انه لحظ عاثر أن تكون مريضا ، ولكن عليك أن تنزل من هذه العربة · اننا فى عجلة من أمرنا · فالقتال سيبدأ فى لياوانج (٥) ·

ـ لياوانج !

كانت هذه الكلمة الوحيدة كافية لاثارة أعصابه الى أقصى حد ، وأضاف قائلا :

---

(٥) سميت معركة لياوانج على اسم مدينة فى شمال شرق الصين وهى المعركة التى دامت تسعة أيام وانتصرت فيها القوات اليابانية · انتصارا هاما ·

– هل بدأت بالفعل ؟

– ألا تسمع هذه المدافع ؟

لقد خيل له فى وقت مضى بأن ضجة مدمدمة قد بدأت من وراء الأفق ، ولكنه قال لنفسه لا يمكن أن تكون معركة لياوانج قد بدأت بعـد !

– هل سقطت أنشان ؟

– لقد أخذناها أول أمس . يبدو كأنهم سيضعون بعض المقاومة فى هذا الجانب من لياوانج . لقد بدأت المعركة ، كما يقـولون ، فى السادسة مساء .

أجل ، كان هناك قصف خافت بعيد ، واذا أنصت جيـدا ، فلن نخطىء ذلك . انها المدافع .. وتحركت الضوضاء القديمة الكريهة عبر الهواء من فوق رأسه . وكانت المدفعية تهاجم وتشق طريقـا ملتويا وسط خضم المعركة . وكانت الدماء تسيل . وأثناء وميض الأفكار عبر ذهنه خبر خليطا غريبا من الذعر والانجذاب . كان زمـلاؤه فى تلك المعركة ، وكانوا يريقون دماءهم من أجل الامبراطورية اليابانية .

لقد تصور رعب ميدان القتال ومناظر الانتصار . وهنا ، على بعد عشرين ميلا ، هنا فوق سهل مانشوريا كان كل شىء فى سلام ، لا يوجد غير نسمة خريف حزينة تهب من تحت شمس المساء . لقد كنست جيوش ساحقة هذه القرى تماما ، ولكن السلام فيها الآن لا يوحى مطلقا أنهـا قد أزعجت فى يوم ما .

– ستكون معركة كبيرة ، على ما أعتقد ؟

– بالتأكيد

– انها لن تنتهى فى يوم .

– بالطبع لا .

كان العريف يتكلم معه فى لهفة جندى لجندى ، بينما تطن فى آذانهما طلقات المدافع البعيدة . وكان سائقو العـربات الخمس قد تركوها بأحمالها الثقيلة وجلسوا القرفصاء فى دائرة مع العمال والحمالين الصينين يثرثرون بصوت مرتفع . وأضاءت اشعة شمس المساء آذان الحمير الطويلة وكان الهواء يتمزق من حين لآخر بالنهيق الحاد . وهناك بين شجر الصفصاف تقف خمسة أو ستة منازل ريفية صينية بيضـاء

الجدران ، واستطاع أن يرى فى حدائقها أشجار الباجودا الطويلة ٠ وهناك أيضا آبار وحظائر ٠ ورأى امرأة عجوزا مربوطة القدمين تسير بكد فى خطوات قصيرة خاطفة ٠ وكان ذلك السهل الفسيح الخاوى يظهر فى الخلف عبر الأوراق الخضراء لأشجار الصفصاف ٠

كان العريف يشير الى سلسلة من التلال البنية التى يربض من خلفها جبل عال أرجوانى اللون ٠ كان ذلك حيث تدوى طلقات المدافع ٠

تحركت العربات الخمس ٠

وتخلف هو ، وظل وحيدا مرة أخرى ، بعد أن قالوا أن مستودع تموين الجيش التالى فى هسين ـ تاى ـ تزو ٠ وذلك يعنى ثلاثة أميال أخرى ، ولكن ليس هناك مكان آخر يبيت فيه الليل الا اذا وصل هناك ٠

وعزم على الاستمرار فى السير ، وبدأ بالفعل ثانية ٠

وتحرك بصعوبة بالغة ، لأنه كان متعبا الى حد بعيد ، ومع ذلك كان المشى راحة بعد تلك العربة ٠ لم يتحسن الألم فى معدته ، ولكن لا معنى للقلق بخصوص ذلك الآن ٠

وعاد مرة أخرى الى الطريق البنى الممتد على مدى البصر ، ونفس حقول قصب السكر التى تمتد على الجانبين ، ونفس أشعة شمس المساء٠ وحتى نفس القطار كان مارا على قضبانه ٠٠ كان راجعا فى هذه المرة بسرعته البطيئة ٠ ان قطارا مثله لا يمكن أن يسير بسرعة ، ومراقبته لعرباته التى كانت تومض من بين الفتحات التى تفصلها جعلته يصاب بدوار ٠ وكان العلم اليابانى يرفرف على آخر عربة ، وأخذ يختفى ثم يظهر مائة مرة بين حقول القصب ٠ وعندما اختفى لآخر مرة ، لم يترك سوى ضجيجه مختلطا بالدمدمة العنيدة لطلقات المدافع البعيدة ٠٠

لم تكن هناك أية قرية تبدو على الطريق وعلى طول مرمى البصر٠٠ ولكن فى جهة الغرب كان يمكن أن تميز أشكال بنية وبيضاء لأكواخ متناثرة بين مجموعات مكفهرة من أشجار الصفصاف ٠ ولم تكن هناك أية علامة على وجود سكان ، ولكن من الأكواخ كانت ترتفع خيوط رفيعة من الدخان المزرق ، موحشة وكئيبة ٠

ووصلت ظلال المساء الى أطوالها العظيمة ٠ فجعلت تلك التى تخص أعواد القصب الطويلة عرض الطريق كله معتما ، بل وبدأت تتسلق بالفعل أعواد القصب المقابلة على الجانب الآخر ٠٠ حتى ظلال

الاعشاب الصغيرة على جانب الطريق كانت تمتد الى أبعاد هائلة · وكان مناقضا لذلك تلك التلال الواقعة فى الشرق فهى مضيئة الآن بشكل حاد ، حتى أنها كانت تبدو طافية فى الهواء · ومع قوة الظلال التى تفوق العواصف جاءت وحشة المساء ضاغطة من فوقه ·

ووصل الى ثغرة بين أعواد القصب · فرأى فجأة ظله أمامه طويلا بشكل مذهل · وكانت البندقية على كتفه تتحرك عبر العشب الى مسافة بعيدة فى الحقول · فلطمه ذلك باحساس عزلته ·

وكانت الحشرات تغنى فى العشب · ومن الغريب أن صراخها كان لا يشبه تلك التى كان ينصت لها فى الحقول الواقعة حول بيته · فبعثت هذه الغرابة التى يضاعفها اتساع السهل بطعنة من الألم عبر بدنه · وفجأة جاء فيض الذكريات الذى توقف لما يزيد عن ساعة يفيض مرة أخرى ·

ومر أمامه وجه أمه · وزوجته · وأخيه · ووجوه النساء اللاتى عرفهن فى تلاحق سريع وكأنها صور على فانوس ورق دوار فى منزله القديم فى القرية ·· والأمن الدافىء لحياته بالبيت · وصورة طافية له ــ كان يبدو فيها صغيرا جدا ــ وهو متجه الى طوكيو سعيا وراء رزقه ·

طوكيو ·· انه رأى الشوارع الحية فى الليل ، محلات الزهور ، أكشاك المجلات ، صفوف الكتب التى نشرت حديثا ، وعلى الناصـــية مسارح الفودفيل المزدحمة ومنازل الاستقبال المعروفة : لقد سمع مداعبة أوتار آلات الساميسن (٦) ، وضحكات النساء المغتصبة · كانت تلك أياما جميلة · كانت الفتاة التى يفضلها موجودة فى منزل فى ناكا ــ تشو ولقد ذهب الى هنـاك كثيرا · كان لهـا وجـه مستدير فاتن ، وحتى الآن يتذكرها فى حب وشغف ·· ولم يعرف مطلقا قلة المال حيث كان الابن الأكبر لأسرة ريفية موسرة ، وكانت الحياة سلسلة من الأحداث السارة · لقد انطلق أصدقاء تلك الأيام فى العالم · ولقد صادف أحدهم من فترة قريبة ، نقيبا فى الجيش بالفرقة السادسة ، ويرى فى نفسه شخصية هامة ·

وأخذ يفكر بأنه لا يوجد أقسى من حياة الانضـباط الضـــيقة للعسكرية · والغريب بما فيه الكفاية ، أن الفكرة اليوم لا تثير فيـــه أية روح عادية للعصيان ، ولا حتى احساسا بالاستشهاد · لقد سيطر عليه الخوف · عندما خرج للقتال وهب نفسه قلبا وقالبا لخدمة وطنه

(٦) آلة موسيقية تشبه الجيتار ·

والامبراطوره · لقد ألقى خطبة جميلة عن الموضوع فى مدرسته القديمة بالقرية · ولقد قال :

ـ ليست لدى أى رغبة فى العودة حيا ·

كان فى قمة حماسه وعنفوانه ، فى ذلك الوقت · لقد ألقى تلك الخطبة ، لكن ، بالطبع ، لم يتوقع مطلقا أن يموت · فلم يكن هنـاك أكثر من أحلام النصر والمجد · والآن ، ولأول مرة ، يمر بكآبة الموت · لقد شعر بالفعل بأنه من الممكن ألا يعود حيا ، وملأته الفكرة بالذعر · وكان هناك هذا الاعياء ، وهذا البرى برى ·· وحتى لو شفى ، فالحرب نفسها ما هى الا سـجن فسيح ، وليس هنـــاك مفر مهما قاوم وتاق للحرية · واستعاد بعض الكلمات التى كان قد قالها زميله الذى قد قتل :

ـ لا يوجد مفر من هذه الحفرة · علينا أن نستعد للموت وعلينا أن نواجهه بصدر رحب ·

وكيف يستطيع وهو ـ فريسة التعب ، والمرض ، والخوف ـ أن يتوقع الهروب من هذا الجحيم المرعب ؟ الفرار ؟ قد يحاول حتى ذلك ، لو كان فيه أية فائدة · والعار الذى يلحق باسمه ولا يموت قد يكون سيئا بما فيه الكفـــاية بالطبع ، ولكن ما هى توقعاته اذا استمر فى المقـــاومة ؟ يجب أن يصبح رجل ميادين قتـــال · ويجب على رجـــل ميادين القتـــال أن يروض نفســه على الابادة · ولأول مرة يتعجب من غبائه لمغادرته المستشفى · فلقد كان من السهل أن يجعل من نفســه غير صالح للخدمة ليبعثوا به فى المؤخرة ·

لقد أصبح هذا متأخرا الآن ، لقد وقع فى المصيدة ، ولم يعـد هناك طريق للهرب · وداهم كل كيانه يأس سلبى يضغط عليه بقوة لا تقاوم · والارادة فى المســـير قد ولت ، وفاضت الدموع بشـــكل لا ارادى · اذا كانت توجد أية آلهة فى هـــذه الدنيا ، فلتنقذنى ، أنقذونى ! بينوا لى أين المفر ؟ سوف أتحمل كل محاكمة بعد ذلك فى صبر ! سوف أفعل الكثير من الأعمال الخيرة ! واذا وعدتكم بأى شىء فلن أحنث فيه !

ورفع بصوته عاليا ، صائحا ومنتحبا ·

وجاش صدره ، وأخذ يصرخ مثل الطفل الرضـــيع ، وانهمرت الدموع على خديه · وكانت تعذبه فكرة أن جسده قد يهلك · وكانت

قد توهجت في صدره ، حتى هذه اللحظة انفعالات وطنية · وعلى ظهر سفينة النقل اشتعل خياله بنظريات الموت البطولى ، وهو ينضم الى الآخرين في أغنيات عسكرية · ولقد فكر اذا ظهرت بارجة للعدو لأغرقها بطلقة ·· واذا كتب عليه أن يكون جثة طافية بين الأعشاب في قاع البحر ، فسيكون فخورا أن يموت بهذه الطريقة · وفي معركة تشين تشاو ، صمد وسار قدما ببسالة وسط الجلجلة المميتة للمدافع الرشاشة· وبرغم مرور بعض الأوقات عليه عندما كان منزعجا من نزف الدم ، ومعاناة زملائه ، الا أنه شعر بأن كل ذلك من أجل الأرض الأم ومن أجل الشرف · ولكن دم زملائه ليس دمه · وكان أبسل الجنود يهرب هلعا عندما يواجه موته هو وجها لوجه ·

كانت ساقاه ثقيلتين ومرهقتين · لقد شعر بالاعياء ، فرحلته ذات الثلاثين ميلا والتى اســـتغرقت يومين في الطريق ، وليلة باردة بمرارة في العراء ، قد لعبت بالتأكيد دورا في دمار نظامه المضطرب من قبل ·· لقد ذهبت الدوسنتاريا ، ولكن البرى برى ازدادت حدته · ويعرف ما قد يعنى ذلك ·· شلل في القلب · وارتجف من الفكرة · ألا توجد طريقة للهرب على الاطلاق ؟ وبكى بصوت عال وهو يسير ، وأعصابه مشدودة عن آخرها ، وجســده ينتفض ، وساقاه تتألمان من التشنج ·

كان السهل يمتد في سلام · والآن حيث كانت الشمس الضخمة الحمراء على وشك الغرق فيما وراء الأفق ، فقد صبغت نصف السماء ذهبا والنصف الآخر أزرق غامقا عميقـا · وكانت نتفة من السحاب كطائر جناحاه مكللتان بالذهب ، يطير منطلقـا عبر السماء · وتنـدمج ظـلال القصب مع الظل العام ، وتهب ريح الخريف عبر السهل الفسيح · ومنذ دقائق قليلة كان قصف المدافع في لياويانج مجلجلا بشكل ثابت وواضح ، ولكنه الآن قد تضاءل بالتدريج الى سكون ·

كان يركض من خلفه جنديان ·

واستمرا لعدة ياردات بعد ما اجتازاه ، ثم التفت أحدهما خلفه · فلملم عواطفه وتماسك · كان خجلا أن يراه أحـــد هكذا وهو يبــكى بصوت مرتفع ·

ـ هاى ! ما هى المشكلة ؟

ـ البرى برى ·

ـ يا له من حظ عاثر ، هل الحالة سيئة ؟

ـ انه فظيع الألم ٠

ـ انك فى مأزق ٠ اذا وصل البرى برى الى قلبــك فلا وقت للمزاح ٠ الى أين أنت ذاهب ؟

ـ ان وحدتى خلف أنشان ، على ما أظن ٠

ـ لا يمكنك وصولها اليوم ٠

ـ لا أعتقد ٠

ـ تعال معنــا حتى هسين ـ تاى ـ تزو ٠ سنحضر طبيبــا ليفحصك ٠

ـ أهى مسافة طويلة ؟

ـ ها هى هناك ٠ هل ترى ذلك التل ؟ يوجد على هذا الجـانب السكة الحديد ٠ وحيث ترى العـلم مرفرفا ، فذلك هو مســتودع هسين ـ تاى ـ تزو ٠

انتعشت همته ٠ وسار وراءهما ٠ وكانا يأسفان لحاله ، فحملا عنه بندقيته وحقيبته ٠ وأثناء سيرهما أمامه تكلما عن يوم القتـال فى لياويانج ٠

ـ تحركت أعداد كثيرة من جنود الاحتياط ، أليس كذلك ؟

ـ ان عددنـا قليل على الهجوم ٠ لقـد قيل لى ان مواقع العدو قوية جدا ٠

ـ هل تعتقد أننا سنكسب ٠

ـ سنأكلها اذا خسرنا ٠

ـ لو أننا تمكننا من اختراق مؤخرتهم مرة واحدة ٠

ـ من المحتمل أن نفعلها هذه المرة ، وسترى ٠

وأنصت عن قصد لما قالاه ٠ وانفتحت المدافع ثانية من بعيد ٠

كان مستودع التموين فى هسين ـ تاى ـ تزو منظرا مروعـا للنشاط والفوضى ٠ ولقد وصل فوج من الاحتيـاط ، وكانت أكداس المؤن مرصوصة فى صفوف فى ظل البنايات فوق السـكة الحديد وعلى طول جانبها : ملابس الجنود وبنادق وسيوف ٠ وتحيط بالقضــبان الحديدية خمس ثكنات كان يحتلها حرس سكة حديد العدو ٠ ويرفرف

الآن علم فوق المبنى الذى يستخدم حاليا كمقر رئيسى لمستودع التموين. وكانت الفوضى هناك على أشدها ٠ فالجنود يتجمعون فى الخارج فى حشد عجاج ، وضباط مسرعون يدخلون ويخرجون فى تعاقب لا نهائى وسيوفهم معلقة بجانبهم ٠ وكانت النيران موقدة تحت ثلاث أوان كبار لطبخ الأرز للمستودع ، وتتضافر سحب من الدخان المتصاعد الى أعلى نحو سماء المساء ٠ وكان الأرز فى احداها قد تم نضجه ، والعريف المسئول كان يصدر أوامره لمساعديه ويشرف على التوزيع السريع لجرايات الجنود المتجمعين ٠٠ ولما كانت هذه الأوانى الثلاث غير كافية بشكل واضح للوفاء بمطالب الفوج كله ، لذا حصلت الأغلبية على جراية من الأرز بقشره فى علب الجراية الخاصة بهم وانتشروا فى أماكن مختلفة من الحقل لاعداد عشائهم بأنفسهم ٠ وصعدت فى الحال من المنطقة المجاورة ألسنة لهب مئات من حرائق قصب السكر فى جهات متعددة ٠

وبالقرب من مبانى الثكنات كان الرجال يهبون للعمل طول الليل فى تحميل صناديق الذخيرة فوق قطارات الشحن المتجهة الى الجبهة ٠ وكان رجال المشاة وقوات السكة الحديد يتحركون ذهابا وايابا بين عربات الشحن فى نشاط محموم لا يتوقف ٠ وكان يوجه تحركاتهم جندى صف ضابط بمفرده ، مصدرا كلمات آمرة سريعة من فوق قمة حمل احدى العربات ٠

وانتهى اليوم ، ولكن الحرب استمرت ٠ فواصلت أصوات المدافع عنادها فى مثابرة من خلف جبل أنشان المظلم الذى كان يبدو على شكل سرج الحصان ٠

والآن ، وبعد أن وصل ، بدأ يستفسر عن الطبيب هنا ٠ ولكن كان هناك شىء متنافر وغير لائق فى السؤال عن طبيب هنا ٠ لم يكن هذا وقت ولا مكان أحد من الناس ليقف ويهتم بحياة أو موت جندى واحد فقط ٠

تمكن ، والفضل لجهود صديقيه من الحصول على جراية صغيرة من الأرز المسلوق ٠ وكان هذا كل شىء ٠ اننا لا نستطيع أن نفعل أكثر من ذلك الآن ٠ فلننتظر بعض الشىء ٠ عندما يتحرك هذا الفوج سنجد الطبيب ونحضره لك ٠ خذ الأمور ببساطة واسترح ٠ اذا مشيت فى خط مستقيم على طول الطريق من هنا ، سترى منزلا كبيرا بعد ثلاثمائة أو أربعمائة ياردة على الأكثر ٠ سوف تتعرف عليه بدون أى

نعب ٠٠ يوجد هناك فى المدخل كشك لبيع الساكى ٠ اذهب داخله وخذ لك قسطا من النوم ٠٠ كان ذلك كل ما استطاعوا أن يقترحوه ٠

كان فى اعياء حتى الموت من المشى ٠ واستعاد بندقيته وحمله، ولكنه عندما وضعهما على كتفيه كاد أن ينهار تحت وزنهما ٠ ولكن من المستحيل الاستسلام هنا ٠ اذا كان سيموت فيجب أن يموت فى خلوة ٠ أجل ، خلوة ٠٠ أى مكان يصلح ٠ كان يتوق الى دخول أى مكان هادىء وينام ، ويرتاح ٠

امتد الطريق المظلم أمامه ٠ وكان يمر على مجموعات من الجنود هنا وهناك ٠ فعاد ذهنه فجأة الى الثكنات فى تويوهاشى ٠ كان قد تسلل منها الى « بار » هادىء وشرب بكثرة ٠ وفى حالة سكره ضرب رقيبا ٠ فأعطوه نوبة حجز عقابا ٠٠٠ ان هذا طريق طويل بالفعل ٠ وليست هناك أية اشارة لأى شىء يشبه المنزل الذى وصفوه ٠ لقد قالا ثلاثمائة أو أربعمائة ياردة ٠ لابد أنه قطع ألف ياردة الآن ٠ ربما يكون قد اجتازه ، فاستدار والتفت خلفه ــ استطاع أن يرى توهج المصابيح ونيران الحراسة فى مستودع التموين ، ومجموعات من الجنود تتحرك فى العتمة على غير هدى ، وكأنهم قد ضيعوا طريقهم ٠ ووصل اليه صياح الرجال العاملين فى قطارات الذخيرة عبر هواء الليل فى وضوح مذهل ٠

هذا مكان منعزل هنا ٠ لا أحد على الاطلاق ٠ وشعر فجأة باعياء رهيب ٠ وفكر حتى اذا لم يكن هناك منزل لاخفاء نفسه فيه ، فان هذا المكان يصلح أن يموت فيه ، وغاص الى الأرض منهوك القوى ٠ومن الغرابة بمكان أنه لم يعد يشعر بأنه منبوذ وبائس كما كان يشعر من قبل ٠ ولم تخطر بذهنه أية ذكريات من الماضى ٠ وأشرق ضوء النجوم الذى يومض بوهن داخل عينيه ، ورفع رأسه ونظر من حوله بشكل عادى ٠

لقد أدهشه أن يرى بالقرب منه ، رغم أنه لم يلاحظه حتى الآن، منزلا منعزلا على النمط الغربى ٠ وبداخله مصباح مشتعل ، واستطاع أن يرى مصباحا من ورق أحمر مستدير معلقا بالمدخل ٠ وسمع أصواتا ٠

وبكل تأكيد كان بالمدخل شىء لابد أن يكون مكانا لبيع الساكى ٠ كان من الصعب التأكد من ذلك فى العتمة ، ولكن فى أحد الأركان كان هناك شىء مثل الموقد ، مع جمرات حمراء تحته ٠ وتتضافر سحابة

دخان الى أعلى مغلفة المصباح بغلالة رقيقة . استطاع أن يقرأ الكتابة التى على المصباح : « شوربة فاصوليا حلوه : ٥ سن (٧) » .

وتحرك الى الأمام ليرى بشكل أفضل . واستطاع فى ظلام أحد جوانب المدخل أن يتحسس درجة واحدة من سلم حجرى . وقال فى نفسه ، هذا هو المكان .

وكان أول رد فعل له ، عندما تحقق الآن أنه يمكنه أن يرتاح ، هو شعوره بقناعة تجل عن الوصف . وصعد فى خلسة وسكون درجة السلم الحجرية .

لم يكن متأكدا ، ولكن يبدو أنه دخل فى ممر ، اذ كان المكان معتما . ودفع ما خيل له الباب الأول ، ولكنه لم ينفتح . وكان هناك باب آخر بعد خطوتين أو ثلاث فدفعه ، ولكنه لم ينفتح أيضا .

فسار مسافة أخرى للداخل .

فوصل الممر الى منتهاه . ولم تعد هنا أية استدارة وفى حيرته ماذا يفعل بعد ذلك ضغط على الحائط الذى على يمينه ، فانكسر الظلام فجأة .وارتد باب الى الخلف . ولم يستطع رؤية أى شىء بداخل الغرفة ، ولكن كانت النجوم تنعكس عليه ، وعرف بأن نافذة من الزجاج كانت أمامه .

وأنزل بندقيته وخلع حمله ، وانهار فجأة بكل كيانه على الأرض وسحب نفسا عميقا كادحا . لقد وصل الى حمى سلامه .

وتحت شعور الرضا كان هناك ضيق جديد يتقدم ليهيمن عليه. شىء مماثل للتعب ، للاستنزاف الذهنى ، واليأس ضاغط بثقله على كل كيانه مثل مثقال من رصاص . وانهمرت عليه الذكريات فى شظايا غير مترابطة ، تومض أحيانا بسرعة البرق ، وتبطىء أحيانا زافرة فى وعيه بالحاح مضجر كأنفاس عجل .

كانت هناك آلام نابضة فى عضلات ساقيه مثل التقلصات ، فتلوى على الأرض . كان بدنه يقترب من الحد الأقصى لتحمله .

وغمره الألم كمد البحر ، واحتدم فى ضراوة الريح العاتية ، ورفع ساقيه وضبطهما على الألواح الخشبية الجامدة ، ودحرج جسده الى هذا

---

(٧) عمله يابانية ضئيلة القيمة .

الجـانب والى ذاك الجانب ، وصرخ عاليا دون أن يفكر أو يعرف ماذا قال :

ـ هذا الألم ··· !

وفى الواقع لم يكن الألم غير محتمل · كان قاسيا ، ولكنــه قال لنفسه بصفة مستمرة انه يجب أن يدخر قوته من أجل الألم الشديد التالى ، وهذا ساعده ، ولو قليلا ، فى تخفيف معاناة اللحظة ·

لم يكن يفكر كثيرا كم هو حزين أن يموت ، بل كيف يقهر الألم· فكان اليأس الذى استحوذ عليه ضعيفا ممزقا فاترا لا يقارن أمــام هذه الارادة الايجابية للمقاومة التى انبثقت من ايمانه الراسخ كانسان له الحق فى أن يحيا ·

كان فوق ادراكه معرفة كم مضى من الوقت · تمنى أن يأتى الطبيب، ولكن لم يكن لديه متسع من الوقت ليفكر فيه على مهل · وانتابتــه آلام جديدة ·

كانت تحت الأرضــية الخشب تغنى حشرة صرار الليل · فقال لنفسه حتى ولو كان يصارع الألم فان صرار الليل يغنى · وغاصت نغمة الحزن الرتيبة للحشرة فى أعماقه ·

وعـاد التقلص ، فتلوى على الألواح وصرخ الكلمـات بأعلى نبرة من صوته :

ـ هذا الألم ، هذا الألم ، هذا الألم ! ألا يوجد أحد هنا ؟ ··· أى أحد ؟!

لقد تضاءلت بسرعة غريزة المقاومة غريزة حب البقاء القوية ·· وأخذ ينادى بدون وعى طلبا للعون · وكان فى شبه غيبوبة ،وجيشان عاطفته كحفيف أوراق الشجر التى تثيرها قوى الطبيعة ، وأصـوات الأمواج وصرخات الانســانية المفجعة · ودوى صوته بشكل غريب فى سكون الغرفة :

ـ هذا الألم ، هذا الألم !

وفى هذه الغرفة ، حتى شهر مضى ، كان يعيش وينام فيهــا حراس السـكة الحديد من الضــباط الروس · وعندما دخل الجنود اليابانيون اليها أول مرة وجدوا صورة ملطخة بالسخام للمسيح معلقة بالمسامير فى الحائط ـ· ولقد تطلع هؤلاء الضباط فى الشتاء الماضى عبر

هذه النافذة في العواصف الثلجية المتوالية الكاسحة عبر سهل مانشوريا، ولقد شربوا الفودكا ، ولقد وقف في الخارج حراس ملتفعين في الفراء ٠٠ ولقد ألقوا النكات بينهم عن مواطن الضعف في الجيش الياباني ، وهنا أخذوا يتفاخرون ٠ والآن ، في هذه الغرفة ترن صرخات الألم لجندي يحتضر ٠

ورقد ســـاكنا للحظة ٠ وكان صرار الليل يغني نفس الأغنية الشجية ٠ لقد بزغ القمر متأخرا فوق سهل مانشوريا العريض ، ولقد ازدادت الكائنات ضياء ٠ حتى الأرض خارج النافذة حولها ضوء القمر نورا ٠

وصرخ ثانية ، وتلوى على الأرض نائحا يائسا ٠ وتقطعت أزرار قميصه وتخدش لحم رقبته وصدره وسال دمه ٠ وانسحق غطاء رأســه العسكري ، واستقر شريطه عند ذقنه وتلطخ جانب من وجهه بالقيء ٠

وفجأة سطع نور داخل الغرفة ٠ وفي مدخل البـــاب رأى رجلا وفي يده شمعة كتمثال ما داخل كوته ٠ ودخل الرجل الغرفة في صمت وأمسك بالشمعة فوق الجندي المريض ، حيث رقد متلويا ، متقلبـا على الأرض ٠ كان وجه الجندي لا لون له مثل وجه رجل ميت ٠

– ما هي الحكاية ؟

– هذا الألم ، هذا الألم !

تردد الرجل في أن يلمس الجندي ٠ ووقف بجانبه لبرهة ،ناظرا الى أسفل ، ثم وضع الشمعة على المنضدة بعد أن ثبتها باحكام في نقط الشمع الذائب ، وأسرع خارج الغرفة ، فانعكس كل شيء في الغرفة على ضوء الشمعة بوضوح ٠ ورأى أن الحزمة المبعثرة في الركن التي وعى عليها بشكل مشوش ما هي الا بندقيته وحمله ٠

ارتعش اللهب على الشمعة ، وتدحرج الشمع ذائبا كالدموع ٠

وعاد الرجل بعد برهة محضرا معه جنديا ٠ لقد أيقظ واحدا من وحدة تقيم الليل في منزل عبر الطريق ٠ ونظر الجندي الى وجه الرجل المريض ، وتطلع في الغرفة من حوله ٠ ثم حدق بامعان في اشـــارات الفوج التي على كتفه ٠

استطاع المريض أن يسمع كل شيء قالاه :

– انه من الفوج الثامن عشر ٠

ـ أهو كذلك ؟

ـ متى جاء الى هنا ؟

ـ ليست عندى فكرة • استيقظت فى العاشرة لأسمع أحدهم يصرخ فى ألم • لم أستطع تمييز ذلك ـ لابد انه لا يوجد أحد فى باقى المنزل • وبعد أن أنصت لبرهة سـمعت الصرخات مرة أخرى ، تزداد ارتفاعا ، فجئت الى هنا لارى ما الخطب • انه البرى برى ••• وارمه ...بية . أيضا • لا يمكن عمل أى شىء ازاء ذلك •

ـ من المفروض وجود طبيب فى المستودع ؟

ـ يوجد . ولكنى أشك اذا كان سيأتى فى وقت متأخر كهذا •

ووقف الاثنان فى صمت •

وجاء الألم فياضا مرة أخرى • واخذ يئن ، وصرخة تعقبها صرخة فى تصعيد أوبرالى تدريجى لا يحتمل •

ـ انه يقاسى بشكل فظيع • من أين هو ، يا ترى ؟

وشعر الجندى يبحث فى جيب صدره ، مخرجـا دفتر الفوج • ورأى ملامح الرجل السمراء القوية ، وراقبه يمشى بالقرب من الشمعة على المنضدة لفحص ما قد عثر عليه ، وأعتم عليه الضوء •

لقد سمع الجندى يقرأ ، وتصله كل كلمة بتمييز •••

جندى نفر كاتو هيسوكى ، قرية فوكو ، منطقة اتسومى ، اقليم ميكاوا • وطافت صور البيت أمام عينيه مرة أخرى • وجه أمه ، وجه زوجته ، منزل كبير يقف وسط أشجار الكافور ، الصخور الزلقـة على الشاطىء ، البحر الأزرق ، وجوه الصيادين الذين يعرفهم جيدا •

وقف الاثنان يراقبانه فى سكون • كان وجهاهما أبيضين • ومن وقت لآخر يتفوهان كلمات مواسـية ، عرف عندئذ أنه سـيموت . ولكن لم تحمل تلك المعرفة معها أى ذعر أو حزن معين • لقد شـعر بأن الشىء الذى يراقبـه هذان الاثنـان بمثل هـذا القلق لم يكن هو نفسه ، بل شىء غير حى لا علاقة له به • آه لو أمكنه الهروب من هذا الألم، هذا الألم المفرط !

وارتعشت الشمعة ، وغنى صرار الليل •

وعند الفجر ، عندما وصل الطبيب من المستودع ، كان الجندى قد مات منذ ساعة · لقد مات فى الوقت الذى أعلن فيه عمال المستودع بهتاف عال باقلاع أول قطار ذخيرة الى أنشان ، بينما قمر الصباح كان مشنوقا فى السماء وشاحبا وسقيما ·

وفى الحال دوت الدمدمة الثابتة للمدافع مرة أخرى · أنه كان الأول من سبتمبر ، ولقد بدأ الهجوم على لياويانج ··



الفهرســـت

الموضـــوع	الصـ

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٨/٣١٦٤

ISBN ـ ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ١٧٤٠ ـ ٤